جمهوريـــة العـــراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة ميســـان
كليـــة التربيـــة
قســـم التاريـــخ

سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة

(١٨٤ - ٢٩٦هـ /٨٠٠ - ٩٠٩م)

رسالة تقدم بها الطالب

أكرم عبد الزهرة حنش رسن

إلى مجلس كلية التربية – جامعة ميسان

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتـور

غـفـــران مـحـمـد عـزيز

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة (الآية: ١٤٣)

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذهِ الرسالة الموسومة بـ**(سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)** قد جرى بإشرافي في كلية التربية – جامعة ميسان، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلاميّ.

التوقيع:

المشرف:

التاريخ:

بناء على التوجيهات التي قدمها المشرف والمقوم اللغوي، أرشح هذهِ الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ. د.

رئيس قسم التاريخ

التاريخ:

الاهـــــــداء

إلى معلم الإنسانية، وخير الكائنات نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آل بيته الاطهار . . .

إلى الزهرة التي لا تذبل. . . والدتي الغالية. . . التي ساندتني ووقفت إلى جانبي طول مسيرتي الدراسية. . . تعجز الكلمات عن وصفها . . . حفظك وادامك الباري عز وجل. . .

إلى نبع العطاء. . . والدي العزيز. . . الذي زرع الاخلاق بداخلي وعلمني طرق الارتقاء. . .

إلى فقيدي أخي الشهيد حيدر عبد الزهرة حنش، جعل الله قبرك روضة من رياض الجنة.

إلى أخواني وأخواتي الذين كانوا خير سند لي في الحياة. . . حفظكم الله وراعاكم. . .

إلى من أخذوا بيدي نحو آفاق العلم والمعرفة. . . إلى كل من كان لهم الفضل ـ بعد الله تعالى ـ في انجاز هذه الدراسة. . .

إلى أصدقائي المخلصين. . . رفاق الدرب. . . وفقكم الله.

الباحث

شكـــر وعرفـــان

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد المصطفى وعلى آل بيته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي ومشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور **(غفران محمد عزيز)**، الذي منحني بقبوله الأشراف على رسالتي شرفاً عظيماً وهيأ لي الفرصة لأنهل من فيض علمه الغزير وعطائه الفكري والمعرفي المتجدد، فقد كان مثالاً للأب والاخ الناصح والأستاذ المعلم طيلة فترة إعداد الرسالة.

ويسرني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى اساتذتي الكرام ممن تتلمذت على أيديهم في جامعة ميسان كلية التربية في مرحلتي البكالوريوس والماجستير لما قدموه لي من علم نافع وعطاء لا ينكر فضله في وصولي إلى هذه المرحلة متمني أن ينعم الله عليهم بالصحة والعطاء الدائم.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى عمادة كلية التربية المتمثلة بعميدها الدكتور **(براق طالب شلش)**، وإلى رئاسة قسم التاريخ المتمثلة برئيسها الدكتور **(محمد حسين زبون)** وجميع العاملين بقسم التاريخ.

وفي الختام أقدم شكري إلى كل من ساندني ودعمني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة جزاكم الله خيراً.

الباحث

قائمة المختصرات

الاختصار	ما يوافقه
تر	ترجمة
تح	تحقيق
مر	مراجعة
تع	تعليق / تعريب
ض	ضبطه
ط	طباعة
د ط	دون طباعة
د ت	دون تاريخ النشر
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	توفي
٢/١	الجزء والصفحة

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الاهداء	ب
شكر وعرفان	ج
قائمة المختصرات	د
قائمة المحتويات	هـ–و
المقدمة	١–٦
الفصل الأول مفهوم الاعتدال وجذوره التاريخية	٧–٤٠
أولاً: مفهوم الاعتدال في اللغة والاصطلاح	٧–١١
ثانياً: مفهوم الاعتدال في القرآن الكريم وكتب التفسير	١٢–١٨
ثالثاً: مفهوم الاعتدال في الحديث النبوي الشريف	١٩–٢٣
رابعاً: الجذور التاريخية لسياسة الاعتدال في التاريخ الإسلامي (١–١٨٤هـ/٦٢٣–٨٠٠م)	٢٤–٤٠
الفصل الثاني سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة السياسي	٤١–٨٥
أولاً: عوامل نشأة سياسة الاعتدال	٤١–٥١
ثانياً: سياسة الاعتدال في الحياة السياسية الداخلية	٥٢–٦٦
ثالثاً: سياسة الاعتدال في العلاقات الخارجية	٦٧–٨٥

الفصل الثالث **سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة الحضاري**	**٨٦-١٢٣**
أولاً: سياسة الاعتدال في الحياة الاجتماعية	**٨٧-١٠٠**
ثانياً: سياسية الاعتدال في الحياة الدينية	**١٠١-١١٣**
ثالثاً: سياسية الاعتدال في الحياة الاقتصادية	**١١٤-١٢٣**
الخاتمة	**١٢٤-١٢٦**
الملاحق	**١٢٧-١٢٨**
قائمة المصادر والمراجع	**١٢٩-١٥٢**
Abstract	**A-C**

المقدمـــــة

المقدمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، أما بعد:

شهد التاريخ الاسلامي خلال حكم الخلفاء والامراء في مختلف الدويلات تنوع واضح في السياسات المُتبعة لحل الازمات الداخلية والخارجية، وهي في الغالب سارت في اتجاهين الأول ، هو سياسة الوسطية والاعتدال ، والثاني ، هو سياسة القوة والبطش ، وهي أكدت عليها الشريعة الإسلامية من خلال اقامت منهجًا متوازناً يعتمد على الحكمة والتروي في اتخاذ القرارات، بعيدة عن العنف والصراعات قدر الإمكان ، وتعمل على تعزيز قيم التسامح والتعاون والعطف بين الأفراد والمجتمعات، الامر الذي يحقق الانسجام والسلام، وحقن دماء الناس، ويعزز من روح التفاهم بدلًا من التناحر والاقتتال.

تعود هذا السياسة إلى مبادى الاسلام وجذوره التاريخية التي لابد من الإشارة إليها ، إذ تجسدت معانيها في تعاليم الإسلام وسيرة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، الذي كان مثالًا للعدل والرحمة والوسطية في تعامله مع الناس، مسلمين وغير مسلمين، متبنيًا أسلوب الحوار والإقناع بدلاً من القسر والإكراه، وأوصى دائمًا بالتسامح والرحمة حتى في أوقات الشدة، مما جعل منه نموذجًا يُحتذى به في السياسة المعتدلة التي تنهض بالمجتمعات على أسس من السلام والتعاون ، وقد تجسدت تلك السياسة أيضاً في حكم الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣٥ _ ٤٠ هـ / ٦٥٦ _ ٦٦١ م) ، وابنهِ الامام الحسن (عليه السلام) (٤٠ _ ٤١ هـ / ٦٦١ _ ٦٦٢ م) .

كان منهج الاعتدال خياراً للعديد من الخلفاء والامراء الذين حكموا في الدولة العربية الإسلامية ومن خلال الاضطلاع على تاريخ الدويلات الإسلامية في المغرب ، تأتي دولة الاغالبة في مقدمتها ، إذ انتفعت من تجاربها السابقة من حيث العوامل والاضطرابات السياسية التي تعرضت لها إفريقية في عصر الخلافة العباسية الأول ، حيث استطاعوا التعامل باعتدال مع الكثير من الاحداث السياسية متمثلة في سياسة كسب الفقهاء والناس، فضلاً عن اقامة العلاقات الطيبة مع الخلافة العباسية ، مستغلين سوء سياسة الولاة في افريقية ، زيادةً على ذلك انتهجت هذه الدولة منذ التأسيس هذه السياسة في العديد من القرارات والثورات الداخلية من خلال ارسال المبعوثين والاستماع الى مطالب الناس وكذلك

توزيع الاموال الامر الذي انعكس ايجابياً لحلحلة الازمات ، ناهيك عن طبيعة العلاقات الخارجية الإيجابية والمعتدلة في الغالب .

لم يقتصر الاعتدال على الحياة السياسة ، انما شمل الجوانب الحضارية من خلال عناصر المجتمع المنتشرين في اغلب المدن في افريقية بحيث لم يشهد تاريخها اي صراعات عنصرية ، فضلا عن الحرية الدينية الواضحة لأغلب الديانات والمذاهب الإسلامية من خلال المناقشات في المجالس الدينية التي تنتهي بالحوار وتبادل وجهات النظر ، فضلاً عن الجانب العمراني الذي اهتم فيه الاغالبة بشكل واضح في اغلب المدن والمناطق التي ضمتها هذه الدولة .

- أهمية **الدراسة:**

تعود أهمية الدراسة إلى تفسير حالة الاستقرار لحقب معينة من حكم الأغالبة ، فضلاً عن أسباب رجوع هذه الدولة إلى الحلول السلمية في أغلب الأحيان .

- **أسباب اختيار الموضوع:**

أن قراءة تاريخ دولة الأغالبة يدفعنا إلى ملاحظة وجود نهج سياسي قام على الخبرة والحكمة في حلحلة الكثير من الأزمات ، الامر الذي دفعني إلى اختيار هذه السياسة عنواناً لرسالتي .

- **الصعوبات التي واجهت الباحث:**

واجه الباحث صعوبة واضحة في استخراج نصوص الاعتدال واستكمال فصول الرسالة ، فضلاً عن تقسيماتها لأن عنوان الدراسة غير مطروق في تاريخ المغرب الاسلامي ، الامر الذي تطلب أعادة القراءة لأكثر من مرة ، وكذلك تطلب البحث الرجوع الى جذور مفهوم الاعتدال في التاريخ الاسلامي واستعراض ذلك بقليل من التفصيل في الفصل الأول .

كذلك تناول البحث بعض الاحداث التي واجهها الاغالبة بالقوة والبطش من دون الرجوع الى الاعتدال لحل تلك الازمات ، الامر الذي تم توضيحه من خلال كتابته من دون اغفال وهو جزءاً من الموضوعية ، بحيث لا يتصور القارئ أن تاريخ هذه الدولة عبارة عدل واعتدال فقط ، كذلك ينبغي الاشارة الى رجوع الباحث لأغلب المصادر والمراجع التي تتحدث عن هذه الدولة ووظف ذلك قدر المستطاع ، وأن المصادر التي تحدثت عن هذه الدولة قليلة ، الامر الذي اضطرُ للاعتماد على المراجع

المغربية الهامة التي عاش مؤرخوها في إفريقية ، والذين استنتجوا الكثير من المواقف المرتبطة بالحياة العامة في تاريخ هذه الدولة .

ـ منهج الدراسة

أعتمد الباحث على المنهج الموضوعي في استعراض الاحداث التاريخية من خلال عناوين الفصول ومحاورها ، فضلاً عن اللجوء إلى الاستنتاج والتحليل لبعض الاحداث التاريخية التي تتطلب ذلك .

- محتويات الدراسة:

احتوت الدراسة على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، تحدث الفصل الأول عن (مفهوم الاعتدال وجذوره التاريخية)، وينقسم إلى أربعة أقسام، حيث بين القسم الأول مفهوم الاعتدال في اللغة والاصطلاح، وفي القسم الثاني بين الباحث مفهوم الاعتدال في القرآن الكريم وكتب التفسير، وفي القسم الثالث وضح البحث مفهوم الاعتدال في الحديث النبوي الشريف، وفي القسم الرابع تطرقت إلى الجذور التاريخية لسياسة للاعتدال في التاريخ الإسلامي (١-١٨٤هـ/٦٢٣-٨٠٠م).

جاء الفصل الثاني ليتحدث عن (سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة السياسي)، ومن خلاله قسم الموضوع إلى ثلاث أقسام، تحدث القسم الأول عن عوامل نشأة سياسة الاعتدال، وفي القسم الثاني تناول البحث سياسة الاعتدال في الحياة السياسية الداخلية، وفي القسم الثالث بين البحث سياسة الاعتدال في العلاقات الخارجية.

وتحدث الفصل الثالث عن (سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة الحضاري)، ومن خلاله قسم الموضوع إلى ثلاث أقسام، ذكر الباحث في القسم الأول سياسة الاعتدال في الحياة الاجتماعية، وفي القسم الثاني تطرق البحث الى سياسة الاعتدال في الحياة الدينية، وفي القسم الثالث وضح البحث سياسة الاعتدال في الحياة الاقتصادية.

- المصادر والمراجع:

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي افادت الرسالة واسهمت في اتمامها وهنا نستعرض ابرزها في هذا الجانب لذلك تم الاقتصار المؤلفات المؤثرة بشكل كبير :

اولاً: كتب التاريخ :

يأتي في مقدمة المصادر التي نفعت هذه الرسالة كتاب (تاريخ إفريقية والمغرب) لمؤلفه ابن الرقيق القيرواني، المتوفى سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، والذي اتبع المنهج التاريخي في تدون الاحداث، وعد من أهم المصادر التي أرخت لتاريخ المغرب، وقد أفادني هذا المصدر في الفصل الثاني وتحديداً في السياسة الداخلية لدولة الأغالبة.

ومن المصادر التاريخية التي أفادت البحث كتاب (الكامل في التاريخ) لمؤلفه ابن الاثير، المتوفى سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، والذي اتبع المنهج الحولي في نقل الاحداث التاريخية، على الرغم أن الكتاب يتناول تاريخ المشرق الإسلامي إلا أنه خصص جانبا منها لبعض الأحداث في المغرب لكن بشكل مقتضب، لذا اعتمدت على بعض الاجزاء من كتابة .

أيضاً اعتمدت خلال دراستي على كتاب (البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب) لمؤلفه ابن عذاري، المتوفى سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م)، والذي أتبع المنهج الحولي في طرق الاحداث التاريخية، وقد أفاد الدراسة في الفصل الثاني والثالث، بما قدمه من معلومات مفصله عن دولة بني الاغلب في إفريقية، لذا اعتمد البحث عليه في مختلف مراحله.

فضلاً عن ذلك استفاد البحث من كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) لمؤلفه ابن خلدون، المتوفى سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، والذي اتبع المنهج التاريخي في تدوين الاحداث، ويقع الكتاب في عدة أجزاء وقد اعتمد على بعض الأجزاء التي تتحدث عن دولة الاغالبة في إفريقية وعلى نشاطهم السياسي الداخلي والخارجي، وقد أفادني هذا المصدر في الفصل الثاني وتحديداً في السياسة الداخلية والخارجية لدولة الأغالبة.

ثانياً : كتب التراجم :

اعتمد الباحث على العديد من كتب الاعلام والتراجم في الرسالة يأتي في مقدمتها كتاب (رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية) لمؤلفه المالكي، المتوفى سنة (٤٣٨هـ/١٠٤٦م) ويعتبر كتابه من أهم الكتب الطبقات التي أرخت لأعلام إفريقية، ولقد أفادنا بالتعرف على الفقهاء والعلماء والقضاة ودورهم في الجانب السياسي والاجتماعي في سياسة الاعتدال.

ومن كتب التراجم التي اعتمدها البحث كتاب (معالم الايمان في معرفة أهل القيروان) لمؤلفه الدباغ، المتوفى سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٧م) والذي اشتمل على تراجم مجموعة من الفقهاء الذين عاشوا في إفريقية

في القرنين (٢-٣) هجريين مع التركيز على أشهر هؤلاء الفقهاء الذين لعبوا دوراً مهماً في عصر الاغالبة.

ومن كتب الاعلام والتراجم التي اعتمدتها كتاب (الحلة السيراء) لمؤلفه ابن الابار المتوفى سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) يعد كتابة من أكبر مصنفات المخصصة لتراجم الاعلام، فقد ترجم في مصنفة هذا الكثير من حكام دولة الاغالبة، لذا اعتمدت عليه كثيراً في هذا البحث.

ثالثاً : كتب الجغرافية :

استفاد البحث من العديد من كتب الجغرافية والبلدان ، وفي مقدمتها كتاب (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) لمؤلفها البكري، المتوفى سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ويعتبر هذا الكتاب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك وهو كتاب جغرافي مهم، أفدت منه في السياسة الخارجية لدول الأغالبة مع دول المغرب.

ومن الكتب الجغرافية التي اعتمدتها كتاب (معجم البلدان) لمؤلفها ياقوت الحموي، المتوفى سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، ويعتبر هذا الكتاب من بين أهم المصادر التي تتحدث عن الأماكن، فقد أفادني في تعريف العديد من المناطق والمدن والكور.

ومن الكتب الجغرافية كتاب (روض المعطار في اخبار الأقطار) لمؤلفها الحميري، المتوفى سنة (٩٠٠هـ/١٤٩٥م) ويعد من اهم المصادر التي تتحدث عن المدن والكور في المغرب، وقد افادني في تعريف العديد من المناطق التي وقعت ضمن البحث.

رابعاً : المراجع الحديثة :

اعتمد الباحث على مجموعة من المراجع التي رفدت الموضوع بالكثير من النصوص التاريخية الهامة ، ويأتي في مقدمتها، كتاب (الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي) لمؤلفه محمد الطالبي، حيث يتميز هذا المرجع بمادته العلمية الوفيرة والتي يستعرض مختلف التطورات السياسية للدولة الأغلبية، ويمتاز باعتماد منهج التحليل والاستنتاج واستقراء الأحداث التاريخية الامر الذي افاد البحث منه في استخلاص الحياة السياسية في الدولة الأغلبية انطلاقا من سير أمراء هذه الدولة والأحداث التي ميزت فترات حكمهم.

ومن الكتب التي اعتمدتها ، كتاب (الاغالبة – سياستهم الخارجية) لمؤلفه محمود إسماعيل، ويتميز هذا المرجع بغزارة المادة العلمية ويستعرض مختلف التطورات السياسية للدولة الأغلبية، استفاد البحث منه في فهم علاقة الأغالبة مع دول المشرق والمغرب الإسلامي، وكان محور الدراسات العلاقات السياسية بين الأغالبة والدولة المعاصرة لها في المغرب والمشرق.

ومن الكتب التي اعتمدتها في المراجع، كتاب (ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية) لمؤلفه حسن حسني عبد الوهاب، ويعد من أهم المراجع التي كتبت في الجانب الحضاري، وأفدت منه الكثير من المعلومات في الفصل الثالث وتحديداً الجانب الاجتماعي.

ومن الكتب التي أفادت الدراسة، كتاب (تاريخ شمال إفريقيا) لمؤلفه عبد العزيز الثعالبي، ويعد من أهم المراجع التي تحدثت عن دولة الاغالبة تأسيها وقيامها وسياستها، أفاد الدراسة كثيرا وعلى الأخص في الفصل الثاني وتحديداً السياسة الداخلية للأغالبة.

وفي الختام ، فإن البحث العلمي عملية مستمرة ، لا تصل إلى الكمال ، فما كان في هذا العمل من صواب فهو بتوفيق من الله تعالى، وما كان فيه من زلل أو نقص فمن نفسي ، لذلك اضعه تحت تقويم أساتذتي الأفاضل في لجنة المناقشة ، سائلين المولى عز وجل أن يجزيهم خير جزاء المحسنين .

الفصل الأول

مفهوم الاعتدال وجذوره التاريخية

أولاً: مفهوم الاعتدال في اللغة والاصطلاح

ثانياً: مفهوم الاعتدال في القرآن الكريم وكتب التفسير

ثالثاً: مفهوم الاعتدال في الحديث النبوية الشريفة

رابعاً: الجذور التاريخية لسياسة الاعتدال في التاريخ الإسلامي (١- ١٨٤هـ / ٦٢٣ - ٨٠٠ م)

الفصل الأول

مفهوم الاعتدال وجذوره التاريخية

أولاً- مفهوم الاعتدال في اللغة والاصطلاح:

الاعتدال لغةً : جاء لغوياً بمعاني عديدة منها معنى التوسط مثل قولنا، جسم معتدل بين الطول والقصر، وماءً معتدل بين البارد والحار، ويوم معتدل طيب الهواء ضد معتذل[١]، وعرفة النيسابوري بأنه: الاستقامة على الوسط دون الميل إلى أحد: أي من دون الإفراط والتفريط[٢].

أما الاعتدال اصطلاحاً: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط[٣]، وعرف بأنه الاستقامة والاستواء والتوسط بين حالين، بين مجاوزة الحد المطلوب والقصور، وهي أفضل طريقة يتبعها الأنسان لتأدية واجباته نحو ربه، ونحو نفسه، فالاعتدال التوسط بين حالين دون إفراط وتفريط، وغلو وجفاء[٤].

وكان لمفهوم الاعتدال مجموعة من المفاهيم الدالة علية، من حيث المعنى، وهي على النحو التالي:

١. الوسطية: عرفت لغوياً بمعنى الجانب الوسط أو وسط الشي، وهو يدل على العدل والإنصاف[٥]، وعرفها الفراهيدي بقوله: الوسطية هي من الوسط، والوسط موضع الشيء، مثل قولنا: زيد وسط الدار، ووسط فلان جماعة من الناس[٦]، وعرفها الفيومي بقوله: الوسط بالتحريك المعتدل يقال شيء وسط، أي بين الجيد والرديء، وعبد وسط، وأمة وسط، وشيء أوسط، وللمؤنث وسطى بمعناه[٧].

أما الوسطية اصطلاحاً: فتعني التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٤٣٣/١١.
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٨/٦.
(٣) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ص٤٥٣.
(٤) ناهدة، مفهوم الاعتدال في الفكر السياسي الإسلامي، ص٢٦٩.
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٠٨/٦.
(٦) العين، ٢٧٩/٧.
(٧) المصباح المنير، ٥٦٨/٢.

ويحيف عليه[١]، وعرفها عبد الله عبد المحسن التركي: فالوسطية في الإسلام وسط بين من غلا في أمر الدنيا ولم يهتم بالآخرة وبين من غلا في أمر الآخرة ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد، وهكذا الوسطية تؤدي إلى التوازن الظاهر بين الدين والدنيا، وبين النقل والعقل وبين مطالب البدن ومطالب الروح، وبين علم الغيب وعلم الشهادة، فلقد سادت الوسطية بهذا المفهوم في الفكر الإسلامي في العقيدة والتشريع والعبادة والدعوة إلى الله تعالى[٢].

٢. العدل: عرف لغوياً بمعنى نقيض الجور[٣]، وقيل هو الامر المتوسط بين الإفراط والتفريط[٤]، ويوم معتدل إذا تساوى حره وبردة، وكذلك يقال عدلته حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقام واستوى[٥]، وعرفه ابن منظور بقوله: ما قام به النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، وقيل عدل الحاكم في الحكم، أي بالحق، وهو حاكم عادل، ذو معدلة في حكمة، والعدل من الناس، المرضي قولة وحكمة[٦]، وعرفة القاضي عياض بقوله: الاستقامة وهو نقيض الجور، يقال منه عدل يعدل فهو عدل وهما عدل وهن عدل، وقيل عدلان وعدول وفي الحديث قد عدلنا معناهُ كفرنا وأشركنا وجعلنا لله عدلا ونظيرا، والاسم منه عادل، ومنه بل هم قوم يعدلون وبربهم يعدلون، أي يكفرون ويجعلون لهُ عديلا وشريكا[٧].

أما العدل اصطلاحاً: فقد جاءت له تعاريف عديدة نذكر منها ما عرفه الجاحظ، إذ قال أن القسط هو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير[٨].

وعرفهُ الجرجاني بأنه: ملكة أي صفة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، وقيل العدل هو الاعتدال والاستقامة وهو الميل إلى الحق، وقيل: العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط[٩].

---

(١) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص١٢٧.

(٢) الامة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، ص١٣-١٤.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢٤٧/٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ٤٤٣/٢٩.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ٤٤٣/٢٩.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢٤٧/٤.

(٦) لسان العرب، ٤٣٠/١١.

(٧) مشارق الأنوار على صحاح الأثار، ٦٩/٢.

(٨) تهذيب الأخلاق، ٢٨/١.

(٩) التعريفات، ص١٩١-١٩٢.

٣ . القسط: عرف لغوياً بمعنى المقسط هو العادل، يقال: أقسط يقسط فهو مقسط إذا عدل، وقسط يقسط، فهو قاسط إذا جار[١]، وعرفه الرازي بأنه: العدل في القسمة والحكم، ومن يتصف بهذه الصفات يسمى مقسط، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢]، كأن يقال (تقسطنا) الشيء بيننا[٣].

أما القسط اصطلاحاً: يعرف بأنه إيصال الشيء إلى مورده وإيفاء الحق إلى محله، وهذا المعنى إنما يتحقق في مقام إجراء العدل[٤]، وعرفه القرطبي بأنه: العدل في المعاملات[٥].

٤. الاستقامة: عرفت لغوياً بمعنى اعتدال الشيء واستواؤه، واستقام فلان بفلان، أي مدحه وأثنى عليه[٦]، وعرفها الرازي بأنها: الاعتدال يُقال: استقام لهُ الأمر[٧].

أما الاستقامة اصطلاحاً: عرفها الجرجاني : كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط المستقيم في الآخرة[٨]، وقال ايضاً: هي جمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي، وقيل الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل[٩]، وعرفها ابن القيم بقوله: كلمة جامعة، آخذة بمجاميع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله[١٠]، وعرفها ابن رجب بقوله: هي سلوك صراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك[١١].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣٧٧/٧.
(٢) المائدة : الآية ٤٢.
(٣) مختار الصحاح، ٢٥٣/١.
(٤) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ٩/٢٥.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، ص٩١.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، ٤٩٨/١٢.
(٧) مختار الصحاح، ص٢٣٢.
(٨) التعريفات، ١٩/١.
(٩) الجرجاني، التعريفات، ١٩/١.
(١٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١٠٦/٢.
(١١) جامع العلوم والحكم، ٥١٠/١.

٥ . الاتزان: عرف لغوياً بمعنى العدل والاستقامة: ووزنت الشيء وزنا، والزنة قدر وزن الشيء، والاصل وزنة، ويقال: قام ميزان النهار، إذا انتصف النهار. وهذا يوازن ذلك، أي هو محاذيه، ووزين الرأي: معتدلة. وهو راجح الوزن، إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل[١].

أما الاتزان اصطلاحاً: هو إعطاء كل شيء حقة من غير زيادة ولا نقص، وهو ينشأ عن حقائق الأشياء على ما هي عليه، ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها وهو الحكمة المنوه بها[٢].

٦ . الإنصاف: عرف لغوياً بمعنى إعطاء الحق، وقد انتصف منه، وأنصف الرجل صاحبه إنصافاً[٣]، أي عاملته بالعدل والقسط، وأنك اعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك وتناصف القوم أنصف بعضهم بعضاً[٤].

أما الإنصاف اصطلاحاً: قال الراغب (الإنصاف هو مقابَلة الخَيرِ مِن الخَيرِ، والشَّرِّ مِنَ الشَّرِّ بما يوازيه)[٥] ، وقال المُناويّ: (الإنصافُ في المُعامَلةِ: العَدلُ بأن لا يأخُذَ مِن صاحِبِه مِنَ المَنافِعِ إلَّا مِثلَ ما يُعطيه، ولا يُنيلَه مِنَ المَضارِّ إلَّا كما يُنيلُه، وقيل: هو استيفاءُ الحُقوقِ لأربابِها، واستِخراجُها بالأيدي العادِلةِ والسِّياساتِ الفاضِلةِ)[٦]، وقال ابنُ عادِل: (حَقيقةُ الإنصافِ إعطاءُ النِّصفِ؛ فإنَّ الواجِبَ في العُقولِ تَركُ الظُّلمِ على النَّفسِ وعلى الغَيرِ، وذلك لا يحصُلُ إلَّا بإعطاءِ النِّصفِ؛ لكي يُسَوِّيَ بَينَ نَفسِه وبَينَ الغَيرِ)[٧]، وقال النَّيسابوريُّ: (حَقيقةُ الإنصافِ إعطاءُ النِّصفِ، وفيه التَّسويةُ بَينَ نَفسِه وبَينَ صاحِبِه)[٨].

يتضح أن مفهوم الاعتدال يمثل قاعدة أساسية لتحقيق التوازن في مختلف مجالات الحياة، سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي، فالاعتدال يتضمن جملة من المفردات الدالة عليه، مثل العدل، والإنصاف، والوسطية، والمساواة، والاتزان، التي تسهم في تقليل التوترات وتحقيق

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٠٧/٦.
(٢) الأشقر، بصائر تربوية، ص٢٥.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٣٣٢/٩.
(٤) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص٦٠٨.
(٥) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٨٧.
(٦) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٦٥.
(٧) اللباب في علوم الكتاب، ١٣٨/٤.
(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢٧٨/٢.

الانسجام داخل المجتمع، وذلك عندما تتبنى الأنظمة السياسية هذه القيم والمبادئ، حتى لو كان ذلك بحدود نسبية، فإنها تعزز الاستقرار وتقلل من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية. فمثلاً، العدل يضمن توزيع الفرص والموارد بشكل منصف، والمساواة تعزز من شعور المواطنين بالانتماء، بينما الاتزان في اتخاذ القرارات يحافظ على استمرارية التنمية دون إفراط أو تفريط، ومن ثُم الاعتدال ليس مجرد خيار، بل ضرورة لتحقيق التنمية والعيش المشترك بين مختلف فئات المجتمع، مما يرسخ مفهوم الاستقرار على جميع المستويات.

ثانياً- مفهوم الاعتدال في القرآن الكريم وكتب التفسير:

وردت في الآيات القرآنية العديد من المفردات الدالة على مفهوم الاعتدال، وكان في مقدمتها مفردة (العدل) مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، ذكر الطبري في تفسيره معنى الآية، إذ قال: أن الله يأمرُ في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، أي الإنصاف، ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر على إفضاله، وإعطاء ذي القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم، والابتعاد عن الزنا، وكذلك التكبر والظلم، وقوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي يذكركم إيها الناس ربكم لتتذكروا فتتبينوا إلى أمره ونهيه، وتعرفوا الحق لأهله، وهنا تأتي مفردة العدل بمعنى الاقرار والالتزام بأحكامه[2].

كذلك جاء في تفسير الطبرسي معنى الآية، وقال: إن الله يأمر بالعدل، وهو الإنصاف بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج والإِحسان إلى الناس وهو التفضل، ولفظ الإحسان جامع لكل خير والأغلب عليه استعماله في التبرع بإيتاء المال، وبذل السعي الجميل، وأعطاء المقربين حقوقهم، والابتعاد عن المنكرات والتظلم، والتحلي في مكارم الاخلاق، والرجوع إلى الحق الذي أمره به الله[3].

وكذلك جاءت مفردة (يعدلون) في الآيات القرآنية، وهي تدل على مفهوم الاعتدال مثل قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[4]، وجاء في تفسير الطبري لمعنى الآية الكريمة: (وبه يعدلون) أي بالحق يقضون وينصفون الناس[5]، كذلك أشار الطوسي إلى نفس التفسير السابق للآية الكريمة، وقال: (وبه يعدلون) أي المقصود بها جماعة يهدون الناس إلى الحق، لتحقيق العدل والإنصاف[6].

فضلاً عن ذلك، ذكر الطبرسي التفسير ذاته، مشيراً إلى نفس معنى (وبه يعدلون): أي بالحق يحكمون[7].

---

(١) النحل : (الآية ٩٠).
(٢) جامع البيان، ٥٥١/٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٤٥/٦-١٤٦.
(٤) الأعراف : (الآية ١٨١).
(٥) جامع البيان، ٥٢٩/٣.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، ٤٠/٥.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٩٥/٤.

جاءت مفردة العدل في قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1]، جاء في تفسير الطبري لمعنى الآية، قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أي هو خطاب من الله إلى نبيه يأمره فيه بالعدل بين مختلف الفئات والتوجهات الموجودة من الكتابيين وغيرهم في عهد الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، وأكد ذلك في تكملت الآية، قوله تعالى: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي لا خصومة بيننا وبينكم[2].

كذلك جاءت مفردة العدل في، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3]، سار الطبري في تفسيره الى معنى الآية، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ هو خطاب من الله إلى ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانةِ إلى مَنْ وَلُوا أَمْرَهُ في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: يا معشر ولاة أمور المسلمين، إن الله نعم الشيء يعظكم به، ونعمتِ العِظة يعظكم بها في أمره إياكم أن تُؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وأن تحكموا بين الناس بالعدل، ((إن الله كَانَ سَمِيعاً))، يقول: إنَّ الله لم يزل سميعاً بما تقولون وتنطقون، وهو سميع لذلك منكم إذا حكمتم بين الناس ولما تُحاورونهم به، "بصيراً" بما تفعلون فيما ائتمنتُم عليه من حقوق رعيتكم وأموالهم، وما تقضون به بينهم من أحكامكم: بعدل تحكمون أو جور لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، حافظ ذلك كله، حتى يجازي مُحْسِنَكُم بإحسانه، ومسيئكم بإساءته، أو يعفو بفضله[4].

كذلك جاء في تفسير الطبرسي معنى الآية الكريمة، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي أمر الله الولاة والحكام أن يحكموا بالعدل والنصفة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي نعم الشيء ما

(١) الشورى : (الآية ١٥).
(٢) جامع البيان، ٦/٤٨٧-٤٨٨.
(٣) النساء : (الآية ٥٨).
(٤) جامع البيان، ٢/٤٩١-٤٩٢.

يعظكم به من الأمر برد الأمانة والنهي عن الخيانة والحكم بالعدل، وقوله تعالى: ﴿بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً﴾ لجميع المسموعات و(بَصِيرًا) لجميع المبصرات، وقيل: معناه عالم بأقوالكم وأفعالكم[١].

وكذلك ذكر القرآن الكريم مفردات أخرى تدخل ضمن مفهوم الاعتدال مثل (القسط)، (تعدلوا)، (اعدلوا)، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢]، إذ جاء في تفسير الطبري لمعنى الآية الكريمة، بوجود أمر للمؤمنين في إقامة العدل بين الموالين والمخالفين، وأن لا تتجاوزا في افعالكم الحدود المسموح بها، بحيث أوصى بالابتعاد عن الجور، وتحقيق العدل[٣]، وأشار الطبرسي في تفسيره معنى الآية الكريمة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ أي قائمين لله من خلال العمل الصالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجاءت (شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ) أي بالعدل ما معناه كونوا من أهل العدل، أما قوله: ﴿عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أي بمعنى أن يكون حكمكم وسيرتكم بعيدة عن الجور والظلم فهو (أقرب إلى التقوئ)[٤].

وردت كذلك في القرآن الكريم مفردتين (العدل)، (القسط) في موضوع اقتتال طائفتين، إذ جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٥] حيث جاء في تفسير الطبري لمعنى الآية، وقال، جاءت لضرورة الاصلاح بين طائفتين مختلفتين بالعدل والإنصاف، وأكد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي أعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم الرسول، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي أن الله يحب العادلين في أحكامهم والقاضين بين خلقه بالقسط[٦]. وأشار الطوسي في تفسيره إلى نفس الآية الكريمة، وقال هذه

(١) مجمع لبيان في تفسير القرآن، ٣/٩٤-٩٥.
(٢) المائدة : (الآية ٨).
(٣) جامع البيان، ٣/٤٤-٤٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣/٢٤١.
(٥) الحجرات : (الآية ٩).
(٦) جامع البيان، ٧/٨١.

الآية جاءت لتحقيق العدل والإنصاف ما بين طوائف مختلفة، وأن ضلمة أحدهما الأخرى، تقاتل حتى تعود إلى عدل الله وحكمه[1].

وكذلك جاءت مفردتي (القسط)، (اعدلوا) في إحكام مال اليتيم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]. فأشار الطبري في تفسيره إلى معنى الآية الكريمة، وقال، لا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميره، ولا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم والوزن إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم بِالْقِسْطِ: يعني بالعدل، وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم، ذا قرابة لكم، ولا تحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحَقِّ فيما احتكم إليكم فيه[3].

أشار الطباطبائي في تفسيره إلى نفس معنى الآية الكريمة، وقال، أنهى الله عز وجل عن آكل مال اليتيم ولا استعماله ولا أي تصرف فيه إلا بالطريقة التي هي أحسن الطرق المتصورة لحفظه، اما قوله تعالى: ﴿أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي الإيفاء بالقسط هو العمل بالعدل فيهما من غير بخس، أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي ذكر ذي القربي وهو الذي تدعو عاطفة القرابة والرحم إلى حفظ جانبه وصيانته من وقوع الشر والضرر في نفسه وماله يدل على أن المراد بالقول هو القول الذي يمكن أن يترتب عليه انتفاع الغير أو تضرره كما أن ذكر العدل في القول يؤيد ذلك، ويدل على أن هناك ظلماً، وإن القول متعلق ببعض الحقوق كالشهادة والقضاء والفتوى ونحو ذلك[4].

كذلك وردت في الآيات القرآنية الشريفة، مفردة (القسط) والتي جاءت في أكثر من نص قرآني، كقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[5]. أشار الطبري في تفسيره إلى معنى مفردة القسط في الآية الكريمة، والتي تشير إلى ضرورة

(١) التبيان في تفسير القرآن، ٩/٣٤٥-٣٤٦.
(٢) الأنعام : (الآية ١٥٢).
(٣) جامع البيان، ٣/٣٧٩-٣٨١.
(٤) الميزان في تفسير القرآن، ٨/٣٨٨-٣٩٠.
(٥) الممتحنة : (الآية ٨).

تحقيق العدالة في جميع الملل والأديان، وعدم قتالهم خاصة وأنهم لم يقاتلوا المسلمين في دينهم، وأكد ذلك في نهاية الآية الكريمة في، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي أن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم حقهم والعدل من أنفسهم فيبرون من برهم، ويحسنون من احسن إليهم[١]. وأشار أبن كثير في تفسيره إلى نفس الآية الكريمة، لقوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي لا ينهاكم عن الاحسان الى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم، قوله ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ أي تحسنوا إليهم، قوله: ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي تعدلوا، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي العادلين في الحكم[٢].

وكذلك وردت مفردة القسط في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ والمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنْزَلْنا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣]، حيث جاء في تفسير الطوسي لمعنى مفردة (القسط) في هذه الآية بمعنى العدل في مختلف الأمور، علماً أن الخطاب كان موجهاً للناس من المسلمين وغير المسلمين[٤] ، وجاء في تفسير الواحدي الآية الكريمة، لقوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ﴾ أي ليتعامل الناس فيما بينهم بالعدل والحق[٥]، إذ جاء في تفسير ابن كثير إلى نفس الآية في، قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل وهو: اتباع الرسل فيما أخبروه به، وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاؤوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق[٦].

وكذلك ورد في تفسير الطباطبائي معنى الآية الكريمة في، قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ﴾ أي هي غاية متعلقة بإنزال الميزان والمعنى: وأنزلنا الميزان ليقوم الناس بالعدل في معاملاتهم فلا يخسروا

(١) جامع البيان، ٢٧٦/٧-٢٧٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ص١٨٦٠.
(٣) الحديد : (الآية ٢٥).
(٤) التبيان في تفسير القرآن، ٥٣٤/٢٧.
(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٠٧١/٢٧.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ص١٨٣٢.

باختلال الأوزان والنسب بين الأشياء فقوام حياة الإنسان بالاجتماع، وقوام الاجتماع بالمعاملات الدائرة بينهم والمبادلات في الأمتعة والسلع، وقوام المعاملات في ذوات الأوزان بحفظ النسب بينها وهو شأن الميزان[١].

كذلك جاءت مفردة (القسط) في تحقيق عدالة اجتماعية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٢]، إذ جاء في تفسير معنى الآية الكريمة، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ أي ليكن من اخلاقكم وصفاتكم القيام بالقسط، يعني : بالعدل ، وقوله: ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ومعناه : قُومُوا بالقسط لله عند شهادتكم أو حين شهادتكم. وقوله: ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي ولو كانت شهادتكم على أنفسكم، أو على والدين لكم أو أقربكم، فقوموا فيها بالقسط والعدل، وأقيموها على صحتها بأن تقولوا فيها الحق، ولا تميلوا فيها لغني لغناه على فقيرٍ، ولا لفقير الفقرة على غني، فتجوروا. فإن الله الذي سوى بين حُكم الغني والفقير فيما الزمكم، أيها الناس من إقامة الشهادةِ لكلِّ واحدٍ منهما بالعدل[٣]. كذلك أشار ابن كثير في تفسيره لمعنى الآية، وقال، يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه[٤].

كذلك وردت في الآيات القرآنية مفردة (الحق) الدالة على مفهوم الاعتدال وجاء في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٥]، حيث جاء في تفسير الطبري لمعنى الآية الكريمة، وقال، يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد مَنْ كان قبلك من رُسُلِنَا حكماً بين أهلها، (فاحْكُم بينَ النَّاس بالحَقِّ) يعني: بالعدل والإنصاف (ولا تتبع الهوى)، يعني: ولا تُؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحقِّ (فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبيل الله)، يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك

(١) الميزان في تفسير القرآن، ١٧٧/١٩.
(٢) النساء : (الآية ١٣٥).
(٣) جامع البيان، ٥٨٠/٣-٥٨١؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٧٧/٣-١٧٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ص٥٤٢.
(٥) ص : (الآية ٢٦).

على العدل والعمل بالحقِّ عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله[1]، إذ جاء في تفسير الطوسي معنى الآية القرآنية الكريمة، قوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ ومعناها أفصل بين المختلفين من الناس والمتنازعين (بالحق)، بوضع الاشياء مواضعها على ما أمرك الله (ولا تتبع الهوى) أي ما يميل طبعك اليه ويدعوك هواك اليه إذا كان مخالفاً للحق[2].

أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال مفهوم الاعتدال في القرآن الكريم:

١. يؤكد القرآن الكريم على ضرورة الاعتدال في جميع شؤون الحياة، بما يحقق التوزان والاستقامة على الصراط المستقيم.

٢. الدعوة إلى الحوار والمفاوضات السلمية لحل الخلافات.

٣. أمر الله سبحانه وتعالى في العديد من الآيات القرآنية على ضرورة حكم الناس بالحق وعدم الظلم أو التعسف في الحكم، مهما كان موقف أو حال الأطراف المعنية.

٤. حذر من البغي والفساد، والتشديد على الالتزام بالقسط والإنصاف في المعاملات، سواء كانت مع المسلمين وغير المسلمين.

٥. يدعو القرآن الكريم إلى التعايش السلمي والتسامح بين جميع الناس، وعدم التفرقة بينهم أو التمييز في الحقوق والواجبات.

٦. يؤكد القرآن الكريم بشكل واضح على ضرورة أداء الأمانات إلى أصحابها، سواء كانت أمانات مالية أو غيرها، وربط ذلك بالحكم بالعدل والإنصاف بين الناس، وهذا من أهم مبادى الاعتدال في الإسلام.

(١) جامع البيان، ٦/٣٤٤-٣٤٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، ٢٣/٥٥٦-٥٥٧.

ثالثاً- مفهوم الاعتدال في الحديث النبوي الشريف:

وردت الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة الدالة على مفهوم الاعتدال، والمفردات الدالة عليه نذكر منها، (العدل والقسط والمساواة والاستقامة والوسطية والإنصاف) ، وتناولت تلك الاحاديث الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية، مثلما جاء في الحديث النبوي الشريف، قال الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)**[1]، هذا الحديث فيه دليل على يسر الشريعة وأنها راعت قدرة المكلف على فعل التكليف فلا ينبغي للإنسان أن يشدد على نفسه، وقد أجمع كل العلماء والمجتهدين سلفاً وخلفاً، قديماً وحديثاً، تصريحاً وتلميحاً، فهما وتنزيلاً، على يسر الشريعة وسماحتها ووسطيتها واعتدالها، وعلى نفي التكليف بما لا يُطاق، وعلى أن الحرج مرفوع، والعنت مدفوع، وعلى أن سائر الأحكام الشرعية في مجال العبادات والمعاملات والأنكحة والجنايات ميسورة ومسهلة يقدر عليها المكلف في مختلف ظروفه وأحواله[2]، ويبين معنى الحديث في موضع أخر أن الدين بأنه يسر، وبأن الله ما جعل علينا فيه من حرج، وأن الله يريد أن يخفف عنا، كل هذا يدل على أن الغلو في الدين غير مطلوب، بل ليس هو من الدين، وأن التوسط والاعتدال هو سمة الدين ومنهاجه والوسطية بين طرفين: تشدد وتساهل[3].

وجاء في قول الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِداً، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ)**[4]، يبين معنى الحديث (عليكم هديا قاصداً) أي طريقا معتدلاً غير شاق (عليكم هديا قاصداً عليكم هديا قاصداً) يعني الزموا القصد في العمل وهو استقامة الطريق أو الأخذ بالأمر الذي لا غلو فيه ولا تقصير (فإنه) أي الشأن من (يشاد هذا الدين يغلبه) أي من يقاومه ويقاويه ويكلف نفسه من العبادات فوق طاقته يؤدي به ذلك إلى التقصير في العمل وترك الواجبات[5].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ١٦/١؛ البغوي، شرح السنة، ٥٠/٤.

(٢) الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص١١١.

(٣) الشاطبي، الموافقات، ١٤٧/٤.

(٤) ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ٥٨٢/١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٦٢/١.

(٥) القاهري، فيض القدير الشرح الجامع الصغير، ٣٥٣/٤.

وورد حديث أخر للرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، قال فيه: **(كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)**[1]، يبين معنى الحديث (كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة) أي يعني تصلح بين الخصمين وتدفع الظلم عن المظلومين[2].

ومن الاحاديث التي وردت فيها مفردة (عدل) قول الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سُلطانٍ جائرٍ أو أميرٍ جائرٍ)**[3]، يبين معنى الحديث (أفضَلُ الجِهادِ)، أي: أعظَمُ وأنفعُ الجِهادِ الذي يكونُ في سَبيلِ اللهِ تَعالى، (كَلِمةُ عَدلٍ)، أي: أمرٌ بمَعروفٍ أو نَهي عن مُنكرٍ أيا كانت صُورتُه قَولًا أو كتابةً أو فِعلًا، (عندَ سُلطانٍ جائرٍ، أو أميرٍ جائرٍ) أي: إنَّ تلكَ الكَلمةَ بالعدلِ والحق موجهة لوليّ أمرٍ يَلِي مِن أمورِ المسلِمينَ ما يَلي وظهرَ مِنه أنه ظالمٌ واشتَهرَ بذلك ورُبما آذَى مَن يأمُرُه أو يَنهاهُ فجعلَ اللهُ أجرَ مَن يأمرُه بالعَدلِ والمعروفِ ويَنهاهُ عنِ المنكرِ أنَّه في أعلى مراتبِ الجِهادِ؛ وذلكَ أنَّ وليَّ الأمرِ لو أخَذَ بِكَلمَتِه لربَّما عمَّ النفعُ عددًا كبيرًا من الناسِ فتحصُلُ المصلحةُ[4].

وقول الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(من طلبَ قضاءَ المسلمينَ حتَّى ينالَهُ ثمَّ غلبَ عدلُهُ جورَهُ فلهُ الجنَّةُ ومن غلبَ جورُهُ عدلَهُ فلهُ النَّارُ)**[5]، يبين معنى الحديث (حَتَّى يَنَالهُ): أَي إِلَى أَنْ يدْرك القَضَاء ، (ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ): أَيْ كان عدله في حكمه أَكثر مِن ظُلْمه كَما يُقال غَلَب على فلان الكرم أَي هو أَكثر خِصَاله وَظَاهِره أَنَّهُ لَيْسَ مِن شَرط الْأَجر الَّذِي هو الْجَنَة أَنْ لَا يَحصُل منْ الْقَاضِي جَوْر أَصْلً، بَلْ الْمُرَاد أَنْ يَكُون جَوْره مَغْلُوبًا بِعَدْلِهِ، فَلَا يَضُرّ صُدُور الْجَوْر الْمَغْلُوب بِالْعَدْلِ، إِنَّمَا الَّذِي يَضُرّ وَيُوجِب النَّار أَنْ يَكُون الْجَوْر غَالِبًا لِلْعَدْلِ[6].

ومن المفردات الدالة على مفهوم الاعتدال هي مفردة (قسط)، وجاءت في العديد من الاحاديث النبوية، نذكر منها قول الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ**

(١) البخاري، صحيح البخاري، ٥٦/٤.
(٢) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح، ٥٣٤/٢.
(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ١٤٤/٥؛ أبي دواد، سنن أبي دواد، ١٣٤/٤.
(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ٣٣٠/٦.
(٥) أبي دواد، سنن أبي دواد، ٢٩٩/٣؛ البيهقي، السنن الكبرى، ١٥١/١٠.
(٦) العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي دواد، ٣٦٢/١٠.

نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)[1]، ويبين معنى الحديث (إن المقسطين) أي: أهل العدالة الذين يعدلون، والمسلم يعدل مع من يحب ومع من يبغض، يعدل مع صديقه، ويعدل مع عدوه، قال (عليه الصلاة والسلام): **(المقسطون عند الله على منابر)** المنابر هي الكراسي العالية، فيجعل الله عز وجل له منبراً يوم القيامة يجلس عليه، وهذا الكرسي من نور، فما صفاتهم؟ قال: (الذين يعدلون في حكمهم)، الولاة والأمراء والحكام الذين يحكمون فيعدلون بين الناس في حكمهم، لكن هل كل الناس حكام؟ لا، ولذلك قال: (الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم) رجل يعدل مع أولاده وبناته، فيعطي هذا ويعطي هذا، لا يميز البعض على الآخر، يعدل مع أولاده ومع أهله، يتزوج أكثر من واحدة فيعدل مع هذه وهذه، هذه لها ليلتها، وهذه لها ليلتها، يعدل مع أبيه ومع أمه، فيظهر المحبة لهذا ولهذا، ولا يميز بينهما فيغضبهما فيكون ذلك من العقوق، فهو يعدل مع أهله، ويعدل في حكمه، يعدل في ولايته، وفي كل ما تولى عليه فهو يعدل فيه[2].

ومن الاحاديث الأخرى قول الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ)**[3]، ويبين معنى الحديث (ذو سلطان مقسط) أي حاكم عادل بين من ولاه الله عليه، (متصدق موفق) أي مسدد لفعل الخيرات، (رجل رحيم) أي كثير الرحمة والإحسان (رقيق القلب) أي لينه عند التنكر والموعظة ويصح أن يكون بمعنى الشفيق (لكل ذي قربى) أي لكل صاحب قرابة ولكل (مسلم) ومسلمة، (عفيف) أي متصف بالعفة، (متعفف) أي متكلف بالعفة مكتسب لها، (ذو عيال) أي متعفف عن كسب الحرام وإن كان ذا عيال[4].

وردت أحاديث نبوية تدل على الاعتدال من خلال الاستقامة مع النفس والاخرون، إذ قال الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ)**[5]، يبين معنى الحديث (لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ) والمراد باستقامة إيمانه: استقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب: أن يكون ممتلئاً بمعرفة الله ومحبته، ومحبة طاعته، وكراهة معصيته، وعظمته، وخشيته، والتوكل عليه، (وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ

(١) النيسابوري، صحيح مسلم، ١٤٥٨/٣.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢١١/١٢.

(٣) النيسابوري، صحيح مسلم، ٢١٩٧/٤.

(٤) الشافعي: كوكب الوهاج في شرح صحيح مسلم، ٢٠/٢٦.

(٥) أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٣٤٣/٢٠؛ القضاعي، مسند الشهاب، ٦٢/٢.

لِسَانُهُ) فاللسان والقلب مرتبطان، واللسان ترجمان لما في القلب، وهو الذي يعبر عما يعقد عليه من الايمان أو الكفر، فيجر صاحبه إما إلى الجنة، وإما إلى النار[١].

ووردت أحاديث نبوية شريفة تؤكد ضرورة الاعتدال، وعدم ظلم المعاهدين إذ جاء في قول الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(ألا مَن ظلمَ مُعاهدًا، أوِ انتقصَهُ، أو كلَّفَهُ فوقَ طاقتِهِ، أو أخذَ منهُ شيئًا بغَيرِ طيبِ نفسٍ، فأَنا حَجيجُهُ يومَ القيامةِ)**[٢]، ويبين معنى الحديث (ألا من ظلمَ) هو وضع الشيء في غير موضعه، (مُعاهداً) أي ذمياً من أهل الكتاب أو مستأمناً من المسلمين على نفسة وماله، (أو انتقصَهُ) أي نقص شيئاً من حقه، (أو كلَّفَهُ فوقَ طاقتِهِ) أي أخذ أكثر مما هو مستحق عليه في الجزية وغيرها، (أو أخذَ منهُ شيئًا بغَيرِ طيبِ نفسٍ) أي أخذ منه شيئاً بغير رضاه، وهو غير مستحق لأخذه، (فأَنا حَجيجُهُ يومَ القيامةِ) أي أن النبي محمد (صلّى الله عليه واله وسلم) خصمه يوم القيامة[٣].

ومن المفردات الدالة على مفهوم الاعتدال مفردة (لا تشددوا) إذ قال النبي محمد (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ والديار)**[٤]، يبين معنى الحديث (لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي بالأعمال الشاقة كصوم الدهر وإحياء الليل كله واعتزال النساء لئلا تضعفوا عن العبادة وأداء الحقوق والفرائض، (فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) أي: يفرضها عليكم فتقعوا بالشدة أَو بانْ يُفوت عَلَيْكم بَعض مَا وَجب عَلَيكم بِسَبب ضَعْفِكم مِنْ تَحَمل الْمَشَاق، (فَإِنَّ قَوْمًا) أي: من بني إسرائيل، (شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) أي: بِالْعِبادات الشَّاقة، وَالْمجاهدات التامة، فَشدد اللَّهُ عَلَيهم بِإِتمامها وَالْقيام بِحقوقها، (بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ) أي: في صوامع النصارى ومعابد اليهود[٥].

(١) عبد الجبار، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، ٢٧٠/٣.
(٢) أبي دواد، سنن أبي دواد، ١٧٠/٣؛ البغوي، شرح السنة، ١٨٠/١١.
(٣) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٦٢٥/٦.
(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ٧٣/٦؛ البيهقي، شعب الايمان، ٣٩٤/٥.
(٥) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١ / ٢٦٦.

- أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال مفهوم الاعتدال في الحديث النبوي الشريف:

١. تشير مجموعة من الأحاديث النبوية إلى اعتدال الرسالة الإسلامية، التي جاءت كوسط بين الأديان الأخرى، فالإسلام يُعتبر دين السماحة، واليسر، واللين، والعدل، والخير، وأنه ينهي عن التعمق والتشدد، ويأمر بالقصد والسداد، ويعزز الأخذ بالوسط في جميع الأمور.

٢. تتسم الرسالة الإسلامية بعدم الإعنات أو التشديد على المكلفين، مما يتماشى مع الفطرة البشرية التي تميل إلى اليسر والرفق، وتنفُر من التعقيد.

٣. تُظهر هذه الرسالة الحنفية السمحة ملاءمتها لجميع الناس في مختلف الأزمان والأماكن، مما يجعلها رسالة معتدلة، وخاتمة، وناسخة.

٤. تعزز الأحاديث النبوية الشريفة من مفهوم الاخوة والرحمة بين المسلمين، مما يسهم في بناء مجتمع متعاون يدعم بعضه البعض ويعمل على تحقيق الاعتدال الاجتماعي والرفاهية للجميع.

٥. يحث النبي (صلّى الله عليه واله وسلم) من خلال مفهوم الاعتدال في الأحاديث النبوية الشريفة على التعامل مع المعاهدين باللين والرفق، وعدم الظلم والتعسف، ويعتبر هذا التوجيه جزءًا من القيم الإنسانية التي يرسخها الإسلام.

٦. تؤكد الأحاديث النبوية الشريفة على أهمية الوقوف ضد الحكام الظالمين، موضحه أن هذا يعتبر نوعاً من الجهاد، ويعكس هذا المفهوم القيم الإسلامية التي تدعو إلى العدل والاعتدال، ويساهم في تعزيز حقوق الافراد والمجتمعات.

رابعاً- الجذور التاريخية لسياسة الاعتدال في التاريخ الإسلامي (١-١٨٤هـ/٦٢٣-٨٠٠م):

شهد التاريخ الإسلامي الكثير من المواقف المتصفة بالاعتدال بمفهومة الواسع، بداً من أيام الرسول محمد (صلّى الله عليه واله وسلم) الذي حرص في مواقفه وقراراته على الاعتدال، وسنذكر البعض منها، حيث عدت المؤاخاة إشعاراً متيناً بالمساواة والوحدة بين الجماعة المؤمنة عملياً، فقد قضت على الثغرات السابقة، وذلك بجمع القلوب، فالفرد يتحرك بروح الجماعة، وبذلك تذوب عصبيات الجاهلية، وتسود العدالة وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد إلا بتقواه[١]، ولا يخفى ما في المساواة في الإسلام من آثار اجتماعية بالغة، فهو دين الناس جميعاً عربياً كان أم غير عربي، ورسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم) ينادي (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل العربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)[٢]، حيث آخى الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم) بين كل مهاجري وأنصاري اثنين اثنين، بحيث لم يبق أحد من المهاجرين إلا وله أخ من الأنصار، وكانت المؤاخاة على الحق والمواساة، والتوارث دون القرابات، وأنها استمرت إلى غزوة بدر حين[٣]، إذ نزل قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، فردَّ التوارث إلى ذوي الأرحام، وبقيت أخوة الإسلام[٥]، وكان عدد المتآخين تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار[٦]، لقد كان تشريع التوارث في نظام المؤاخاة أمراً زاد من قوتها، حيث يرقى بالعلاقات الاجتماعية إلى مستوى أعمق وأعلى من أخوة الدم[٧]، فضلاً عن أن النبي (صلّى الله عليه واله وسلم) وضع دستوراً للمدينة مملوءاً بالقيم والقوانين التي تصون العدالة الاجتماعية وتحقق الاعتدال، فلم يتركها فقط لقلوب الناس لأنها تفسد كما يفسد الطعام، وكان هذا الدستور أو صحيفة المدينة قد أقرت رسميا العدالة الاجتماعية بشتى أبعادها، وقد حرص النبي على تتكاتف كل فئة مع نفسها، ومع غيرها ووضع فيها أسس التعاون مع

(١) أبو زهرة، خاتم النبيين، ٦٦٣/٢.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤٧٤/٨؛ البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة، ٢٢٦/٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٧/٣.

(٤) الانفال : (الآية ٧٥).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢٦/٣.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٣/٢-١٧٤.

(٧) العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ٢٤٤/١.

غير المسلمين وأن فيها المقدم هو صاحب التقوى والأنفع للمجتمع[١]، نذكر من ذلك، البند السابع من دستور المدينة والذي يقول فيه النبي (صلّى الله عليه واله وسلم): **(أن لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يؤذي إلا نفسة وأهل بيته، إن على اليهود نفقتهم وعلى مسلمين نفقتهم)**[٢]، وفي البند الثالث عشر من الوثيقة والذي يقول فيه النبي (صلّى الله عليه واله وسلم): **(وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم)**[٣]، وأيضا يلاحظ في البند (السابع عشر) قول النبي (صلّى الله عليه واله وسلم): **(وأن المؤمنين يكف بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله)**[٤].

أيضاً يمكننا النظر إلى الوقائع التاريخية المهمة للاعتدال، والتي تمس جانب التعايش السلمي بين المسلمين وأهل الذمة، ويمكن اتخاذها أنموذجاً ونبراساً تهتدي به البشرية، وفيما يلي نعرض بعض هذه النماذج في التعايش مع أهل الذمة:

عندما مرت جنازة يهودي، قام لها رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم)، فقيل له: إِنهَا جنازة يهودي، فقالَ: **(أَلَيْسَتْ نَفْساً)**[٥].

يذكر أَنَّ غلاماً يَهودياً كانَ يخدم النَّبِيَّ (صلّى الله عليه واله وسلم)، فمرض، فَقَالَ رسول اللَّهِ (صلّى الله عليه واله وسلم)، لِأَصحابه: أذهبوا بنا إِلية نعوده فَأَتوه، وَأَبوه قَاعد عَلَى رأسه فَقَالَ لَهُ، رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه واله وسلم): قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْفَعُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَعجل الغلام ينظر إلى ابيه، فقال له أبوه: انظر مَا يقول لك أبو القاسم، فقالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ محمد رَسُولَ اللَّهِ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه واله وسلم): الحمد الله الذي أنقذه من نار جهنم[٦].

كذلك ورد أن يهود أَتوا إلى النبي (صلّى الله عليه واله وسلم)، فَقَالُوا: السام عليكم، فقالت، عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم، قَالَ (صلّى الله عليه واله وسلم): (مهلاً يا عائشة، عليكِ بالرفق،

(١) العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ٢٧٥/١.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٥/٣؛ العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٢٥١/٤.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٩/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٤/٣.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٩/٢-٣٥٠.
(٥) ابن الجعد، مسند ابن الجعد، ٢٧/١؛ أبن أبي شيبة؛ مسند بن أبي شيبة، ٦١/١.
(٦) البخاري: صحيح البخاري، ٩٤/٢؛ ابن حبان: صحيح ابن حبان، ٢٢٧/٧.

وإياك والعنف والفحش)، قالت: أَولم تسمع ما قالوا؟ قَالَ (صلّى الله عليه واله وسلم): (أَولم تسمعي مَا قلتِ؟ رددتِ عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في)[١].

لم تختلف سياسة الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم) في تعامله مع النصارى، بل هي سياسة تحتل النموذج الأول في الاعتدال والبعد عن العصبية الدينية، وهي لا تفرق مع غيرهم من فئات المجتمع، وهنا لا بد من ذكر بعض المواقف التي تعامل بها مع النصارى، نذكر منها أن وفداً من نصارى نجران[٢]، وفد على المدينة لمقابلة الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم) وكان ذلك سنة (٩هـ/٦٣١م)، وكان فيهم ثلاثة رهبان من علمائهم، وقد استقبلهم الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، ودارت بينهم مناظرة حول صفة المسيح عيسى ابن مريم، فهم يرون أنه ابن الله والرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، يؤكد بشرية المسيح، فما زال الجدال بينهم حتى انتهوا إلى المباهلة وهي الدعاء إلى الله برفع الأكف بأن يهلك المبطل منهما وينجي المحق، فأحضر الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم) علياً وابنته فاطمة والحسن والحسين ليدعو، لكن الرهبان امتنعوا[٣]، وقد ورد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٤]، وانتهى بمصالحة أهل نجران على الجزية وبعث أبي عبيدة بن الجراح[٥]، إليهم بعدما سألوا الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم) أن يبعث معهم رجلاً أمينا من أصحابه[٦].

ولقد جاء في كتاب رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم)، لأهل نجران: (ولنجران وحاشيتهم جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم) على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم،

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ١٢/٨؛ النيسابوري: صحيح مسلم، ١٧٠٦/٤.

(٢) وهي مدينة في مخاليف اليمن من ناحية مكة، سميت بنجران نسبةً إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من نزلها وعمرها، عرف أهل هذا المنطقة الديانة النصرانية عن طريق شخص دخلها يدعى فيميون. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٦٦/٥.

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ٢٢٥/٥.

(٤) آل عمران : (الآية٦١).

(٥) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال، المكنى أبو عبيدة، أسلم في بداية دعوة الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، شهد بدراً واليرموك، وفتح بلاد الشام، ومات في طاعون عمواس في الشام سنة (١٨هـ/٦٣٩م). ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٣٧/١.

(٦) النيسابوري، صحيح مسلم، ١٨٨١/٤.

وغائبهم، وشاهدهم، وبيعهم، وصلواتهم لا يغيروا أسقفاً عن أسقفيته، ولا راهباً عن رهبانيته، ولا واقفاً عن وقفانيته)[١].

ولما قدم وفد نجران على رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم)، دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم)، **(دَعُوهُمْ فَاسْتَقْبَلُوا الْمَشْرِقَ، فَصَلَّوْا صَلَاتَهُمْ)**[٢].

وكذلك من الاحداث الواضحة في سياسة الاعتدال هي غزوة تبوك (٩هـ/٦٣١م)، عندما كان الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، يريد الروم ونصارى العرب بالشام، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح[٣]، ووفد أيله[٤]، حيث صالحهم رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم) على الجزية وكما موضح في النص : (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد صلى الله عليه واله وسلم، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة)[٥].

يظهر من السابق أن الجذور التاريخية في عهد الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم) كانت غنية بالمواقف والقرارات التي تعكس اعتدالًا ملحوظًا، من خلال تعزيز الروابط بين المسلمين، حيث أرسى دعائم ميثاق ينظم الحقوق والواجبات، ووضع القوانين لحماية دماء المسلمين وغيرهم، كما تعامل مع أهل الذمة بسياسة قائمة على الاعتدال، حيث كان يزور مرضاهم ويُعبر عن حزنه لفقدانهم، فضلاً عن مناظرته لهم في المسائل الدينية بكل حرية، الامر الذي يدل على الاعتدال والتسامح.

إما في عصر الخلافة الراشدة، فقد شهدت بعض القرارات والإجراءات المعتدلة والبعض الاخر بعيد عن سياسة الاعتدال، ونذكر مثال ذلك الإجراءات والمواقف غير المعتدلة التي اتخذها الخليفة الأول

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٦٨/١.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٥٠/٣؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ٦٥/١٤.

(٣) وهو أسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء، وعمان مجاورة لأرض الحجاز. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٢٩/١-١٣٠.

(٤) وهي مدينة صغيرة على ساحل بحرم القلزم، مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، بها زرع يسير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٩٢/١-٢٩٣.

(٥) النيسابوري: صحيح مسلم، ٢١٢١/٤؛ البيهقي: دلائل النبوة، ٣٢٩/٥.

(١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) وبعد توليه الخلافة، لم يبث اياماً قلائل حتى امتنع العرب المسلمين في شبة الجزيرة عن المبايعة له وعدم دفع الزكاة، فأصر الخليفة الاول على محاربتهم دون الرجوع إلى الحلول السلمية[١]، على الرغم من تدخل عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، فلو أغمضت وتجافيت عن زكاة هؤلاء العرب في عامك هذا ورفقت بهم، الرجوت أن يرجعوا عن ما هم عليه، فقد علمت أن النبي (صلّى الله عليه واله وسلم) كان يقول: **(أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وإني محمد رسول الله، فإذا قالوها فقد عَصَمُوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)**[٢]، فقال الخليفة الأول: والله لو منعوني من الزكاة عقالاً لقاتلتهم، فأمر بقتالهم، فسير جيشاً، وكان قائد هذا الجيش خالد بن الوليد، فقام خالد بمهاجمة قبائل بني أسد وغطفان وفزارة وقتل الكثير منهم، وبعدها توجه لمقاتلة قبائل بني تميم، على الرغم أن الكثير من الصحابة والجند تخلفوا ورفضوا مقاتلة بني تميم، إلا أنه قرر المسير بمن بقي معه[٣]، وعندما وصل قبائل بني تميم، طلب منهم دفع الزكاة، فخرج له مالك بن نويرة[٤]، رافضاً دفع الزكاة، وعندما امتنع مالك عن دفع الزكاة، هاجم خالد بن الوليد القبائل' وقبض على مالك بن نويرة وبني عمومته[٥]، فأمر خالد بضرب أعناق بني عمه[٦]، ثم تقدم خالد وضرب عنق مالك بن نويرة، وبعدها تزوج زوجة مالك[٧].

يتضح من السابق أن الخلافة الراشدة في عهد الخليفة الأول ابتعدت كل البعد عن سياسة الاعتدال والمساواة، والتجأت إلى استخدام سياسة القوة والقمع مع المعارضين لحكمهم دون الوصول إلى حلول سلمية بين الطرفين.

أما في عهد الخليفة الثاني (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) فقد شهدت مدة حكمه بعض المواقف التي يمكن القول عنها، انها مواقف معتدلة، والتي كانت في جوانب عديدة، سواء كانت سياسية أو قضائية

(١) الواقدي: الرّدة، ص٤٨.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ٤٨/٤؛ الترمذي: سنن الترمذي، ٥ / ٧١٧.

(٣) الواقدي، الرّدة، ص ١٠٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ٢٩/٥.

(٤) مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبيد بن يربوع التميمي، ينكى أبا حنظلة، ولد سنة ٤٠ قبل البعثة، أسلم بعد فتح مكة، كان يمثل هامة الشرف في بني تميم وعرين المجد في بني يربوع، قتل على يد خالد بن الوليد سنة (١١هـ/٦٣٢م). ينظر: المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤٦٠/٢.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٧٧/٣؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٥٠٠/٢.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٠/٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣/٣.

(٧) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ١٣٥/١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦٠/٤.

أو اجتماعية، ومن بين تلك المواقف، أن رجل من أهل مصر جاءه يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلاً: (يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذاً قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو، يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأمين، قال أنس فضرب، فو الله؛ لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه. فقال عمر لعمرو: مالكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني)[1].

كذلك أن الخليفة الثاني كان يدعوا عماله أن يوافوه بالمواسم، فإذا اجتمعوا قال: (أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل بغير ذلك فليقم، فما قام أحد إلا رجل واحد قام، فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك ضربني مائة سوط، قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال، أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه، قال: فدعنا فلنرضه، قال، دونكم فارضوه، فافتدى منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين)[2].

ومن الروايات الدالة على الاعتدال، أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي: (والله لقد قضيت بالحق)[3].

يتضح من السابق على الرغم من بعض المواقف التي ذكرت سياسة اعتدال لهذا الخليفة، لكن هذا لا يعني أن سياسته كانت معتدلة، أنما كانت هناك الكثير من الإجراءات التي اتخذ بها طابع العداوة وعدم العدالة، وذلك عندما يتعلق الامر بمصلحتهم، مثال ذلك تأييده في سقيفة بني ساعده لموضوع الخلافة لابي بكر من دون وجود صاحب الحق الشرعي امير المؤمنين علي (عليه السلام) وما يلحق ذلك من تجاوز لوصية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في بيعة غدير خم[4].

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ٦٥٩/١٢؛ الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٨٩.
(٢) مالك بن أنس، الموطأ، ٧١٩/٢؛ ابن عبد البر، الاستذكار: ٩٧/٧.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٧/٢ وما بعدها؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/٢ وما بعدها.
(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٢.

أما الخلافة في عهد الخليفة الثالث (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٥م)، الذي تولى الحكم نتيجة الشورى السداسية التي أوصى بها الخليفة الثاني[١]، إذ شهدت خلافته انحرافاً واضحاً عن سياسة الاعتدال والتوازن، وعدم الرجوع إلى الحلول السلمية في أغلب قراراته، وسنذكر مجموعة من الإجراءات والمواقف التي كانت غير معتدلة في عهده:

لما قتل أبو لؤلؤة[٢]، الخليفة الثاني قام عبيد الله بن عمر[٣]، بقتل كل من الهرمزان[٤]، وبنت أبو لؤلؤة ثأراً لدم أبيه، فسُجن لقتله إياهم بدون ذنب، وقد قال علي عليه السلام لعبيد الله بن عمر ما ذنب بنت أبي لؤلؤة حين قتلتها، فاستشار عثمان الصحابة فأشار عليه الإمام علي (عليه السلام) وأكابر الصحابة بقتل عبيد الله، ولكن عثمان خلّى سبيله بسبب وساطة عمرو بن العاص[٥].

كذلك من المواقف غير المعتدلة في عهد هذا الخليفة هي معاملته لأبي ذر الغفاري[٦]، وذلك لما بلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويجتمع إليه الناس، فيحدث بما فيه الطعن عليه بما أحدثه من أمور، ولومه الأمة بعدم توليتها لأمير المؤمنين علي عليه السلام فقد قال: أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أما لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٥/٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٢١.

(٢) شجاع الدين فيروز، المكنى أبو لؤلؤه نسبتاً لابنته، أصله من بلاد فارس (نهاوند)، اسرة الروم ثم اسرة المسلمين من الروم وسبي إلى المدينة المنورة سنة (٢١هـ/٦٤٢م)، وعرف عنه قاتل عمر بن الخطاب سنة (٢٣هـ/٦٤٤م). ينظر: الاصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، ٣٨٤/٤.

(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي، يكنى أبو عيسى، ولد أيام الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وقد قتل مع جيش معاوية في معركة صفين سنة (٣٧هـ/٦٥٧م). ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٦/٣٨-٥٧.

(٤) أحد قادة الفرس في الاهواز، أبان الفتح الإسلامي، وأسر في إحدى المعارك التي شنها المسلمين على الاهواز، وآتي به إلى المدينة، وبقي في السجن، حتى أعلن اسلامه سنة (١٦هـ)، أتهم بمقتل عمر بن الخطاب. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٤/٤.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٨/٣٨.

(٦) جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حزام، يكنى أبا ذر نسبةً لابنته، من قبيلة غفار من بني كنانة، كان من اعلام الصحابة وزهادهم والمهاجرين، كان من الأوائل الذين أسلموا في مكة، وبعد اسلامه انصرف إلى قومة فأقام عندهم إلى أن قدم المدينة على النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، توفى في قرية من قرى المدينة (الربذة) سنة (٣٢هـ/٦٥٣م). ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٧٤/٦٦-١٧٥.

من كتاب الله وسنة نبيه، فأما إذ فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، الامر الذي جعل الخليفة عثمان يقوم بتهجيره إلى الشام، وهناك بدأ يذهب للمجالس، فيقول كما كان يقول، فكتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر، فأجابه عثمان: أن احمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة، وقد ذهب لحم فخذيه، فلم يقم بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل إليه عثمان وقال له: والله لتخرجن عنها، فقال: أتخرجني من حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: نعم، وأنفك راغم، ولم يرضَ عثمان ذهابه إلى مكة ولا البصرة ولا الكوفة، بل أمر مروان بن الحكم(١)، بإخراجه إلى الربذة(٢)، ليموت فيها، وأمر أن لا يُكلمه أحد حتى يخرج من المدينة(٣).

وكذلك كتب بعض الصحابة كتاباً لعثمان وضّحوا فيه اعتراضهم على أفعاله، فقالوا: من يذهب به إليه؟ فأخذه عمار بن ياسر(٤)، فلما قرأه عثمان، قال، أرغمَ اللهُ بأنفك، فقال عمار: وبأنف أبي بكر وعمر، فقام عثمان وضربة حتى غُشي عليه، ثم أرسل إليه الزبير(٥)، وطلحة(٦)، يسترضيه لما فعل به، فلم يقبل عمار ولم يعذره، وقال: لا أقبل منه شيئاً حتى ألقى اللَّه(٧).

---

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس، خليفة أموي، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب (بنو مروان)، ولد بمكة سنة (٢-٦٢٣هـ)، وسكن المدينة، فلما كانت أيام عثمان اتخذه كاتبا له، توفى سنة (٦٥-٦٨٥هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٢٠٧/٧.

(٢) وهي قرية من قرى المدينة على ثلاث أيام قريبة من ذات عرق عن طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٤/٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٧٥/١.

(٤) عمار بن ياسر بن عامر الكناني، المكنى أبو اليقظان، يعد من الأولين من المهاجرين لتقدم إسلامه ورسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بمكة وشهد بدرا وأحدا والخندق، وكان ممن يعذبه المشركون بمكة في صدر الإسلام ومر به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وبأبيه وهم يعذبون لأجل إسلامهم فقال اصبروا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة وعاش عمار إلى خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد مع علي حروبه وقتل بين يديه بصفين سنة (٣٧هـ/٦٥٧م). ينظر: الخطيب البغدادي، المتفق والمفترق، ١٧٤٩/٣.

(٥) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، وأمه، صفية بنت عبد المطلب، وأسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، شهد بدر واليرموك، وقتل في معركة الجمل سنة (٣٦هـ/٦٥٦م). ينظر: الشافعي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ٣٠٣/١-٣٠٤.

(٦) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التميمي، أسلم في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وقتل في معركة الجمل سنة (٣٦هـ/٦٥٦م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٧١/١٦.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٧/٥.

ومن الروايات المذكورة أن عبدالله بن مسعود[١]، خرج ذات يوم على المسلمين وهم في المسجد، وقد كان أمين بيت مال الكوفة، وكان أمير الكوفة الوليد بن عقبة[٢]، وقد أخذ من بيت مال المسلمين مائة ألف، فقال ابن مسعود: يا أهل الكوفة، فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين، ولم يكتب لي بها براءة، فكتب الوليد لعثمان بذلك فعزل ابن مسعود عن بيت المال[٣].

خاصةً إذا علمنا أن الخليفة هو من ولاه الوليد بن عقبة أمارة الكوفة سنة (٢٦هـ/٦٤٦م) بعد عزله سعد بن أبي وقاص[٤]، فصلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران (شرب الخمر)، ثم التفت إليهم فقال: وإن شئتم زدتكم، فقامت عليه البينة بذلك عند عثمان، فقال لطلحة: قم فاجلده، قال لم أكن من الجالدين، فقام إليه الامام علي عليه السلام فجلده[٥].

وبسبب تلك القرارات غير المعتدلة، قامت على الخليفة عثمان بن عفان ثورة هائجة من بعض الامصار الإسلامية وفي مقدمتها مصر والكوفة والبصرة، ولما اقتربوا من المدينة استنجد عثمان بالأمام علي (عليه السلام)، ليخرج لهم ويردهم إلى بلادهم، فذهب الامام علي (عليه السلام) لهم وأقنعهم بالرجوع لأهلهم، واقتنعوا، ورجع وأخبر عثمان بالرجوع لأهلهم، وقال له (أن يخطب بالناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع له من الأثرة لبعض أقاربه، ويُشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك، فاستجاب عثمان لذلك، فخطب يوم الجمعة بالناس وأعلن توبته)[٦].

فجاء مروان بن الحكم ولامه على إظهاره التوبة، وخرج مروان وأغلظ بالكلام على الناس، ونقض كل ما قاله عثمان بإعلان توبته، وعندما علم الامام علي عليه السلام بالأمر غضب ودخل على عثمان،

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، المكنى أبو عبد الرحمن، من كبار الصحابة، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم) وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين، ينظر، الزركلي، الأعلام، ١٣٧/٤.

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان، يكنى أبو هب، اخو عثمان بن عفان من أمه آروى بنت كريز بن ربيعة، وتولى امارة الكوفة في عهد عثمان بن عفان، ينظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٧٦/٢٧.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٧/٥.

(٤) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري، يكنى أبو إسحاق، أسلم وهو ابن ١٧ سنة، وشهد بدار، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة، وابتنى بها دارا فكثرت الدور فيها، وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب، وأقره عثمان زمنا، ثم عزله، توفى سنة (٥٥هـ/٦٧٥م). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٨٧/٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٥١/٤؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٨/٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٠/٤؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٩/٥.

وقال له: أما رضيتَ من مروان ولا رضي منك إلَّا بتحْويلك عن دينك وعقلك، وإنَّ مثلك مثل جمل الظَّعينة سار حيثُ يسار به، واللَّه ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وأيمُ اللَّه إنّي لأراهُ سيُوردُكَ، ثُم لا يُصدرُكِ، وما أَنَا بعائد بعد مقامِي هذا لمعاتبتك، أَذهبتَ شرفكَ، وغُلبتَ على أَمرِكَ[1].

وعندما عرف الثوار بنكث عثمان لوعده، تكاتب أهل الامصار وساروا إلى المدينة، ولما وصلوا إلى مشارف المدينة خرج إليهم الامام علي (عليه السلام) وكلمهم وعادوا[2]، وفي عودتهم إلى ديارهم أمسكوا غلام أرسلة عثمان يأمر ولاة الامصار بقتل الثوار[3]، فعادوا إلى المدينة مرة آخره، وحاصروا بيت عثمان أربعون يوم، وبعدها دخلوا عليه وقتلوا[4].

يظهر من السابق أن سياسة عدم الاعتدال التي سار بها الخليفة عثمان بن عفان، في العديد من القرارات التي وضعها سببت تلك الحركة أو الثورة التي جاءت ضده، وأدت بالنهاية إلى اضعاف الخلافة الإسلامية بشكل عام.

أما سياسة الاعتدال فقد تجلت بوضوح في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ اقترن اسمه بالاعتدال، فقد كان يأنس بالعدالة ويهتم بها، ويأمل في تكوين مجتمع يقوم على أساس القسط والعدل، ويتخذ أسلوبه في تطبيق العدالة كقدوة في برنامجه الذي يسعى إلى تطبيقه، لم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) يرضى بالكف عن تطبيق العدالة والتراجع عنها مهما كلف الثمن، ولم يرض أن يتخطى العدالة خطوة، حتى من أجل تثبيت أركان حكومته الفتية وأبى أن يساوم أو يتبع المصالح السياسية مهما عظم الثمن، فإن عدالته (عليه السلام) كانت ذكراً يلهج به لسان الخاص والعام، والعدو والصديق، حتى تسبب عدله في قتله (عليه السلام)، وإذا أردت البحث والتعرض في سياسته العادلة لأحتاج إلى مجلدات طوال، ولكن سأكتفي ببعض تلك النماذج، من خلال الخطب والوصايا التي الزم بها عماله حيث أن الامام علي عليه السلام كتب عهداً إلى عاملة على مصر مالك الأشتر النخعي[5]،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٣/٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٩/٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٣٧/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٤/٧.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٣٧/٢.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٠/٥-٤١؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٥٥/٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٣١/٢.

(٥) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، ولد سنة (٢٥ق. هـ)، أسلم في عهد الرسول (صلّى الله عليه واله وسلم) وكان من المخلصين في ايمانه واسلامه، شهد اليرموك والجمل وصفين والكثير، ولى مصر في عهد الامام علي (عليه السلام)، وتوفى سنة (٣٧هـ/٦٥٧م). ينظر: الزركلي، الاعلام، ٢٥٩/٥.

يظهر فيه بوضوح تلك السياسية، إذ قال : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وجِهَادَ عَدُوِّهَا، واسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وعِمَارَةَ بِلَادِهَا، أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، وسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، ولَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِهَا، وأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ...)[1]. وكذلك كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى عماله ((أدقوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والاكثار، فإن أموال المسلمين لا تحتمل الاضرار))[2].

ومن المواقف التي استشهد بها عن عدالة أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه أتي برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فقامت عليه البينة فأمر بقتله فجاء أخوه، وقال، إني قد عفوت، فقال: لعلهم هددوك أو فرقوك أو فزعوك، قال: لا، ولكن قتله لا يرد علي أخي، وعوضني فرضيت، قال: أنت أعلم، من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا[3].

وكذلك يذكر إن علياً (عليه السلام) أتى سوق البزازين فقال: للرجل، بعني ثوبين، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه، فوقف على غلام، فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال: يا قنبر خذ الذي بثلاثة فقال: أنت أولى به، تصعد المنبر، وتخطب الناس، فقال: وأنت شاب ولك شره الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك! سمعت رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم) يقول: ((البسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تأكلون))[4].

فضلاً عن أن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كان في كل يوم يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان وكانت تسمى السبيبة، فيقف عليها سوقاً سوقاً فينادي بالتجار، ((أن تناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين))[5].

---

(١) القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ٦/٣؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٣٤/٥-١٣٥.

(٢) الصدوق، الخصال، ص٣١٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٥/٤١.

(٣) الشافعي، مسند الشافعي، ٣٤٤/١؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٦٢/٨.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢٤/٤٠؛ القزويني، الامام علي من المهد إلى اللحد، ص١٤٢.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٢٩/٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/٤١.

كذلك من المواقف التي تشهد في عدالته، أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مشوا إليه عند تفرق الناس عنه، وفرار كثير منهم إلى (الشام)، طالبين لمن بين يديه من الدنيا، فقالوا له: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام): (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم، لو كان مالهم لي لسويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم)[١].

كذلك يذكر أن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وجد درعه مسروق عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح[٢]، يخاصمه، فجاء علي (علي السلام) حتى جلس جنب شريح، وقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فأبتسم علي (عليه السلام) وقال أصاب شريح، مالي بينة، فقضى بها شريح للنصراني فأخذه النصراني ومشى خطأ ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضي عليه، أشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجتُ من بعيرك الأورق، فقال: (أما إذ أسلمت فهي لك..)[٣].

كذلك ذكر إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مرّ بشيخ مكفوف كبير، وهو يسأل الناس) فقال عليه السلام، ما هذا؟ قالوا، يا أمير المؤمنين نصراني، فقال عليه السلام: (استعملتموه حتى إذا كبر، وعجز منعتموه)، ثم التفت إلى مسؤولي بيت المال، وقال: (أنفقوا عليه من بيت المال)[٤].

أما الخلافة الراشدة في عهد الامام الحسن (عليه السلام)، فقد شهدت جملة من القرارات والمواقف الدالة على الاعتدال، كيف لا وهو سبط رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم) وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، صاحب العدل والمساواة والقسط بين كافة شرائح المجتمع الإسلامي، وعلى الرغم من قصر خلافته، إلا أن له العديد من المواقف التاريخية التي تظهر عدله من خلال احسانهُ

(١) الطوسي، الأمالي، ص١٩٤؛ النوري، مستدرك الوسائل، ٩١/١١.

(٢) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، يكنى أبو أمية، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي (عليه السلام) ومعاوية، واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة (٧٧هـ/٦٩٦م)، ومات بالكوفة سنة (٧٨هـ/٦٩٧م). ينظر: الأعلام، الزركلي، ١٦١/٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/٨؛ الريشهري، موسوعة الامام علي بن أبي طالب (ع)، ٢٦٣/٤.

(٤) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٢٢/١؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٤٩/١١.

للفقراء والبسطاء، نذكر منها، أن الامام الحسن عليه السلام، سئل يوماً عن السياسة، فأجاب: هي أن ترعى حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات، فأما حقوق الله، فأداء ما طلب، والاجتناب عما نهى، وأما حقوق الأحياء، فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخر عن خدمة أُمَّتِك، وأن تُخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته، وأن ترفع صوتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السوي، وأما حقوق الأموات، فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مَسَاوِئِهم، فَإِنَّ لَهُم رَبَّاً يُحاسبهم[١].

ومن المواقف المعتدلة أن رجلاً جاء الى الامام الحسن (عليه السلام) وهو يطوف حول الكعبة حينها، فقال الرجل: يا أبا محمد اذهب معي في حاجتي إلى فلان فترك الطواف وذهب معه فلما ذهب خرج إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه فقال: يا أبا محمد تركت الطواف وذهبت مع فلان إلى حاجته، قال: له الحسن (عليه السلام) وكيف لا اذهب معه ورسول (صلّى الله عليه واله وسلم)، قال: من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة)[٢].

كذلك يذكر أن الامام الحسن (عليه السلام)، (مر يوماً على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منه لقمة ويدفع لكلب كان عنده لقمة أخرى، فقال له الإمام: ما حملك على ذلك؟ فقال الغلام: إني لأستحي أن أكل ولا أطعمه. وهنا رأى الإمام فيه خصلة حميدة، فأحبّ أن يجازيه على جميل صنعه، فقال له: لا تبرح من مكانك، ثم انطلق فاشتراه من مولاه، واشترى الحائط الذي هو فيه، وأعتقه وملكه إياه)[٣].

ومن المواقف التي تظهر سياسة الاعتدال هي أن رجلاً جاء إلى الامام الحسن (عليه السلام) فقال: ((يا أمير المؤمنين بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاما منه عليك، إلا ما أنصفتني من خصمي فإنه غشوم ظلوم، لا يوقر الشيخ الكبير، ولا يرحم الطفل الصغير، وكان متكنا فاستوى جالسا وقال له من خصمك حتى أنتصف لك منه؟ فقال له الفقر، فأطرق (عليه السلام) ساعة ثم رفع رأسه إلى خادمه وقال له: أحضر ما عندك من موجود، فأحضر خمسة آلاف درهم فقال: ادفعها إليه، ثم قال له: بحق هذه الأقسام التي أقسمت بها عليَّ متى أتاك خصمك جائراً إلا ما أتيتني منه متظلماً))[٤].

(١) العاملي، الحياة السياسية للأمام الحسن، ٧/١.

(٢) ابن عساكر، ترجمة الامام الحسن، ص١٥١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٤٨/٤٣.

(٣) ابن عساكر، ترجمة الامام الحسن، ص١٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٢/٨.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٠/٤٣؛ القمي، تعريب: منتهى الآمال، ٣١١/١.

إما في مدة الخلافة الأموية، ففي الغالب أنها دوله غير عادلة، إلا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٨-٧٢٠م) الذي تشهد له العديد من المواقف والاحداث، ومن ذلك، ذات يوم أمر مناديه بأن ينادي من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام اليه رجل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية، فقال: (يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل، قال وما ذاك؟ قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له يا عباس ما تقول؟ قال أقطعناها يا أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل، فقال، عمر كتابُ الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، فأردد عليه يا عباس ضيعته، فرد عليه)[١].

ويذكر أن رجلاً من أهل البصرة قد اغتصبت ارضه، فجأة إلى عمر فرد عمر هذه الأرض إليه ثم قال له: كم أنفقت في مجيئك إلي؟ قال: يا أمير المؤمنين تسألني عن نفقتي وأنت قد رددت على أرضي وهي خير من مائة ألف؟ فأجابه عمر: إنما رددت عليك حقك، ثم ما لبث أن أمر له بستين درهماً كتعويض له عن نفقات سفره)[٢].

وذكر أيضاً أن عمر بن عبد العزيز عزل أسامة بن زيد[٣]، وكان على خراج مصر، لأنه كان غائماً ظلوماً يعتدي في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل، يقطع الأيدي في خلاف، دون تحقق شروط القطع، فأمر به عمر بن عبد العزيز أن يحبسه، ويحل عنه القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد، فحبس بمصر سنة، ثم فلسطين سنة، ثم خرج من السجن بعد وفاة الخليفة[٤].

وعندما أرسل إليه عامله على البصرة عدي بن أرطاة[٥]، يقول: (إن أناساً قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم شيء من العذاب فكتب إليه عمر: أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذانك

(١) الآجري، أخبار أبي حفص، ص٥٨؛ ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص١٢٥.

(٢) خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ص١٢٠.

(٣) أسامة بن زيد بن عدي التنوخي، المكنى أبو عيسى، ولي كتابة الوليد بن عبد الملك، ثم قدم دمشق على يزيد بن عبد الملك، ثم ولي الخراج لهشام بن عبد الملك، ثم ولى الخراج في عهد عمر بن عبد العزيز، وعزل في عهده. ينظر: الخطيب البغدادي، المتفق والمفترق، ١٥٣/١.

(٤) الصلابي، الخليفة الراشد والمصلح الكبير، ص٤٨.

(٥) عدي بن أرطاة بن جداية بن لوذان الفزاري، أصله من دمشق، ولي البصرة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، سنة (٩٩هـ/٧١٨م). ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٤٠.

إياي في عذاب البشر كأني جنة لك من عذاب الله، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله، وإذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك فاقبله عفواً وإلا فأحلفه، فو الله لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلى من أن ألقاه بعذابهم والسلام)[١].

يذكر كتب إليه واليه على خراسان واسمه الجراح بن عبد الله[٢]، يقول: إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فكتب إليه عمر: (أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام)[٣].

ومن المواقف الشاهدة على سياسة هذا الخليفة في العدل هي أن رجلاً من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز، فقام بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، أذكر بمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الحلائق، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل، ولا براءة من الذنب، فبكى بكاء شديداً، ثم قال: ويحك، اردد عليّ كلامك هذا، فجعل يردده عليه وعمر يبكي، ثم قال: ما حاجتك، قال، إن عامل أذربيجان عدا عليَّ فأخذ مني اثنا عشر ألف درهم، فجعلها في بيت مال المسلمين، فقال عمر: اكتبوا له الساعة، إلى عاملها حتى يرده إليه أو عليه)[٤].

يتضح من السابق بأن هناك مواقف معتدلة ومتزنة لهذا الخليفة، في وقت أن الدولة الاموية معروفة بعدم الاعتدال في طيلة تاريخها السياسي، فضلاً عن استخدام القوى والبطش، سواء كان مع الثوار أو مع المعارضين لحكوماتهم.

إما في عصر الخلافة العباسية، فقد بدأت هذا الخلافة سلطوية غير معتدلة في كثير من الأحيان، إلا أن هناك بعض المواقف المعتدلة لها، وسنكتفي بالخليفة المهدي لما له من دور بارز في هذا الجانب.

يذكر أن المهدي العباسي رحل الى بلاد الحجاز في سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)، وقسم في أهل مكة وأهل المدينة مالاً كثيرا، فقد حمل معه من بغداد ثلاثين مليون درهم، كما وصل اليه وهو في الحجاز

(١) أبي يوسف، الخراج، ص١٢٩؛ ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص١٠٣.

(٢) الجراح بن عبد الله بن جلعد بن أفلح بن الحارث بن درة، يكنى أبو عقبة، شامي الأصل، ولي البصرة في عهد عمر بن عبد العزيز. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٦/٧٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٩/٧٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨١.

(٤) ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص٩٢-٩٣.

ثلاثمائة ألف دينار بعثها اليه والي مصر، ومائتا ألف دينار أرسلها والي اليمن، وفرق من الثياب مائة وخمسين ألف ثوب، وعمل المهدى على استمالة أهل الحرمين بالإحسان والتكريم، ورد اليهم الوظائف التي أبعدهم أبوه عنها(١)، واصطفى المهدي لنفسه من الأنصار خمسمائة نفر، أجرى عليهم الأرزاق الواسعة، واتخذهم لمراتب السيف في العراق، كأنه يعارض أباه في تقديم الموالي على العرب ليستبدل بجفائهم له محبتهم إياه فقد كان المنصور يعتمد في ادارة دفة الدولة على العناصر الفارسية والخراسانية أكثر مما يعتمد على العناصر العربية، فأراد المهدى أن يحفظ التوازن بين الطبقات المختلفة في المجتمع الاسلامي، وخاصة بين طبقتي العرب والموالي الفرس، فقد كان المهدى يدرك أن هذا الصراع الطبقي، وذلك النزاع العنصري، يعرض سلامة وحدة الدولة العباسية، وقد أدى عداء العرب للموالي الى سقوط الدولة الأموية، لأنها تعصبت للعناصر العربية وأهملت سائر العناصر، مما جعلها تتكاتف من أجل التخلص من الحكم الأموي(٢)، كما أهتم المهدي كثيراً بتحسين علاقة بالعلويين، ومن أهم الخطوات التي اتخذها للتقرب من العلويين، أنه أمر بإخراج من كان في المحابس منهم فأطلقهم، وأمر لهم بجوائز وصلات وارزاق دارة(٣)، وكذلك عاد إليهم القطائع التي كان المنصور صادرها، كما قرب إليه بعض كبار العلويين مثل الحسين بن علي بن الحسن(٤)(٥).

فضلاً عن ذلك أراد المهدى أن يطيب خاطر أهل الشام وينسيهم ألمهم ومرارتهم، بعد فقدانهم موقعهم من الخلافة، ويشعرهم أن بلادهم تقف على قدم المساواة مع بلاد العراق وسائر الأمصار الاسلامية، وأن الدولة العباسية هي دولة الشام والعراق والحجاز ومصر والمغرب وغيرها من الأقطار، ولذا اهتم المهدى باختيار ولاته وعماله من أهلها ، فاختار أكثرهم عدلاً وأحسنهم سيرة ، كما أغدق الأموال على وجوه الشام ورجالاتها، وخاصة زعماء القبائل العربية المستقرة في بلاد الشام، ثم رأى المهدى أن يخرج بنفسه لزيارة هذه البلاد، فزار حلب ودمشق وبيت المقدس، وصلى بأهلها في المساجد(٦).

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٣/٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٩٤/٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٧٩/٢.

(٤) الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان شجاعاً كريماً، خرج على الخليفة الهادي سنة (١٦٩هـ/٧٨٦م)، فأرسل إليه جيشاً قاتله بفخ قرب مكة وقتل في تلك المعركة. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٨٢/١٢.

(٥) مندورة، أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها، ص١٥٤.

(٦) ينظر، التنوخي، الفرج بعد الشدة، ٧٨/٤-٨٠؛ الخربوطلي، ثالث خلفاء العباسيين، ص٦٧.

يتضح من السابق بأن هناك بعض المواقف يمكن أن نقول عنها بأنها مواقف معتدلة، وهو لا يعني أن الخلافة العباسية كانت عادلة في جميع قرارتها، خاصةً وأن تلك الخلافة بعد العصر الأول خضعت لمجموعة من القوى الخارجية التي سيطرت على اغلب قرارتها.

الفصل الثاني

سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة السياسي

أولاً: عوامل نشأة سياسة الاعتدال

ثانياً: سياسة الاعتدال في الحياة السياسية الداخلية

ثالثاً: سياسة الاعتدال في العلاقات الخارجية

الفصل الثاني

سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة السياسي

أولاً- عوامل نشأة سياسة الاعتدال:

أ- ظروف إفريقية قبل قيام دولة الاغالبة:

شهد المغرب الإسلامي قيام العديد من الدويلات الإسلامية المستقلة، التي عانت كثيراً من الحروب والاضطرابات السياسية المختلفة، في حين أن هنالك بعض الدويلات الإسلامية اتسمت حياتها بالاستقرار وحسن التنظيم، سواء كان ذلك في المشرق أو في المغرب، وتعد دولة الأغالبة في مقدمته تلك الدول.

أن الأحداث السياسية المضطربة التي سبقت نشأة دولة الأغالبة في المغرب الأدنى[١]، من صراعات سياسية وأخرى دينية مذهبية تمثلت بوجه التحديد مذهب الخوارج[٢]، الأمر الذي جعل إبراهيم بن الأغلب يستثمر هذه الظروف من تدهور عام ونقمة شعبية في تحقيق رغبته في الوصول إلى السلطة عبر سياسته المعتدلة، التي عمل بها من خلال مجموعة خطوات، كسب فيها القاعدة الشعبية في المغرب الأدنى، فضلاً عن الفقهاء، وصولاً إلى استحصال موافقة الخلافة العباسية أرتبط قيام دولة الاغالبة في إفريقية بما ساد البلاد من فوضى واضطرابات أثناء حكم الخلفاء العباسيين الأوائل، إذ أن الخلافة العباسية كانت منشغلة بمشاكل المشرق، من حيث مواجهة مطامع الفرس،

---

(١) ويسمى ايضاً بإفريقية، وهو أول اقليم المغرب الحقيقي، ويمتد من برقة وطرابلس شرقاً الى بجاية غرباً، وسمي بالأدنى لأنه أقرب بلاد المغرب الى بلاد العرب والحجاز والشام والأقرب الى مركز الخلافة، وشهد ثلاث عواصم في العصور الوسطى، هي مدينة القيروان ايام حكم الأغالبة، ثم المهدية ايام حكم العبيدين، ثم تونس منذ عهد الحفصيين الى اليوم. ينظر: سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٤٠-٤١، وللوقوف على خارطة دولة الأغالبة، ينظر: ملحق رقم (٢)، ص١٢٨.

(٢) يُعزى ظهور المذهب الخارجي في بلاد المغرب الإسلامي إلى عدة عوامل تضافرت خلال فترة الحكم الأموي، حيث كانت سياسة الأمويين تجاه الولايات الإسلامية في المغرب تتسم غالبًا بالاضطهاد، خاصة فيما يتعلق بجمع الضرائب والتعامل مع السكان، هذا أدى إلى نشوء حالة من السخط والتمرد بين سكان هذه المناطق، استغل الخوارج هذا السخط لنشر أفكارهم ومبادئهم، وهي مبادئ لاقت قبولًا واسعًا بين الفئات المظلومة والمهمشة في المغرب، بينما ركزت الحركات الهاشمية نشاطها في المشرق، وجد الخوارج في المغرب بيئة خصبة لترويج أفكارهم، خاصة في ظل الفشل الذي واجهوه في المشرق الإسلامي، بمرور الوقت، أصبح للخوارج تأثير كبير في المنطقة، وأسسوا دويلات مستقلة تحمل أفكارهم، مثل الدولة الرستمية التي اتخذت من تيهرت عاصمة لها، والدولة الصفرية وغيرها، ينظر، إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص٤٢ وما بعدها.

ومحاربة الزندقة، فضلاً عن تصفية الحركات العلوية، وكذلك مواجهة إخطار البيزنطيين والترك، لذلك لم يعن الخلفاء كثيراً بما حدث في المغرب، فالخليفة أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٤م)، اكتفى بإقرار عبد الرحمن بن الحبيب[١]، على ولايته[٢]، ولم يكن حكم بن حبيب يتجاوز القيروان[٣]، ولما ولى المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) الخلافة، كتب إلى عبد الرحمن بن حبيب يدعوه إلى الطاعة، فأستجاب له، لكن بعد مدة خلع طاعة العباسيين، ونزع شعارهم[٤]، ففي ظل هذه الوضع وجد الخوارج فرصة مواتيه للقيام بالثورات، ففي سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) نجحت قبيلة ورفجومة[٥] الخارجية من السيطرة على مدينة القيروان وبعدها سيطروا على إفريقية كلها[٦]، وبعد هذا الفوضى أرسل المنصور عاملة على مصر محمد بن الأشعث[٧]، لتأديب الثوار واستعادة سلطان الخلافة، وبالفعل نجح ابن الاشعث بعد معارك عديدة بالسيطرة على القيروان[٨]، إلا أن ثورات

---

(١) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري: أمير، من الشجعان الدهاة. كان مع أبيه بإفريقية. وقتل أبوه سنة (١٢٢هـ/٧٤٠م)، فسار إلى الأندلس وحاول اقتحامها، فلم يفلح، فعاد إلى تونس فأقام إلى سنة (١٣٦هـ)، فبايعه أهلها، فسار بهم إلى القيروان، فملكها. وغزا تلمسان وصقلية وسردانية، فغنم غنائم عظيمة، ودوخ المغرب، ولم ينهزم له عسكر قط، قتله أخواه إلياس وعبد الوارث، غيله في قصره بالقيروان، سنة (١٣٧هـ/٧٥٥)، وكانت إمارته استقلالا عشر سنين. ينظر: الزركلي، الاعلام، ٣٠٣/٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٦٤/١.

(٣) وهي مدينة مصرت في الإسلام، في عهد القائد عقبة بن نافع الفهري، سنة (٥٥هـ/٦٧٥م)، تقع غرب إفريقية بعيدة عن البحر، طولها إحدى وثلاثون درجة، وعرضها ثلاثون درجة، امتازت بأشجارها الكثيفة، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٢٠/٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٦٧/١.

(٥) هي بطون من نفزاوه عرفت بالقوة والبأس، وكانت أكثر المضارب التي استقروا بها هي الأوراس، وكانت على المذهب الصفرية، وكان زعيمهم يدعى عاصم بن جميل الذي كان كاهناً يدعى النبوة، ينظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٦/٤.

(٦) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ١٤٦/٦.

(٧) محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، من كبار القواد في عصر المنصور العباسي، ولاه المنصور مصر سنة (١٤١هـ/٧٥٨م)، ثم أمره باستنقاذ إفريقية من بعض المتغلبة، بعد مقتل حبيب عبد الرحمن الفهري، فسار ابن الأشعث في (٤٠) ألفاً، ودخل القيروان، وانتظم له الأمر في إفريقية، فثار عليه عيسى بن موسى، وأخرجه من القيروان سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م)، فعاد إلى العراق، ثم غزا بلاد الروم مع العباس بن عم المنصور، فمات في الطريق سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٣٩/٦.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٠؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ١٤٧/٦.

الخوارج كانت مستمرة حتى قضى عليها أمراء المهالبة[١][٢]، وبعد ذلك تركوا أسلوب الثورات وعمدوا إلى إقامة دول مستقلة عن الخلافة في المغربين الأوسط والاقصى، فقام الخوارج الصفرية[٣]، بتأسيس دولة بني مدرار، سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)، كما نجح الخوارج الإباضية[٤]، في إقامة الدولة الرستمية، سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م)، في حين تجمعت قبائل المغرب الأقصى حول أدريس بن عبد الله لتنشأة دولة الادارسة[٥]، سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)[٦]، وبعد تلك الاحداث السياسية المضطربة، برزت ظاهرة ثورات الجند، بسبب السياسة السيئة البعيدة عن الاعتدال للولاة الذين عينتهم الخلافة، ففي سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م) قامت أولى تلك الثورات على محمد بن الأشعث وأرغمته على الرحيل عن مدينة القيروان، حيث نصبوا عيسى بن موسى[٧]، والياً دون إذن المنصور العباسي، كما قتلوا الأغلب بن سالم (١٥٠هـ/٧٦٧م)[٨]، ثم عاد خطرهم في ثورة عرفت

(١) ينتسب المهالبة إلى المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح الأزدي، دخلوا إلى إفريقية بأمر الخليفة المهدي العباسي سنة (١٥١هـ/٧٦٨م)، بعد مقتل الأغلب بن سالم، وتمكنوا من فرض سيطرتهم بالقوة على إفريقية بشكل كامل، إلا أن هذا الامارة سقطت بسبب سوء سياسة الفضل بن روح بن حاتم المهلبي، وقد حكمت هذا الامارة قرابة الثلاثون سنة. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٧٨/١ وما بعدها.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٦٦/٥؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ١٤٧/٦ وما بعدها.

(٣) الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر، ويقال هم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم، ويتصفوا بالاعتدال والمسالمة والبعد عن التطرف في الاحكام، فلم يكفروا القاعدين عن القتال، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين، ينظر، البغدادي، الفرق بين الفرق، ٧٠/١.

(٤) الإباضية: وهي فرقة تنتسب إلى عبد الله بن إباض المري، وأول من ادخلها إلى إفريقية سلمة بن سعد الحضرمي، وعنه فشت في قبائل المغرب، بعد إرسال بعثة إلى البصرة درسوا خمس سنوات على يد مسلم بن أبي كريمة زعيم الإباضية وسموا طلبة العلم، وبعد رجوعهم تفرقوا بين القبائل ناشرين أفكارهم، ينظر، أبو الأرقم، التفسير والمفسرون في غرب إفريقية، ٥٥/١.

(٥) الأدارسة: يرجع نسبها إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن علي بن الحسن المثلث، في المدينة، أيام ثورته على الهادي العباسي سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م)، ثم قتل الحسين، فرحل إدريس إلى مصر ومن ثم المغرب الأقصى، ونزل في مدينة وليلى، وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد، فعرفه إدريس بنفسه، فأجاره وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، فتم له الامر سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٢٧٩/١.

(٦) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢١١/١.

(٧) عيسى بن موسى بن عجلان الخرساني، يرجع نسبة إلى بني مضر، وهو أحد القواد الذين أثاروا على محمد بن الأشعث، وعين والياً على القيروان سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م). ينظر: السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٤/١.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ١/ ٧٢ ، السلاوي، الاستقصا ، ١٨٤/١.

بثورة ابن الجارود[١]، على الفضل بن روح[٢]، الذي تولى حكم إفريقية سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م)، ويعود سبب تلك الثورة، قيام الفضل بن روح بتعيين المغيرة بن بشر[٣]، عاملاً على تونس[٤]، ما عرف عن هذا الوالي ذو سمعة سيئة، وسوء سياسة مع الرعية، فطلبوا من الفضل عزل المغيرة، لكنه لم يستجب لهم، فقاموا بطرد عامل تونس المغيرة بن بشر، فعندما علم الفضل بذلك سار لهم جيش لمقاتلتهم، فدارت معركة بين الفضل والجند بالقرب من تونس، وأنتصر الجند على جيش الفضل، فسار ابن الجارود نحو القيروان وسيطر عليها[٥]، ولما رأى الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٦٦-٨٠٩م) ما ساد إفريقية من فوضى، أرسل هرثمة بن أعين[٦]، والياً على البلاد، فقد سار هرثمة إلى القيروان سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)، فأمن الناس وأخمد الفتن، لكن بعد فترة خرج الوضع عن سيطرته واصبح البلاد مهدد بالأخطار، فكتب هرثمة إلى الرشيد طالباً منه إعفاءه من ولاية إفريقية، فأستجاب الرشيد إلى طلبة وغادر هرثمة إفريقية في سنة (١٨١هـ/٧٩٧م)[٧]، بعد أن عفى

(١) عبد الله بن سعيد بن الجارود، ويعرف ايضاً (عبد ربه الأنباري) ينتسب إلى قبيلة نفزاوة، كان أحد قادة تونس الثائرين على ولاة العباسيين في إفريقية، ينظر، الثعالبي، تاريخ شمال أفريقيا، ص١٨٩.

(٢) الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، كان أحد قادة الدولة العباسية في إفريقية، ولاه هارون العباسي ولاية إفريقية سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م)، لكنه عرف عنه غير محمود السيرة، فقد خرجت عليه جند تونس وقتلوا، وبمقتلة انقرضت أمارة المهالبة في إفريقية. وكان حكمها قرابة ثلاثون سنة. ينظر: ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، ص٥٢.

(٣) المغيرة بن بشر بن روح بن حاتم المهلبي، ولاه عمه الفضل بن روح، مدينة تونس سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م)، وبسبب سوء سياسته، خرج أهل هذا المدينة بثورة ضده. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٨٦/١-٨٧.

(٤) وهي مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عُمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة، وكان اسم تونس في القديم (ترشيش)، وليس بها ماء جارٍ إنما شربهم من الأبار، بها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وفنادق وحمامات، كثيرة الزيتون والثمار والمزارع. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٦٠/٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، ٨٦/١؛ إسماعيل، الاغالبة - سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٤-١٥.

(٦) هرثمة بن أعين الهاشمي، مولى بني ضبة، أحد أبرز القادة العباسيين، الذي أمتاز بحنكتهُ السياسية والقدرة الإدارية، ولاة هارون العباسي إفريقية، إذ دخل إلى القيروان سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)، فأحسن معاملتهم، وتولى بعدها ولاية خرسان، ثم ولاة هارون غزو الصائفة سنة (١٩١هـ/٨٠٧م) على الروم، ومات مسموماً سنة (٢٠٠هـ/٨١٦م). ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ٨٤/١-٨٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠١/٥-٣٠٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٨٩/١.

الرشيد هرثمة من منصب الولاية، بعث محمد بن مقاتل العكي[١]، والياً في سنة (١٨١هـ/٧٩٧م)، ولم يكن هذا الاختيار موفقاً، فقد أخفق العكي تماماً لما عرف عنه والياً غير معتدل في قراراته، فضلاً عن سوء الخلق وفساد السيرة حيث قطع أرزاق الجند، وأساءه معاملتهم، وضرب الفقيه البهلول بن راشد[٢]، بالسياط حتى الموت، الامر الذي جعل فقهاء المالكية يناصون العداء له[٣]، فقامت ثورة ضده شملت جميع شرائح المجتمع، قادها عامل تونس تمام التميمي[٤]، وأعلنوا رفض طاعة العكي، فسار تمام بجنده والحق الهزيمة بجيش العكي، ثم دخل القيروان ونصب نفسه والياً عليها، فهرب العكي إلى طرابلس[٥]، أما إبراهيم فقد كان يراقب الاحداث وهو في الزاب[٦]، فعندما سمع نبأ تغلب تمام وطرد العكي، خرج قاصداً القيروان، ودخلها دون مناوشات مع الجند، وعمل على استرجاع الحاكم الشرعي، كذلك أرجع العكي والياً على القيروان[٧]، بعد ذلك قام تمام التميمي بمراسلة إبراهيم بن الاغلب يستعطفه ويحضه على تولي أمور البلاد بدلاً من العكي، فكان ضمن هذه المراسلة التي أرسلها تمام إلى إبراهيم أبيات من الشعر:

---

(١) محمد بن مقاتل بن حكيم، ينتسب إلى قبيلة عك العربية، وكان رضيع الرشيد، وكان أبوه من كبار أهل دولته، ولاة هارون العباسي ولاية إفريقية سنة (١٨١هـ/٧٩٧م)، وكان محمد هذا غير محمود السيرة، فاضطرب أمره واختلف عليه جنده، عزله هارون سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م). ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ٨٨/١.

(٢) أبو عمرو الحجري الرعيني، ولد سنة (١٢٨هـ/٧٤٦م)، من علماء عصره عرف عنه بالزهاد والحكمة والحلم، عاش وترعرع في مدينة القيروان، أخباره بالزهد كثيرة، له كتاب في الفقه، درس عن مذهب مالك كثيراً وبعدها اصبح من اتباع مذهب الامام مالك، قتل يد على محمد بن مقاتل العكي، سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م). ينظر: الزركلي، الاعلام، ٧٧/٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، ٨٩/١؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص٢٠.

(٤) هو تمام بن تميم التميمي جد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب كتاب طبقات إفريقية، وهو ابن عم إبراهيم بن الاغلب صاحب دولة الأغالبة، كان والياً على تونس، خرج على محمد بن مقاتل العكي بثورة شعبيه واسعة بعد ما اساءه السيرة مع عامة الناس، ودخل القيروان سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م). ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ٨٩/١.

(٥) وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب في سورها، وهو من حجر جليل من بناء الأول، بها أسواق حافلة وحمامات كثيرة، وفي شرقيها بساتين كثيرة فيها فواكه كثيرة وخيرات جمة، وأهلها تجار يسافرون براً وبحراً، ينظر، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ٣٨٩/١.

(٦) هي كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة ونهر متسلط عليها، وتعرف باسم ريغ، كلمة بربرية، فمن كان منها يقال له الريغي، كثيرة المزارع، ويحصد زرعها بالسنة مرتين، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٢٤/٣.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ٨٩/١-٩٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، ٩٠/١.

إقــدم إبراهيــم علما بفضلـــه وحـــق له فـي الأمر أن يتقدما

وقلت له فاحكم فحكمك جائـــز فقـــد أصبحـــت فينا مقـدما

ورد في بلاد الزاب ما شئت قادرا وإن شئت ملك الغرب خذه مسلم[1]

يبدو واضحاً احترام أهل إفريقية شخصية إبراهيم بن الاغلب المعتدلة والمحبوبة، بدليل دخوله مدينة القيروان من دون صدام عسكري، فضلاً عن المراسلة المذكورة التي تطلبه لغرض أن يحكم.

ب- العوامل في نشأة دولة الأغالبة:

قبل البدء في استعراض جوانب الاعتدال في دولة الاغالبة، لا بد من الوقوف على أسباب هذه السياسة التي أنتهجها الأغالبة، وعلى الأخص الأمراء المؤسسين، كذلك ضرورة التطرق إلى تاريخ النشأة، وبيان أهميتها في سياسة الاعتدال.

ينتسب الاغالبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة السعدي التميمي الذي ولد في مروا الروذ[2]، من أعمال خرسان[3][4]، وكان الأغلب من الجند العربي الخراساني الذي وفد مع القوات العباسية إلى مصر وأصبح من جنودها[5]، ودخل الأغلب إفريقية في قوات محمد بن الأشعث سنة (١٤٤هـ/٧٦١م) وعهد إليه المنصور بولاية إفريقية في أواخر سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م) وأوائل (١٤٩هـ/٧٦٦م)، والأغلب هو والد إبراهيم بن الأغلب (مؤسس دولة الأغالبة) حيث قدم القيروان سنة

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ٩٢/١.

(٢) وهي إحدى من إقليم خرسان، وكلمة مروّ هي كلمة مكونة من مقطعين، المقطع الأول مرو والتي تعني الحجارة البيضاء، والمقطع الثاني روذ والتي تعني النهر، وتعني ايضاً مروّ النهر تميزاً لها عن مرو الكبرى أو مرو الشاهجان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١١٢/٥.

(٣) بلاد واسعة، اول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو اطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وهي كانت قصبتها، قد فتحت اكثر هذا البلاد عنوة وصلحاً، وقد اختلف في تسميتها بذلك، فقال، خرج خرسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح عليه السلام، لما تبلبلت الألسن ببابل، نزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه، فنزل هيطل في البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خرسان في هذه البلاد التي ذكرنها دون النهر فسميت كل بقعه بالذي نزلها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٥٠/٢.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٦٨/١-٧١؛ السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٥/١.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٠-٢٣١؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٦٩/١-٧٠.

(١٤٩هـ/٧٦٦م) وسرعان ما ثاروا عليه البربر، وقتل على أبواب مدينة القيروان سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) وقبره هناك يعرف بقبر الشهيد[١]، ومن المرجح أن إبراهيم كان في إفريقية عندما قتل والده، الذي خرج لقتال الحسن بن حرب الكندي[٢]، وكان معه أهل بيته وخاصته، وبعد مصرع الأغلب رجع إبراهيم مع أهله إلى مصر، إلى أخيه عبد الله والذي يتمتع بثروة عظيمة، وقد تتلمذ إبراهيم في مصر على يد الفقيه الليث بن سعد[٣]، ويبدو أن الاخير قد أعجب به فوهب له جارية اسمها جلاجل، كما تشير أحدى الروايات أنه قال عنه (ليكونن لهذا الفتى شأن)[٤]، ولم يبقى إبراهيم في مصر، فقد تركها والتجأ إلى إفريقية[٥].

ويبدو أن إبراهيم بن الأغلب قد استفاد من نشأته والاحداث التي ارتبطت بذلك وعلى النحو التالي:

١. أصبحت لدية تجربة بسبب قتل البربر لأبيه، وفهم أن حكم هذه البلاد يحتاج إلى مرونة واعتدال سياسي بعيداً عن سياسة القمع والقوة.
٢. ثقافته ودراسته التي جعلت منه ذات خبرة ومعرفة في الحياة السياسية والدينية وأثرها في السلطة.

أما عن كيفية وصول إبراهيم بن الأغلب إلى إفريقية ومالها من أهمية في سياسته المستقبلية، وبالرغم من ذلك اختلفت الروايات في طريقة وصوله، فقد أشار اليعقوبي إلى طريقة وصولة إلى الزاب وذكر (أن إبراهيم بن الأغلب بن سالم أحد الجند الذين أخرجوا من مصر إلى إفريقية وتولى شرطة إفريقية، فلما توفي ابن مقاتل العكي استخلف إبراهيم على البلاد)[٦]، في حين يذكر البلاذري أن

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٥٧/٥؛ السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٥/١-١٨٦.

(٢) الحسن بن حرب الكندي ثائر شاعر من الشجعان، من أهل تونس، خرج على أمير إفريقية الأغلب بن سالم حين أراد أن يطارد أبا قرة الصفري الخارجي، الى المغرب، والتفّ حوله كثير من الجند، فقاتله الأغلب في القيروان وأصابه سهم قتله، واشتد قواد الأغلب على الحسن فانهزم إلى تونس ومنها الى جهة بقربها فقبضوا عليه وقتلوه. ينظر: الزركلي، الاعلام، ١٨٧/٢.

(٣) الامام الحافظ الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، يكنى أبو حارث، ولد سنة (٩٤هـ/٧١٣م)، فقيه ومحدث وأمام زمانه، وصاحب أحد المذاهب المندثرة، ولد في قرية قلقشندة، من أسفل أعمال مصر وأسرته أصلها فارسي من أصبهان، توفى سنة (١٧٥هـ/٧٩١م). ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤٣٩/٢.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٥٨/٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٩٢/١؛ إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٢٠.

(٦) تاريخ اليعقوبي، ٤١٢/٢.

(إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصـــر، فوثب ومعه اثنا عشـــر رجلاً، فأخذ من بيت المال مقدار أرزاقهم ولم يزدادوا على ذلك شـيئاً فلحقوا بموقع يقال له الزاب وعامل الثغر يومئذ هرثمة بن أعين)[١]، ولكن هناك من يشـــير إلى أن إبراهيم وصـــل إلى الزاب وعلى إفريقية الفضـــل بن روح (١٧٧-١٧٨هـ/٧٩٣-٧٩٤م) فلقي منه معاملة سيئة[٢]، في حين يذكر في موضع آخر بأن والي إفريقية سنة (١٧٤هـ/٧٩٠م) وهي الســـنة التي جاء بها بن الأغلب إلى إفريقية، هو النصـــر بن حبيب[٣]، وليس الفضل بن روح الذي كان والياً على الزاب عند وفاة والده روح بن حاتم الذي تولى إفريقية سنة (١٧١-١٧٤هـــ/٧٨٧-٧٩٠م)[٤]، وعند ذلك خرج الفضل بن روح من إفريقية إلى هارون الرشيد، ليرجع إليها بعد ذلك من قبل الخليفة سـنة (١٧٧هـ/٧٩٣م)[٥]، وحال تسـلمه الإمارة أقر العلاء بن سـعيد[٦]، على ولايته في الزاب[٧]، ويذكر الكندي أن محمد بن زهير الأزدي[٨]، الذي ولي مصر سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م) عين على الخراج عمران بن عيلان[٩]، الذي منع أعطيات الجند فثاروا ضـــده، لذلك عزله الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)، وولى على مصر داود بن يزيد[١٠] (١٧٤هـ/٧٩٠م) فقام

(١) فتوح البلدان، ص٢٣١.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص١٨٣؛ الخزاعلة، دولة الاغالبة في إفريقية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٦٦.

(٣) نصر بن حبيب المهلبي، ولى شرطة مصر وإفريقية في عهد يزيد بن حاتم، وعندما توفى تولى إفريقية روح بن حاتم، كتب له هارون العباسي بالولاية، وتولى حكم إفريقية سنتين وثلاثة أشهر. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٨٥/١.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص١٨٣؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الآدب، ٤٨/٢٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٨٦/١.

(٦) العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي، تولى حكم منطقة الزاب من قبل الفضل بن روح بن حاتم، فقام بثورة مطالباً بدم الوالي الفضل بن روح بعدما قتل على يد أهل تونس. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ٨٥/١.

(٧) عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص٦٤ وما بعدها.

(٨) محمد بن زهير الأزدي، ولي مصر من قبل هارون العباسي على صلاتها وخراجها، سنة (١٧٣هـ)، وبسبب سوء سياسته في أدارة الولاية، عزلة الخليفة العباسي، بعد مدة ولِيَها خمسة أشهُر. ينظر: الكندي، الولاة والقضاة، ص١٠١.

(٩) عمران بن عيلان، الذي تولى خراج مصر من قبل محمد بن زهير الأزدي، فقامت عليه ثورة من قبل الجند المعروفين القُدَيديَّة، بعدما قام بقطع أرزاقهم، فصلبوه ودخَّنوا عَلَيْهِ حتى دفع إليهم أعطِياتهم. ينظر: الكندي، الولاة والقضاة، ص١٠١.

(١٠) هو دواد بن يزيد المهلبي، وليَ داود مصر صلاتها وخراجها من قِبَل الرشيد، وبعث دواد، إبراهيم بْن صالح فِي إخراج القُدَيدية عَنْ مِصر سنة أربع وسبعين ومائة فجعل عَلَى شُرَطه عمَّار بْن مُسْلم الطائيّ، وأخرج إبراهيم القدَيديَّة من الفُسطاط إلى المغرِب والمشرِق وجعل منهم عالَمًا فِي البحر إلى الشام، فظفرت بهم الرُّوم فأَسرتهم. ينظر: الكندي، الولاة والقضاة، ص١٠٢.

هذا الوالي بطرد هؤلاء الجند إلى المغرب والمشرق[١]، ولهذا فإن إبراهيم غادر مصر منفياً لأنه كان ضمن الجند الذين وثبوا على بيت المال بمصر حسب رواية البلاذري[٢]، وبهذا يكون إبراهيم بن الأغلب قد عاصر في الزاب كلاً من الفضل بن روح، والعلاء بن سعيد[٣]، وبدأ يعمل على تقوية وضعة بين الجند، ويكون سيداً على منطقته لاسيما وأن الأحداث كانت تسير لصالحه وذلك لأن العلاء بن سعيد كان مشغولاً في خضم الأحداث التي بدأت بعد مقتل الفضل بن روح[٤]، الامر الذي استغله إبراهيم فعمل على أرسال الهدايا إلى هرثمة عند قدومه إلى إفريقية سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)، كما صرح له بأنه لم يمد يده إلى بيت المال إلا لحاجته للنقود، وأنه على الطاعة، فولاة هرثمة على الزاب[٥]، وهنا أثبت إبراهيم مدى إخلاصه للخلافة، من خلال مشاركته بمؤامرة اغتيال إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)[٦].

ومهما يكن من أمر، فإن اختيار إبراهيم بن الأغلب والياً على إفريقية لم تتم بسهولة، وتعددت فيها الروايات إذ ذكرت أحدها (أنه بعد أن أعاد ابن الأغلب إلى الولاية محمد بن مقاتل العكي كتب صاحب البربر في إفريقية يحيى بن زياد[٧]، إلى هارون الرشيد بخبر ابن العكي وتمام، فلما قرأ الرشيد الكتاب على أصحابه وعرفهم ما فعل إبراهيم بن الأغلب وشاورهم في الأمر، واستشار على وجه الخصوص هرثمة بن أعين، الذي أكد أنه ليس بإفريقية، أحد أفضل طاعة ولا أبعد صيتاً ولا أرضى عند الناس من إبراهيم، فكان ذلك سبباً أن كتب الرشيد عهده على إفريقية إلى إبراهيم بن الأغلب)[٨]، وهناك رواية أخرى أخرى لابن الأثير تقول (أن ابن الأغلب كان قد كتب إلى الرشيد بناءً على طلب أهل البلد يطلب منه ولاية إفريقية، وأنه عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التي كانت تحمل إلى إفريقية وتقدر

(١) الولاة والقضاة، ص١٠١-١٠٢.

(٢) فتوح البلدان، ص٢٣١.

(٣) الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١١٤-١١٥ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، ٨٦/١؛ محب، الحياة الفكرية في عهد الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٤٥.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٠٢/٥.

(٦) مصطفى، دولة بني العباس، ٦٩٥/١؛ الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٢٠.

(٧) يحيى بن الفضل بن النعمان، يكنى أبو العباس، ينسب إلى بني تميم، اشغل منصب البريد في المغرب، أيام ولاية محمد بن مقاتل العكي. ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص١٢٥.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص٢٢٠؛ الخزاعلة، دولة الاغالبة في إفريقية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٦٩.

بمائة ألف دينار وأنه تعهد أن يحمل كل سنة أربعين ألف دينار إلى بيت مال الخلافة)[١]، وتشير رواية أخرى إلى أن الرشيد ولى إبراهيم إفريقية (بعد ما تمكن إبراهيم من قتل مولى إدريس الثاني ويدعى راشد، فنسب العكي ذلك لنفسه، وعندما علم الرشيد بحقيقة الأمر عزل العكي وولى إبراهيم بن الأغلب على إفريقية)[٢]، وهناك رواية أخرى تشير إلى طريقة اختيار إبراهيم بن الاغلب ولاية إفريقية، (هي أن محمد بن مقاتل العكي، أساء معاملة جنده وقطع عنهم رواتبهم، فثاروا عليه وناصبوه العداء إلى جانب انقلاب أهل القيروان عليه نتيجة علاقته مع البيزنطيين في صقلية[٣]، فقد قيل إنه لاطفهم عن طريق إرسال النحاس والسلاح والجلود والهدايا الثمينة إليهم، وعندما علم الرشيد بالأمر عزل العكي وولى إبراهيم بن الاغلب على إفريقية)[٤]، بينما ذكر النويري (أن الرشيد قلده إياها نتيجة لما فعله مع محمد بن مقاتل العكي، في مساعدته في القضاء على ثورة تمام التميمي)[٥].

وفي الأخير يتضح أن شخصية إبراهيم بن الاغلب هي شخصية ذكية تتسم بالعلم الذي اكتسبه من خلال دراسته، فضلاً عن الاستفادة من الظروف والأزمات السياسية، ناهيك عن استعمال دهاءه وطرق أقناعه، فحاز على مقبولية الناس في إفريقية ومقبولية الخلافة العباسية، فكان متزن ومعتدل في هذه الجانب، مما مكنه من تأسيس أمارتهُ المستقلة، مستغلاً الظروف والأسباب التالية:

١. كانت ثورات البربر وحركاتها من الأسباب التي أتاحت للأغلب ابن عقال أبرز قادة أبي جعفر المنصور وابنه إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١٢م) استغلال الفوضى السائدة في إفريقية واعتبارها فرصة لإقامة الإمارة الأغلبية وبرعاية شرعية من الدولة العباسية، التي أيدته صورياً وبمباركة هارون الرشيد[٦].

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣١٨/٥؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص٩٣.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٧.

(٣) وهي مدينة مثلثة الشكل بين كل زاوية والاخرة مسيرة سبعة أيام، وقيل، دورها مسيرة خمسة عشر يوماً، وإفريقية منها بين المغرب والقبلة، وبينها وبين ريُو عرض ميلين، ومن جهتها مدينة المسيني، وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى والامصار، وفي وسطها جبل يسمى قصر يانه، وهو اعجوبة من عجائب الدهر، افتتحها المسلمين في عهد الأغالبة سنة (٢١٢-٨٢٧م) في عهد الأمير زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب بقيادة الفقيه والقاضي أسد بن الفرات. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٦/٣.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣١٧/٥؛ إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٢٢.

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب، ٥٣/٢٤-٥٤.

(٦) مصطفى، دولة بني العباس، ٦٩٥/١؛ الخزاعلة، دولة الاغالبة في إفريقية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٦١.

٢. أرادت الدولة العباسية من قبول إقامة الإمارة الأغلبية أن تقضي على القلاقل والثورات للولاة والجند، والتي راهنت الدولة العباسية أنه لن يستطيع القضاء عليها، ولكنه تغلب عليها لحنكته السياسية وحصوله على المعاضدة من الجيش ولاعتماده على حرسه الخاص ولنقل مقر عاصمته من القيروان إلى العباسية[١].

٣. عجز الخلافة العباسية عن إرسال الجيوش والأموال والعدة للقضاء على الثورات والتمردات والدول المعادية مثل الدولة الادريسية والرستمية والمدرارية. لذلك قبل الخليفة هارون الرشيد ولاية إبراهيم بن الأغلب وجعله يحكم إفريقية مستقلاً ومتوارثاً على أن يدفع للخليفة خراج البلاد والدعاء للخليفة وسك العملة باسم الدولة العباسية ويقضي على حركات البربر[٢].

٤. وبعد إفريقية عن مركز الدولة العباسية واتساعها، حيث أنها تضم طرابلس وإفريقية والزاب، ولذلك فإن الدولة العباسية اتسعت مع إبراهيم بن الأغلب في حكم الولاية على أن يلتزم بالشروط، رغم الاتفاق إلا أن الدولة الأغلبية تعتبر دولة مستقلة عن الدولة العباسية[٣].

(١) الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٥.
(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣١٨/٥؛ الخزاعلة، دولة الاغالبة في إفريقية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ١٦٢-١٦٣.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٩٢/١.

ثانياً- سياسة الاعتدال في الحياة السياسية الداخلية:

شهد تاريخ الأغالبة قيام العديد من الثورات والتمردات والعصيان ضد الحكم الأغلبي، وكانت سياسة الأغالبة في هذا المجال متجه نحو مسارين: الأول، هو معالجة الأمور بنوع من التوازن والاعتدال داخل الدولة، والأمر الثاني يبتعد عن الاعتدال من خلال السياسة القمعية بضرب تلك القوى، ومن جانب أخر كان للفقهاء والقضاة دوراً واضحاً في سياسة الاعتدال وأثُرها على قرارات الدولة، وعلى النحو التالي:

أ- سياسة التوازن والحل السياسي في مواجهة حركات التمرد:

١. حركة أهل طرابلس: شهدت مدينة طرابلس، قيام العديد من الثورات التي تصدى لها الأغالبة بالاعتدال والمرونة أحياناً وبالقوة أحياناً أخرى لتحقيق نوعاً من الاستقرار السياسي الداخلي، إذ شهدت هذه المدينة من سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) تعاقب العديد من الولاة عليها، حيث لم يتمكن أي منهم من جمع ما يكفي من الدعم للبقاء في منصبه، وكان الولاة يثيرون غضب السكان بشكل عام، مما يؤدي إلى استدعائهم فورًا بعد تلقي شكاوى الأهالي، وفي بعض الأحيان يتم طردهم من المدينة[١]، وقد تصاعدت حدة الاضطرابات في سنة (١٨٩هـ/٨٠٥م)، حيث تولى أحد قادة إبراهيم الأول (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١٢م)، ويدعى سفيان بن المضاء[٢]، الولاية للمرة الرابعة على التوالي، واتفق سكان المدينة على طرده وإعادته إلى القيروان، فقاموا بمهاجمته ومعه جماعة من أنصاره، الذين لجأوا إلى جامع المدينة واستمروا في القتال هناك، وبعد أن قضى على أنصاره، تم منحه الأمان وطرد من طرابلس بعد أن حكم لمدة تقل عن (٢٧) يوماً، هذه الأحداث وقعت في سنة (١٨٩/٨٠٥م)[٣]، وبعد ذلك نشبت حروب واقتتال بين أبناء طرابلس وبين قوم يعرفون ببني أبي كنانة وبني يوسف، مما أدى إلى تدهور الأوضاع في المدينة، الأمر الذي جعل إبراهيم بن الأغلب يتخذ قرار التدخل وحلحلة الأمور بطريقة معتدلة حيث أرسل جمعاً من الجنود إلى طرابلس، وأذن لهم بالتدخل والتوسط بين أبناء المدينة وبين قوم بني أبي كنانة وبني يوسف، وبعد نقلهم إلى القيروان في سنة (١٨٩هـ/٨٠٥م) استمع إبراهيم بن الاغلب إلى مطالبهم وقام بتحسين

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٦٧/٥؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٣٦/٢.

(٢) سفيان بن المضاء سوادة بن سفيان بن سالم بن عقال، أحد الشخصيات البارزة في الدولة وابن عم إبراهيم بن الاغلب، الذي تولى مدينة طرابلس من قبل إبراهيم بن الاغلب سنة (١٨٩هـ/٨٠٥م). ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٦٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٦٧/٥؛ الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص١٦٤.

أوضاعهم وعفا عنهم بعد أن تقدموا بطلب العفو عن أفعالهم، وسمح لهم بالعودة إلى مدينتهم، وبهذا انتهت الاضطرابات في طرابلس(١).

الامر الذي يظهر أن إبراهيم بن الأغلب لم يلجأ إلى القوة في مواجهة العصيان والتمرد الذي حدث لأسباب تتعلق بظلم الوالي، وإنما كان مستمع جيداً، ولجأ إلى الحلول المنصفة.

٢. حركة عمران بن مجالد التميمي: ثار عمران بن مجالد في تونس، سنة (١٩٥هـ/٨٨١م)، وكان قبل ذلك في طاعة ابراهيم بن الاغلب ومنُاصحته، وحضر معه قتال تمام بن تميم، وخرج نائباً عنه لمقاتلة خريش بن عبد الرحمن إلا أن ذلك لا يمنع من قيادته حركة تمردية(٢)، وقد اختلفت الروايات في سرد أسباب هذه الحركة التي يعزوها البعض لأسباب شخصية، متعلقة بغضب عمران بن مجالد من عدم انتباه الأمير لحديثة في بعض الأوقات(٣)، إما رواية أرجعت السبب إلى تأخر أرزاق الجند في الثغور(٤)، فألتف حولة العديد من القادة ووجوه العرب أمثال، عمرو بن معاوية القيسي(٥)، وعامر بن المعمر بن سنان(٦)، واستمع الجند الى نداء الثورة فمالوا الى جانبها، مما ساعد عمران وجمعه على الزحف الى القيروان وامتلاكها(٧)، ولم يتوان عمران في طلب الفقهاء للانضمام الى جانب ثورته ليكسبها الصفة الشرعية في الإقليم، ثم هددهم عندما رفضوا، إلا أنهم التزموا الحياد، فعزم عمران بعد ذلك على مهاجمة العباسية العاصمة، فلما أحس إبراهيم بن الاغلب بالخطر المحدق خندق على نفسة في العباسية، واستمرت الحرب مشتعلة بين الطرفين سنة كاملة ضاق فيها الخناق على ابن الاغلب، فبعث الرشيد اليه بأموال كثيرة فنادى المنادي بالعطاء ولحق به أصحاب عمران، فأصبحت جهة عمران ضعيفة عندما

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢٥/٢؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٢٠٨-٢٠٩؛ طه، تاريخ المغرب العربي، ص٢٤١.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ١٠٤/١؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٣٦/٢-٣٨.

(٣) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ٥٦/٢٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١.

(٥) عمرو بن معاوية، من ولد عمير بن الحباب السلمي أحد فرسان قيس وسادتها الأربعة، وكان يتولى منصب ولي قصرين في عهد إبراهيم بن الأغلب، وظل والياً على قصرين حتى في عهد زيادة الله بن إبراهيم، قتل سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م). ينظر: ابن الآبار، الحلة السيراء، ١١٠/١.

(٦) عامر بن المعمر بن سنان، شاعراً وقائد، ينتسب إلى قبيلة بني تميم، ولاه إبراهيم بن الأغلب الشرطة وبعدها ولاه مدينة قسطيلية. ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص١٧٠-١٧١.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٠٨/٥.

تفرق جمعه فهرب إلى الزاب، وطلب الأمان والعفو مع عمرو بن معاوية وعامر بن المعمر بن سنان فعفى عنهم وأمنهم جميعاً[١].

يظهر من هذه الحادثة عدم ميول أمراء الأغالبة إلى إراقة الدماء وقتل المتمردين، على الرغم من خطورة الثورة والتحريض ضد الدولة، إلا أن الأمير عفى عنهم، وهذا نهج سياسي مرن يتصف بالاعتدال.

٣. عصيان أهل هوارة: (٢٦٨هـ/٨٨٢م): شهدت قبائل هوارة حدثًا يعرف بـ عصيان أهل هوارة[٢]، حيث قامت تلك القبائل بالتمرد ضد السلطة الحاكمة ورفضت دفع الصدقات المفروضة عليها. عندما علم إبراهيم الثاني (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٥-٩٠٢م)، بهذا التمرد، قرر اتباع سياسة معتدلة تمثلت في باللين في التعامل مع القبائل المتمردة، إذ بعث قائدة محمد بن قرهب[٣]، للتفاوض مع تلك القبائل في هوارة وعند وصوله إليها، قدم عرضاً يشمل العودة إلى الطاعة وضمان الأمان لهم، ولكنهم رفضوا هذه العرض المسالم، الامر الذي لم يدع مجالاً إلى المواجهة، فقامت القوات الأغلبية بشن هجوم عسكري على القبائل المتمردة وتمكنت من اضعافها بعد ذلك قررت القبائل التنازل عن التمرد وطلبت الأمان من الأمير، وبالتالي، وافق الأمير بإعطائهم ضمانات الأمان للقبائل المتمردة وعادت هوارة إلى الانضباط والطاعة[٤].

يتبين من السابق أن الأمير إبراهيم الثاني كان لديه القدرة على القضاء على تلك القبائل، ومع ذلك، فإنه اختار اتباع سياسة معتدلة تجاههم، وقد أوعز للقائد الذي أرسله إليهم بعرض الأمان عليهم، وطلب منهم التخلي عن العصيان والتمرد، وهذا يدل على أن الأمير الأغلبي كان يسعى إلى تحقيق الحلول السلمية بدلاً من الانخراط في الصراع.

---

(١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢٥١/٤.

(٢) وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر خصبه حصينه كبيرة، ذات ربض صالحة للأسواق، وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره، كالخوخ الفرسك والكمثري اللذين لا شبه لهما بمكان، وبها الجهاز الكثير الصوف المرتفع، ينظر، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧١.

(٣) محمد بن قرهب بن منصور، ولاه الأمير إبراهيم الثاني منصب الحجابة سنة (٢٦١هـ/٨٧٥م) وكان الأمير يثق به كثير، وكان الصديق القريب الأمير، ولم يكن يشغل المنصب الحاجب فقط، بل كان من القادة الكبار في عهد إبراهيم الثاني. ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٣٢٤.

(٤) النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٧١/٢٤؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ١٢٧/٢.

٤. ثورة الدراهم (٢٧٥هـ/٨٨٩م): أن سياسة العدل والابتعاد عن الغش أدت إلى حدوث هذا الثورة، وذلك عندما قرر الأمير إبراهيم الثاني إلغاء استخدام النقود الصغيرة التي كانت تتداولها سكان القيروان، واستبدالها بالدراهم الصحاح المصنوعة من الفضة، تسبب هذا التغيير في بعض الصعوبات في عمليات التجارة في الأسواق، وعبّر العامة من الناس في القيروان عن رفضها لهذا القرار، عبر اغلاق حوانيتهم، وتجمعوا في تظاهرة كبيرة انتهت بأعمال شغب ضد الأمير الذي أمر الحرس بتطويقهم واحتجازهم في الجامع، وعندما علم سكان القيروان بذلك، تجمعوا خارج أبواب المدينة وأبدوا معارضتهم لإبراهيم، توجه أبي إسحاق[١]، إلى السكان ليواجههم، لكن تعرض للسباب والرشق بالحجارة، في هذا الوقت، قرر إبراهيم الثاني الذهاب بنفسه إلى القيروان، وكان برفقته حاجبه الجديد نصر ابن الصمصامة[٢]، ومجموعة من الجنود، اعترض السكان طريقهم وناصبوهم القتال قدر استطاعتهم، لكن الأمير إبراهيم الثاني قرر أن يتعامل مع السكان بالسياسة واللين، حيث دخل إلى المصلى، الذي يقع خارج المدينة، وجلس هناك وأمر جنوده بعدم مهاجمة السكان، عندما هدأت الأمور وتم تهدئة الناس، خرج الفقيه الزاهد أبو حفص أحمد بن مغيث ودار بينه وبين الأمير إبراهيم الثاني حديث طويل حول النقود الجديدة وتأثيرها على العامة والفقراء، ونتج عن هذا الحوار تهدئة الأوضاع، قام وزير الأمير إبراهيم الثاني، ابن أبي إسحاق، بدخول المدينة واستقرارها، وعاد الأمير إبراهيم الثاني إلى رقادة[٣]، وأطلق سراح المحتجزين في الجامع، منذ ذلك الحين، توقف استخدام النقود والقطع الصغيرة من إفريقيا، وبدأ الامير إبراهيم الثاني في ضرب دنانير ودراهم يسميها "العاشرية"، حيث كان في كل دينار منها عشرة دراهم[٤].

يظهر من السياق اهتمام الأغالبة بشكل عام، والأمير إبراهيم الثاني على وجه التحديد، بتحقيق العدالة والابتعاد عن الغش في المعاملات التجارية على الرغم من صعوبة القرار الذي أخذه والموقف

---

(١) هو محمد بن أبي إسحاق، المعروف بأبي عبد الله، الذي كان وزيراً للأمير إبراهيم الثاني، أمير الدولة الأغلبية في القيروان، تولى الوزارة سنة (٢٧٠هـ/٨٨٤م). ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٣١٥.

(٢) نصر بن عبد الله بن الصمصامة، تولى منصب الحجابة في عهد الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني سنة (٢٧٤هـ/٨٨٨م) وكان مسؤولاً عن تنظيم الأمور الإدارية والبلاط، وله دور مباشر في تسيير شؤون الدولة، وخاصة ما يتعلق بالسياسة الداخلية وعلاقة البلاط بالعامة. ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٣١٣-٣١٥.

(٣) وهي بلدة في أفريقيا بينها وبين القيروان أربعة أيام أكثرها بساتين، ولم يكن في أفريقيا أطيب هواء، ولا أعدل نسيماً، وأرق تربة منها. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٧١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٢٠-١٢١؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٢٤٥-٢٤٦؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٢/١٢٨.

المواجه له من التجار والعامة من الناس، لكن السياسة المرنة والعادلة، أدت بقبول الناس بمختلف الشرائح بهذه القرار، وانتهى استعمال النقود والقطع الصغيرة في إفريقية.

ب- سياسة القوة والحسم العسكري في مواجهة حركات التمرد:

أن سياسة الاعتدال بما تحوي من معاني مختلفة، لا يمكن أن تحقق عدلاً في كثير من الأحيان، إلا بالاستعمال القوة والحسم العسكري، وهذا لا يشمل جميع القرارات التي اتخذها الأغالبة، أنما البعض منها، وكما ذكرنا في الصفحات السابقة السياسية المرنة للأغالبة، لا بد من ذكر الثورات والعصيان والتمردات التي واجهتها الدولة الأغلبية بالقوة والحزم، لغرض استكمال الرؤية التاريخية لهذا الحقبة. وعلى النحو التالي:

١. حركة خريش بن عبد الرحمن الكندي: في سنة (١٨٦هـ/٨٠٢م)، نشأت حركة خريش بن عبد الرحمن الكندي في تونس وكان خريش من بين الرجال العرب الذين تمردوا في مدينة تونس، وكان آباؤه قد دخلوا المغرب كجزء من جيوش التحرير العربية الإسلامية واستقروا في المنطقة، ودعا خريش إلى إبطال رمزية العباسيين السوداء وحصد دعمًا واسعًا من العرب والبربر، ومع ذلك، تم القضاء على هذه الحركة في مرحلتها الأولى بواسطة جيش قاده ابن الاغلب بنفسه، الذي كان يستند إلى عمران بن مجالد، وتمكن ابن الاغلب من إخماد التمرد وقمع الحركة قبل أن تنمو وتتوسع كثيراً[١].

٢. حركة زياد بن سهل[٢]: في سنة (٢٠٧هـ/٨٢٣م) شهدت تونس حركة انتفاضيه قادها زياد بن سهل ضد زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٨م)، تجسدت هذه الثورة في تحركات عسكرية وأعمال إقليمية تهدف إلى التمرد وتغيير النظام الحاكم، بادر زياد بن سهل بتجميع قواته وانطلق في معركته المناهضة للحكم، فيما لجأ زيادة الله الأول إلى إرسال تعزيزات عسكرية تحت قيادة سالم بن سوادة التميمي[٣].

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣١٨/٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٥٥/٢٤؛ الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص١٥٩-١٦٣.

(٢) زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية، كان واحداً من الثوار البارزين الذين قادوا حركة معارضة ضد حكم الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، حاكم الدولة الأغلبية، في سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م). ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤٨٦/٥.

(٣) من عرب تميم وأحد قادة زيادة الله الأول بن الأغلب الشجعان، وكان له فضل في استقرار الأمر لزيادة الله. انظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٩٠.

للتصدي للتمرد، توجه الثائر زياد بن سهل إلى مدينة باجة[1]، حيث توقع أن يمنعها مناطقها العسكرية الرومانية من الاستيلاء عليها ومنع تقدمه وتقوية أتباعه، ومع ذلك، نجحت قوات الأمير زيادة الله في التغلب على الثورة وحاصرتها، وقدّمت الدعم لسكان المدينة للتخلي عن زياد بن سهل، وفي هذا السياق، تمكنت قوات زيادة الله من هزيمة الثائر ومن معه[2].

٣. **حركة عمرو بن معاوية القيسي:** في سنة (٢٠٨هـ/٨٢٤م)، ثار ضد زيادة الله بن ابراهيم عمرو من معاوية القيسي وكان عاملا لزيادة الله على باجة، وقد خرج على إبراهيم بن الاغلب مع عمران ابن مجالد، وكان وزيره الغالب على أموره في تلك الثورة فلما هزم عمران طلب الأمان من إبراهيم بن الأغلب فأمنه، ولم يكن لعمرو هذا أي ذكر في ولاية عبد الله بن ابراهيم، إلا أنه عاد للظهور على مسرح الأحداث في ولاية زيادة الله بن ابراهيم، الذي أعاد ثقته فيه فولاة ناحية القصرين ثانية، لكنه أظهر الخلاف، وتغلب على تلك الناحية وقد نصحه أحد أبنائه من مغبة الخلاف فقال له: يا أبي انك دخلت في أمر عظيم لا قدرة لك عليه، وعرضت نفسك للهلاك، ولست من رجال هذا الأمر، ولا ينفعك عدد ولا عدة، فراجع نفسك واتق الله فيها، ففاضه ما قال ولده وظنه يهزأ به، فضربه مائتي سوط، وتمادى على الخلاف، فأخرج اليه زيادة الله جيشاً كثيفاً حاصره أياما، وتمكن بعدها من هزيمته[3].

٤ ـ **حركة منصور الطنبذي[4] (٢٠٩هـ/٨٢٥م):** ثار منصور بن نصير الطنبذي في مدينة طنبذة، في سنة (٢٠٩هـ/٨٢٥م)، تُعتبر هذه الحركة واحدة من أعنف الثورات التي واجهتها الاغالبة، وتمثلت في تمرد شامل للسكان الافارقة ضد زيادة الله ابن إبراهيم بن الأغلب،

(١) تقع إلى الغرب من مدينة تونس وهي ذات سور محكم قديم البناء، تتوفر بها المياه العذبة، وقد عرفت بباجة القمح لكثرة انتاجها له. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣١٤/١.

(٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢٥٢/٤؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٢١٣-٢١٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٩٧/١-٩٨؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٤) منصور بن نصير، من قبيلة هوزان من ولد دريد بن الصمة، ويعرف بالطنبذي نسبة إلى قصر له في قرية طنبذة، من أقليم المحمدية بالقرب من تونس. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٦٧/١.

الذي لم يتمكن من السيطرة إلا على قابس[١]، ومع ذلك، استطاع الأمير زيادة الله بعد مرور خمس سنوات من القتال أن يحقق الانتصار على هذه الحركة، وذلك بفضل تعاونه مع قبيلة نفزاوة[٢].

٥ . فتنة قسطيلة: شهدت منطقة قسطيلة[٣]، في سنة (٢٢٤هـ/٨٣٩م) حدوث فتنة نفّذتها جماعة الخوارج، تم تنفيذ هذه الفتنة بهدف تعكير استقرار المنطقة وتحويل توجهات الغالبية السكانية فيها، عندما وردت الأنباء إلى الأمير أبي عقال الأغلب بن إبراهيم (٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٨-٨٤١م)، كّلف أحد قواده لإنهاء هذه الفتنة، وعندما زحف إلى المكان، وجد تصديًا ضعيفًا من قبل الخوارج، وبذلت جهوده لتنفيذ مهمته بفاعلية، حيث قضى على جميع الخوارج المتواجدين هنا، وبعد إنجاز المهمة الموكلة إليه، عاد إلى القيروان، حاملاً معه النبأ السار بتحقيق النصر على الخوارج وإنهاء الفتنة في تلك المنطقة[٤].

٦. ثورة سالم بن غلبون (٢٣٣هـ/٨٤٨م): كان سالم بن غلبون يشغل منصب والي على الزاب، وبعد أن قام محمد بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤١-٨٥٦م) بعزله من منصبه رغب سالم بن غلبون في الوصول إلى القيروان لغرض التمرد، إلا أنه قرر تغيير مساره والتوجه نحو الإربس[٥]، بهدف إظهار الخلاف وإثارة الجدل، إلا أن سكان الإربس منعوه من دخول المدينة، لم يتوقف عند ذلك انما قرر التوجه إلى باجة ودخولها، وتمكن من السيطرة عليها، الامر الذي دفع الأمير محمد بن الاغلب أرسل جيشًا كبيرًا بقيادة خفاجة بن سفيان[٦]، لمواجهته، وقد اندلعت معركة طاحنة بين الجانبين استمرت لعدة أيام،

---

(١) وهي مدينة جليلة تقع بين طرابلس وصفاقس ثم المهدية، وهي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية في الأقاليم الرابع، فيها نخل وبساتين، وذات حصن حصين وأرباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة، وقد أحاط بجميعها خندق كبير يُجْرون إليه الماء عند الحاجة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٨٩/٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٩٨/١-١٠٠؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٥٨/٢٤.

(٣) وهي مدينة كبيرة على سور حصين وبها تمر قَسْب كثير يجلب إلى إفريقية، لكن ماءها غير طيب وسعرها غالي وأهلها شُراةٌ وَهْبِيّة وإباضية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٤٨/٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١/٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١٠٧/١.

(٥) وهي مدينة أو كور بإفريقية، وكورتها واسعه، ولها ربض كبير، وعرفت ببلد العنبر والزعفران، وبها معادن حديد كثيرة، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٣٦/١.

(٦) خفاجة بن سفيان، أمير صقلية من الشجعان الغزاة المدبرين، وليها سنة (٢٤٨هـ/٨٦٣م)، وكانت قاعدته بلرم، وغزا قصريانة وسرقوسة، وافتتح حصوناً كثيرة، اغتاله رجل من معسكره، وهو عائد ليلاً من سرقوسه إلى بلرم، فدفن في بلرم ذلك سنة (٢٥٥هـ/٨٦٩م). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٣٠٩/٢.

وفي النهاية، نجح سالم بن غلبون في الهروب في الليل، ولكن خفاجة بن سفيان تعقبه وأمسك به وقتله. وانتهت تلك الثورة[١].

٧- **ثورة القويبع**[٢]: حدثت ثورة في تونس سنة (٢٣٤هـ/٨٤٩م)، قادها شخص يدعى القويبع، حيث تجمعت حول هذه الثورة عدة طبقات من المجتمع، وكان هدفها الرئيسي هو إسقاط حكومة الأمير محمد بن الاغلب بن إبراهيم، نظراً لسوء أدارته، وقد اختار الثأر تونس كمركز لتنظيم ثورته، حيث تم تركيز الجهود الثورية فيها، بعد ذلك، كلف الأمير محمد القائد خفاجة بن سفيان بمهمة محاربة القويبع وحصاره في تونس لمدة شهرين أو ثلاثة، وعلى الرغم من ذلك، تعرض خفاجة لظروف قاسية تعرقلت تقدمه، واضطر للعودة إلى القيروان دون تحقيق نتائج إيجابية، بدأ الأمير محمد يتفكر في طرق للتغلب على هذه الثورة، وقام بتجهيز جيش ضخم في محاولة لذلك، وجعل خفاجة بن سفيان على قيادة جيش للمرة الثانية وسار إلى تونس، وجرت معركة ضارية بين الجانبين نتهت بسحق الثوار، لجأ القويبع إلى الفرار، وتم القبض عليه وقتله على يد جندي، وهكذا انتهت هذه الثورة التي استمرت لمدة تقارب سنتين[٣].

٨. **تمرد بني لهان**[٤]: شهدت مدينة طرابلس في سنة (٢٤٥هـ/٨٦٠م)، حدثاً تاريخياً يتعلق بالعصيان الذي نشب من قبل بني لهان، وكان سبب هذا العصيان هو رفضهم دفع الضرائب المفروضة عليهم لولاة الأغالبة، تطورت الأحداث بسرعة وتحول الصراع إلى نزاع مسلح بين جيش عبد الله بن محمد بن الأغلب، الحاكم لطرابلس، وعناصر بني لهان، وبالرغم من الجهود

(١) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٠٩-١١٠، عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٢/٨٣.

(٢) عمر بن سليمان، المعروف بالقويبع، ينتسب إلى قبيلة تُجيب، ينحدر من مجموعة قبائل كندة، قاد ثورة ضد الأمير محمد بن الاغلب. ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٢٧٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٠٩-١١٠؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٢/٨٤.

(٤) ترجع اصولهم إلى الهان بن ملد بن اوريغ بن برنس، وقيل، اصولهم من ولد لهان بن ميلاد بن اوريغ بن برنوس، فقد كانت قبيلتهم من أكبر قبائل هوارة، تفرقوا وانتشروا في كل ارجاء شمال إفريقية. ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٦/١١٧-١١٨.

المبذولة، إلا أن الجيش الحاكم تعرض لهزيمة، مما دفع الوالي إلى الانسحاب إلى مدينة لبدة[١]، لتأمين مواقعه، وعاد الوالي بعد ذلك إلى طرابلس وأبلغ أخاه، أبا إبراهيم (٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م) بالأمر، رأى أبا إبراهيم أهمية هذا الأمر، وقرر إرسال زيادة الله لقيادة جيش قوي بهدف القضاء على الثورة واستعادة السيطرة على طرابلس، قاد زيادة الله هذا الجيش بحزم وفاعلية مهاجمًا صفوف البربر ومطاردًا الفرسان والأفراد الفارين، مما أدى في النهاية إلى استسلام البربر والخضوع لسلطة الأغالبة والالتزام بحكمهم[٢].

٩. ثورة موالي الاغالبة (الصقالبة)[٣] (٢٦٤هـ/٨٧٨م): نشبت ثورة هامة تُعرف بثورة موالي الاغالبة في القصر القديم[٤]، تأتي هذه الثورة نتيجة انتقال إبراهيم بن أحمد إلى العاصمة الجديدة (رقادة)، مما أثار استياء واستنكار موالي الاغالبة وزاد من روح التذمر بينهم، وتحوّل هذا التذمر إلى تمرُّد، مما دفع الأمير إلى التدخل العاجل، فقبض على زعيم المتمردين، إلا هذا الإجراء أثار غضبًا بين موالي الاغالبة، فأعلنوا العصيان، وبدأوا ينشرون الفوضى والفساد وقاموا بقطع الطرق، الأمر الذي دفع سكان القيروان إلى مقاومة هذا العمل وخرجوا لمحاربة الصقالبة، بهدف الدفاع عن مصالحهم، وتمكنوا من تحقيق النصر عليهم، مما اضطرهم إلى الاستسلام والتوجه لطلب العفو، وصار لزاماً على الأمير أن يُظهر سلطة الدولة ويضع قوانينها، حتى يتمكن الجميع من العيش في بيئة آمنة ومستقرة، قام بنفي جميع المتمردين إلى صقلية، وبذلك، استعادت المنطقة وضعها الطبيعي مجدداً[٥].

---

(١) وهي مدينة بين برقة وإفريقية، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة، فيها حصن من بنيان الأول بالحجر والآجر وحولة آثار عجيبة، يسكن هذا الحصن قوم من العرب نحو ألف فارس يحاربون كل من حاربهم ولا يعطون طاعة لأحد، ويقاومون مائة ألف ما بين فارس وراجل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠/٥.

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٧٠/٢٤-٧١؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ١٠٠/٢.

(٣) وهم جيل حمر الألوان صُهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم، يرجع نسبهم إلى بنو لنطي ابن كسلوخيم بن يونان بن يافث بن نوح (عليه السلام). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٦/٣.

(٤) أسسه إبراهيم بن الأغلب سنة أربع وثمانين ومائتين، وصار دار أمراء بني الأغلب، وهو في قبلة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها، وبه جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات، لم يبن أحكم منها ولا أحسن منظراً، وبه حمامات كثيرة وفنادق وأسواق جمة ومواجل الماء وإذا قحطت القيروان وفقد الماء في مواجلها انتقلوا الماء من مدينة القصر. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١١٧/١؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٢٢١.

١٠. هجمات سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م): تعرض الأمير إبراهيم الثاني للهجوم من قبل عدد كبير من الخصوم، وشملت هذه الهجمات بعض المناطق، حيث قرر سكان هذه المناطق الهجوم وأعدوا جيوشًا لمواجهة الأمير إبراهيم الثاني، تصاعدت حدة الصراع في إفريقية حيث اشتعلت الصراعات وتفاقمت التوترات، على الرغم من هذه التحديات، لم يتراجع الأمير إبراهيم الثاني عن قراره في التصدي لهذه الأخطار، قام بتعزيز تحصينات رقادة من خلال حفر خندق حولها وتجهيز أبوابها بألواح حديدية، كما نظم عملية الدفاع عن المنطقة بعناية، وجمع قواته الموثوق بها وحرسه المؤلف من العبيد السود، كان الهدف من ذلك تجنب أي هجوم مفاجئ من الخصوم، في الوقت نفسه، بدأ الأمير إبراهيم الثاني في إعداد جيش كبير لمواجهة التهديدات المحتملة، واستشار أحد كبار شيوخ بني عامر بن نافع الذي نصحه بالتمهل في مهاجمة الثوار والعمل على تفريق كلمتهم، أتبع الأمير إبراهيم الثاني هذه النصيحة وأخذ ينفذ خططه بحذر وتدبير، حيث تمكن إخماد تلك الثورات التي اندلعت واحدة تلو الأخرى، واستعاد الهدوء في إفريقية مرة أخرى(١).

١١. ثورة بسكرة: شهدت في مدينة بسكرة(٢)، سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، ثورة نفذتها قبيلة بنو بلطيط(٣)، تميزت هذه الثورة بطابعها الجبائي، وقد أصبحت ذات أهمية كبيرة نظرًا لتدخل الأمير الحاكم الذي أرسل ابنه أبو العباس للتصدي لهذه الحركة، تمكنت قوات أبو العباس من تفريق أفراد قبيلة بنو بلطيط وهزيمتهم، مما أدى إلى استعادة النظام السابق واستقراره في المنطقة(٤).

ج- سياسة الاعتدال من خلال دور الفقهاء والقضاة في الجانب السياسي:

لم تقتصر سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الاغالبة على دور الأمراء في ذلك، وإنما ساهم بعض الفقهاء والقضاة في تحقيق هذا الاعتدال من خلال المواقف السياسية التي تبنوها، والتي أدت دوراً مهمً

(١) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٢٣-١٢٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٢٤/٧٢.

(٢) بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان فيها نخل وشجر وقصب جيد وذات أسواق وحمامات، بينها وبين طبنه مرحلة؛ وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة، وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٤٢٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١١٣-١١٤.

(٣) وهي أحد بطون قبيلة زناته، التي سكنت الزاب الغربي في مدينة بسكرة، عُرف أفراد هذه القبيلة بشدة اللباس والبدن، اتسمت علاقتهم بالدولة الأغلبية بالتوتر والصراع المستمر، إذ كانوا كثيري الثورات والعصيان ضد سيطرة الأغالبة. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٣١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٣١.

في تحقيق التوازن والاستقرار في الدولة، الأمر الذي دفعنا إلى ذكر هؤلاء الفقهاء والقضاة ومواقفهم، وعلى النحو التالي.

١. يحيى بن سلام التميمي: وهو أصله من البصرة، ولد سنة (١٢٤هـ/٧٤١م)، أنتقل إلى إفريقية ونقل علمه معه، وسكن القيروان وأقام بها مدة من الزمن، كان على المذهب الحنفي، وقد أستمع له الكثير من أهل إفريقية، وبعدها أنتقل إلى مصر وتوفى بها سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م)[١]، فقد ساهم هذا الفقيه من خلال دوره الديني وتأثيره في المجتمع تحقيق نوع من التوازن والاستقرار في بعض الجوانب السياسية التي أحاطت في دولة الأغالبة.

وذلك عندما سعى لأقناع الأمير عبد الله بن إبراهيم باتخاذ قرار معتدل في حق القائد عمران بن مجالد، ولكن الأمير أمر بقتله، إذ أحكم الواشون الأمر وذكروه بخروجه على أبيه من قبل وزادوا من عندهم أشياء لم يحتملها الأمير، فلما قتله الأمير حزن الفقيه يحيى كثيراً وعزم على الخروج من البلاد وقال: "لا أسكن بلداً أخفر فيه العهد على يدي"[٢].

يتضح من السابق أن الفقيه سعى لتحقيق نوع من العدالة بين الأمير وبين عمران بن مجالد أحد الثوار الذين قد أثاروا ضد الدولة سابقاً، وكان الهدف من ذلك صلح الطرفين وترك الأمور السابقة التي حدثت بينهم، واللجوء إلى الأمور السلمية بعيداً عن النزاع الحربي والثأر.

٢. أسد بن فرات: وهو مولى بني سليم، أصله من خرسان، رحل أبوه إلى القيروان في جيش الأشعث، فأخذه معه وهو طفل، فنشأ فيها ثم بتونس، ورحل إلى المشرق لطلب العلم في سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م) سمع عن مالك كثيراً، وأصبح على المذهب المالكي ثم ولي قضاة القيروان في عهد الأمير زيادة الله الأول بن إبراهيم في سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م)[٣]، وقد ساهم هذا القاضي من خلال دوره العلمي وتأثيره في المجتمع في تحقيق التوازن والاستقرار في الكثير من المواقف نذكر منها.

ذلك عندما رفض دعوة الثائر عمران بن مجالد الربعي (ت ٢٠٠هـ/٨١٥م) الذي ثار على مؤسس الدولة الأمير إبراهيم بن الأغلب سنة (١٩٤هـ/٨٠٩م)، ثم استولى عمران على العاصمة القيروان في

(١) المالكي، رياض النفوس، ١٨٩/١؛ أبو الأرقم، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، ٥٠٧/٢.
(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ١٠٥/١.
(٣) عياض، تراجم أغلبية، ص٥٢؛ الزركلي، الأعلام، ٢٩٨/١.

سنة (١٩٤هـ/٨٠٩م)[١]، وكتب إلى الفقيه أسد بن الفرات أن يخرج معه، فأبى أسد بن الفرات وتمارض ولزم بيته، فبعث عمران إليه يقول له: إما أن تخرج وإلا بعثت من يجر برجلك، فقال أسد: والله لئن أخرجتني لأنادين في الناس: القاتل والمقتول في النار فتركه عند ذلك، وانتهت ثورة عمران بعد حروب دامت سنة، ثم هرب إلى الزاب وسأل الأمير إبراهيم الأمان فأمنه[٢].

كذلك اتخذ أسد بن فرات موقف معتدل من خلال حركة التمرد القائمة في عهد الأمير زيادة الله بن ابراهيم الأول، والتي قام بها منصور بن نصر الطنبذي (ت٢١١/٨٢٦هـ) الذي كان واحد من كبار رؤساء الجند الأغلبي في مدينة تونس سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م) مع جماعة من الجند المؤيدين لحركته وحاصروه في القصر القديم (مدينة العباسية)، ونجح الطنبذي في حركته فاستمال الجند الى جانبه حتى تمكن من احكام السيطرة على مدينة القيروان وتحصن فيها[٣]، فحاول أسد بن الفرات تهدئة الوضع السياسي والأمني في الولاية فذهب الى منصور الطنبذي بصحبة أبي محرز محمد بن عبد الله الكناني (ت٢١٤هـ/٨٢٩م)، وهما قاضيا افريقيا آنذاك، فدخلا على منصور الطنبذي وعنده قادة الجند فجرت بينهما محاولة كان الهدف منها حل المسألة المتأزمة بين الطرفين بالطرق السليمة دون اللجوء إلى استخدام أسلوب القوة والعنف حيث بادر أسد مخاطبا منصور الطنبذي وجنده قائلاً: (قد كنتم اخواناً له قبل هذا الوقت وأنتم وهو على مثل هذا الحال وكما وسعنا الوقوف عنه وعنكم فكذلك يسعنا الوقوف عنه وحده)[٤]، يظهر مما سبق أن هذا الفقيه حاول قدر الإمكان، أبعاد الحروب والصراعات، من أجل تحقيق سياسة معتدلة، يتجنب من خلالها المواجهة والاقتتال بين الأمراء وقادة الجند.

٢. شجرة بن عيسى: من أصول أندلسية عربي النسب، نزل في تونس، ومن ثم انتقل إلى القيروان للتعلم فيها، سمع عن مالك بن أنس، وبعدها اعتنق المذهب المالكي، عاد إلى تونس وولى القضاء فيها في عهد زيادة الله الأول بن إبراهيم[٥]، سعى هذا القاضي إلى احتواء بعض الثورات من خلال اتباع أساليب

(١) النويري، نهاية الإرب في فنون الآدب، ٥٦/٢٤.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤٠٨/٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٩٨/١-١٠٠؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الآدب، ٥٨/٢٤.

(٤) المالكي، رياض النفوس، ٢٧٠/١؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢٠/٢-٢١.

(٥) عياض، تراجم أغلبية، ص١٥١؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ٣/٤.

سلمية، مبتعدًا عن النزاعات بين الأطراف، وكان الهدف من ذلك هو تطبيق سياسة معتدلة تهدف إلى تحقيق الاستقرار والسلام السياسي.

فقد شارك مع أربعين شيخاً في تلبية دعوة القائد محمد بن حمزة[١]، في الذهاب إلى الثائر على الأمير زيادة الله بن إبراهيم الأغلب وهو منصور بن نصير الطَّنْبُذي في قصره بطنُبذة، سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م)، يقبحون خلافه ويأمرونه بالطاعة، فلما اجتمعوا به، قال منصور: ما خالفت طاعة الأمير، وأنا سائر معكم إليه، ولكن أقيموا معي يومنا هذا حتى نعمل للقائد محمد ولمن معه ضيافة، فأقاموا عنده، وسير لمحمد غنماً وبقرا، وكتب إليه: إني سائر إليك مع القاضي والجماعة، فركن القائد محمد إلى ذلك وأمر بالغنم فذبحت وأكلوا وشربوا[٢]، يتضح مما سبق أن القاضي بذل جهودًا كبيرة من اجل للتوسط بين الأمير والثائر، سعياً للوصول إلى حلول سلمية، وقد كان هدفه الابتعاد عن فكرة التمرد والثورة، ووصولاً للأمر السلمي المعتدل.

٤. عبد السلام بن سعيد التنوخي: المكنى بسحنون، أصلة شامي من حمص[٣]، ولد في القيروان، ذهب إلى مصر والمشرق لطلب العلم، وتعلم الكثير من العلوم الدينية، وعاد إلى إفريقية سنة (١٩١هـ/٨٠٦م)، كان رفيع القدر، أبيّ النفس، حسن الآدب، كان لا يقبل من السلاطين سمع عنه الكثير من أهل إفريقية، وكان على مذهب مالك، وولى القضاة في القيروان سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م)[٤]، فقد ساهم القاضي سحنون بكثير من المواقف التي تدل على سياسة الاعتدال ومن بين تلك الموقف.

ذلك عندما حدثت ثوره في تونس قادها شخص يدعى القويبع ضد الأمير محمد بن الاغلب، كانت ثورة عارمة، استمرت سنتين، إلا أنه الأمير ابن الأغلب تمكن من القضاء عليها، وراحت نساء تونس في السبي، ليكفرن عن حمق أقاربهن وأزواجهن، وقسمت السبايا بين الجند كل حسب مقامه ورتبته، فوجدت حمية

---

(١) محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال، يكنى بالحرون، أحد رؤساء القواد وشجعان الأجناد، هُوَ الَّذِي وَجهه زِيَادَة الله بن إِبْرَاهِيم للقبض على مَنْصُور الطنبذي بقصره بالمحمدية فكاده وَقتل مُحَمَّد هَذَا فِي وقْعَة سبيبة أَيَّام خلاف مَنْصُور والجند على زِيَادَة الله الأول. ينظر: ابن الآبار، الحلة السيراء، ١٠٧/١-١٠٨.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤٨٦/٥-٤٨٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٩٩/١.

(٣) وهي مدينة حسنة في مستو من الأرض وهي عامرة بالناس، والمسافرون يقصدونها بالأمتعة والبضائع من كل فن، وأسواقها قائمة وخصبهم تام ومعايشهم رقيقة، وفي نسائهم جمال وحسن بشرة، وشرب أهلها من ماء يأتيهم في قناة على مرحلة منها مما يلي دمشق. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص١٩٨.

(٤) عياض، تراجم أغلبية، ص٨٦؛ الزركلي، الأعلام، ٥/٤.

سحنون قاضي الأمير في هذه القضية، وقد كان سحنون قاضيا للبلاد، وبالتالي كان ضامنا للعدل، فاجتهد وأقدم على القيام بمهمة إعادة حقوق ضحايا القمع المفرط، فدخل في نزاع علني مع السلطة، وقيل إن الأمير وافقه على ذلك لما ولاه القضاء، فقال: (اعمل للقضاء حتى ولو حكمت بضرب عنقي)، فاجتهد سحنون في ذلك، وأخبر يوما أن شخص عاد من تونس ومعه عدد من السبايا، وقد دخل من تونس بالحرائر، فركب فرسه في الحال، وذهب ليفكهن منه، فشكاه الشخص إلى الأمير الذي أمر القاضي بإعادتهن إلى صاحبهن فرفض سحنون ذلك، وغضب الأمير غضبا شديدا، لما رأى أن أمره غير مطاع، لكنه لم يقدم على تسليط غضبه على القاضي الذي أشهر عليه سلاحاً هو القرآن، وبالفعل، اكتفى سحنون لما وردت عليه الأوامر من محمد الأول، بأن كتب (يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) ففضل الأمير بحكمة أن يصغي إلى صوت الرسول يهديه إلى سواء السبيل[١].

٥. الفقيه محمد بن أبي حميد: يكنى أبو عبد الله، ولد في مدينة سوسة[٢]، سنة (١٩٦هـ/٨١١م) نشأه وترعرع فيها، سمع عن الكثير من علماء إفريقية ومن بينهم أحمد بن محرز وسليمان بن عمران، كان على المذهب الحنفي، كان زاهداً، ورعاً، قليل الكلام كثير الأفعال، كان له صيت واسع في مدينة سوسة[٣]، وقد دونت له بعض المواقف السياسية المعتدلة يذكر منها.

أن الأمير إبراهيم الثاني بلغه عن أهل مدينة سوسة أساءه، فركب إليها عازما على تخريبها وهدم سورها وتعذيب أهلها. فلما وصل إليها، وهو في قمة غضبه، خرج إليه الفقيه ابن أبي حميد (ت٢٩٣هـ/٩٠٥م) فاجتمع به، فخرج الأمير من الاجتماع راضيا عن المدينة وأهلها، لدرجة أنه بكى وقال: والله لا فعلت شيئًا مما كنت عزمت عليه، ثم ركب راجعا إلى مدينة القيروان ببركة هذا الفقيه الذي وصف بأنه كان عظيم القدر، كبير الشأن[٤].

---

(١) المالكي، رياض النفوس، ٣٤٥/١؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٩٠/١.

(٢) وهي من بلاد إفريقية، وإليها تنسب الثياب الرقيقة السوسية، ويقال لها البيضاء، ومنها ركب أسد بن الفرات البحر غازياً إلى صقلية في الزمان الأول، وهي مدينة قديمة فيها آثار للأول، وهي على ساحل البحر، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب، وهو من أغرب البنيان، فيه أقباء معقودة بحجر النشف الذي يطفو فوق الماء المجلوب من بركان صقلية، وداخل المدينة هيكل عظيم يسميه البحريون الفنطاس، وهو أول ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلية وغيرها. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٣١.

(٣) المالكي، رياض النفوس، ٥/٢؛ عياض، تراجم أغلبية، ص٢٢٣.

(٤) المالكي، رياض النفوس، ٩/٢؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٣١٥/٢.

اتضـــح من الرواية الســـابقة أن الأمير كان يكن احترامًا كبيرًا للفقيه، تقديرًا لمكانته الدينية والعلمية في المجتمع، وعلى الرغم من غضـــب الأمير، تدخل الفقيه في المســـألة، مانعًا إياه من ســـفك الدماء وتخريب المدينة، يُعد هذا التصـــرف بمثابة موقف معتدل بحد ذاته.

أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال الحياة السياسية الداخلية:

١. اتبع بعض الأمراء الأغالبة سياسة معتدلة فعّالة تجاه الثورات والتمردات التي نشبت ضدهم، وبغض النظر عن أسبابها، وقد سعى هؤلاء الأمراء إلى تقديم الحلول السلمية التي تهدف إلى إرضاء المعارضين، وهذا ما يعكس أهمية التفاوض والاستماع إلى مطالب الناس، الامر الذي أدى إلى الاستقرار وتعزيز الوحدة داخل الدولة.

٢. لم يُظهر بعض أمراء الأغالبة ميولًا نحو إراقة الدماء أو قتل المتمردين، على الرغم من خطورة الثورات والتمردات التي قامت ضدهم، والتحريض ضد الدولة، انما اتخذ بعض الأمراء قرارًا الاعفاء عنهم، وهذا ما يعكس نهجًا سياسيًا مرنًا يتسم بالاعتدال.

٣. على الرغم من جهود بعض الأمراء الأغالبة الرامية إلى استعادة الحلول السلمية مع بعض الثوار، إلا أن بعض المتمردين أبدوا إصراراً على مواصلة مقاومتهم للأغالبة، كان هدفهم الأساسي هو التمرد على الامارة القائمة وتغيير أسس الحكم، مما استدعى ضرورة اتخاذ الأغالبة تدابير حاسمة للتصدي لهذه التمردات، وذلك حفاظًا على استقرار الدولة وأمنها.

٤. ومع ذلك، لا يمكن القول إن جميع الأمراء الأغالبة اتبعوا سياسة متزنة تجاه الثورات والتمردات. فقد قام بعضهم بالتعامل مع هذه الحركات بعنف وحزم، متجاهلين إمكانية التوصل إلى حلول سلمية من شأنها إنهاء الصراع القائم بطريقة سلمية معتدلة.

٥. سعى الفقهاء والقضاة، في إطار الجانب السياسي، إلى تبني نهج الاعتدال، وقد تجلى هذا المسعى من خلال محاولتهم الحفاظ على مسافة محايدة من الصراعات الداخلية التي نشبت بين الدولة الأغلبية والعناصر الثورية المعارضة، هذا النهج يمكن تفسيره كمحاولة للحفاظ على الاستقرار السياسي، مع الحفاظ على موقف حيادي في الوقت ذاته.

٦. في سياق الصراعات السياسية التي شهدتها دولة الأغالبة، اتخذ الفقهاء والقضاة موقفاً يتسم بالحياد النسبي، فقد امتنعوا عن تأييد الحركات الثورية التي كانت تسعى إلى إسقاط الدولة الأغلبية وتقويض أركانها، هذا الموقف، الذي وُصف بالاعتدال، يمكن تفسيره على أنه محاولة للحفاظ على استقرار الدولة وحمايتها من التداعيات السلبية للصراعات الداخلية.

٧. برز دور الفقهاء والقضاة كوسطاء في الصراعات السياسية الداخلية، وقد تجلى هذا الدور بشكل خاص في تدخلهم في عملية صنع القرار السياسي، لا سيما فيما يتعلق بالإجراءات المتخذة ضد الحركات الثورية والتمردات.

٨. اتخذ الفقهاء والقضاة موقفاً استباقياً تجاه الحركات الثورية، هذا الموقف تمثل في محاولتهم منع الثوار من اتخاذ إجراءات عدائية ضد الدولة، مع الدعوة إلى حل الخلافات مع السلطة الحاكمة بوسائل سلمية، بعيداً عن التدخل أو الصراع المباشر في الشؤون السياسية الداخلية.

ثالثاً- سياسة الاعتدال في العلاقات الخارجية:

امتازت العلاقات الخارجية للأغالبة بنوع من الاعتدال مع غالبية الدول التي زامنت هذه الدولة، وأن تباينت في شكل العلاقة من حيث الانحياز التام مع بعض الدول مثل الدولة العباسية، أو من حيث العلاقات الإيجابية مع بعض الدول الأخرى مثل المدرارية والرستمية والاموية والطولونية والادريسية، وكانت تلك العلاقات في جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

أ . العلاقة مع الخلافة العباسية:

اتسمت العلاقات السياسية مع الخلافة العباسية بالعلاقات المتينة بحكم التبعية الخلافة، فقد دافع الأغالبة عن رايتها سواء داخل البلاد، حينما قضوا على الحركات المناوئة للخلافة العباسية كحركة خريش مثلاً[١]، فضلاً عن قيام إبراهيم بن الأغلب بالمشاركة في اغتيال ادريس بن عبد الله مؤسس دولة الادارسة[٢]، أما على الصعيد السياسة الخارجية، إذ عمل الاغالبة على مساعدة الصقالبة حلفاء الخليفة هارون الرشيد في ثورتهم على البيزنطيين، وهادنوا الفرنجة أصدقاء الخليفة

(١) النويري، نهاية الإرب في فنون الادب، ٥٥/٢٤؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٣٤/٢-٣٥.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٢١٠/١؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢١٤/١.

وقدموا لسفرائهم التسهيلات في بلادهم واستجابوا لمطالبهم[١]، وفي المقابل استفاد الأغالبة مقابل ولائهم للخلافة من التأييد الكلي الذي كانت الخلافة قادرة على مدهم به إذ لم يكتفي بنو العباس بقبول وفود البربر التي بعث بها حماتهم من إفريقية للتصريح بتبعيتهم وولائهم، بل أصبح الشرق موضعا للحبس أو النفي في خدمة الحكم الأغلب، فقد أودع إبراهيم الأول في حبس الشرق أعداءه السياسيين كما رحل ابنه الأغلب إلى الشرق عندما تنازع مع أخيه زيادة الله الأول وفي ذلك بلا شك نفع كبير للدولة وللسلم الداخلي[٢]، كما قدم الخليفة العباسي مساعدة للأمير الأغلبي إبراهيم عندما كان يمر بصعوبات مالية وحصل ذلك عندما اندلعت ثورة عمر بن مجالد وأغاث رعاياه بإفريقية عند حدوث بعض المصائب[٣].

أما الاقتصادية فقد كانت متميزة وتأتي في مقدمتها العلاقة التجارية التي اتسمت بازدهارها، فقد تأثرت الأحوال والنظم الاقتصادية في إفريقية بنظيرتها في بغداد، كما أن الخلافة العباسية حرصت من جانبها على دعم الأحوال الاقتصادية في إفريقية لتتمكن من القيام بالأعباء السياسية التي نيطت بها[٤]، وفي نفس الوقت لم يتقاعس الأغالبة عن الوفاء بالتزاماتهم المالية حيال بغداد، فالأمير ابراهيم بن الأغلب تعهد للرشيد بأن يدفع أربعين ألف دينار سنوياً، ودأب الامراء من بعده على دفع هذا المال[٥]، وقد أنشئ في بغداد ديوان خاص بالمغرب للإشراف على العلاقة المالية بين الخلافة والإمارة، وهو دليل لاشك فيه على استمرار أمراء الاغالبة في وفائهم بما تعهد به إبراهيم بن الاغلب لهارون العباسي[٦].

وقد تفانى الطرفان في تقديم المساعدات العينية والمالية كلما سنحت ظروفهما، فبعثت الخلافة بالأموال إلى إبراهيم بن الأغلب ليستعين بها على مواجهة عمران بن مجالد سنة (١٩٤هـ/٨١٠م)، وبفضلها تمكن ابراهيم من دفع أعطيات الجند وقمع الفتنة[٧]، كما بعث الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) الأموال إلى أبي إبراهيم أحمد بن الأغلب لتوزيعها على المنكوبين من ضحايا

(١) إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٤٧.

(٢) الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٣٨١، إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٥٣.

(٣) النويري، نهاية الإرب في فنون الادب، ٥٦/٢٤.

(٤) النويري، نهاية الإرب في فنون الادب، ٥٦/٢٤؛ إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية، ص٥٨.

(٥) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢٥٠/٤؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص١٩٧-١٩٨.

(٦) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٢٩.

(٧) النويري، نهاية الإرب في فنون الادب، ٥٦/٢٤؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢٥١/٤.

الزلزال الذي حدث بالبلاد في سنة (٢٤٥هـ/٨٦٠م)[١]، ولم يقتصر الأمراء الأغالبة على ما كانوا يرسلون من إتاوة سنوية للخلافة، بل دأبوا على تقديم الهدايا والأموال إلى الخلفاء، فقد بعث الأمير زيادة الله الثالث (٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٩م) إلى الخليفة المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) عشرة آلاف مثقال[٢].

وفي هذا الجو من الطبيعي أن تزدهر التجارة بينهم، وما ساعد على هذا الازدهار سهولة الاتصال بينهم براً وبحراً، يذكر ابن خرداذبة : (أن الطريق بين بغداد والمغرب كان معبدا مأمونا، فكانت القوافل تخرج من بغداد وصولاً إلى القيروان)[٣]، أما الطريق البحري فأصبح آمنا بعد تداعى السيطرة البيزنطية في البحر الأبيض المتوسط بعد سنة (٢١٢هـ/٨٢٨م)، وظهور بحرية الأغالبة وسيطرتها على الملاحة في المنطقة الوسطى منه، فقد غدت موانئ مصر والشام مهيأة تماما لاستقبال السفن الأغلبية، وأصبحت القوى الثلاث في مصر والشام وإفريقية – تسيطر على التجارة العالمية[٤]، ومما ساعد على رواج التجارة في القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي التقدم في الزراعة والصناعة، ووفرة إنتاج المحاصيل والسلع بدرجة جعلت التبادل التجاري أمراً ضرورياً، ووصف المزارع المزدهرة وما تنتجه من غلات متنوعة، والمناجم وما يستخرج منها من معادن ومراكز تصنيعها في الشام ومصر والعراق، كما تزخر بالحديث عما شهدته إفريقية من امتداد الرقعة الزراعية بفضل اهتمام الأغالبة بتوفير المياه وزراعة محاصيل جديدة، وعما غصت به مناجمها من معادن الحديد والفضة والرصاص، وتقدم الصناعة والتخصص فيها حتى أن كل مدينة أو إقليم اشتهر بنوع معين من الصناعات، كما حفلت السواحل بمصايد الأسماك والإسفنج والمرجان[٥] وقد صدر الأغالبة القمح إلى الإسكندرية والرقيق الأسود إلى بلاد الشام، كما صدرت النسيج والأبسطة والأقمشة الفاخرة إلى بغداد واستوردوا ماء الورد من المشرق، وتعلموا زراعة المحاصيل المشرقية كالقطن وقصب السكر[٦].

(١) إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية، ص٥٣.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١٣٧/١.
(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٢-٧٣.
(٤) لويس، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ص١٩٨.
(٥) الإدريسي، صفة العرب، ص١١٥-١١٦.
(٦) إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٦٠.

أما العلاقات الثقافية مع العباسيين، فالمعروف أن لبغداد وسامرا أثر كبير على الحياة الثقافية في القيروان فالفقهاء والقضاة في عهد الاغالبة، تلقى عدد منهم علومهم في بغداد مثل أسد بن فرات والفقيه عبد الله بن محمد بن سعيد(١)، الذي اخذ عن محمد بن شجاع البلخي(٢).

وغيره، وأجاد أساليب المناظرة على طريقة أهل بغداد، والفقيه محمد بن زرزر(٣)، وأصبحت المدرسة الحنفية في القيروان ذات مركز قوي ولها أنصار كثيرون، وحين ظهر القول بخلق القرآن في عهد المأمون سنة (٢١٢هـ/٨٢٨م)، امتد أثره الى إفريقية ورأينا مجالس الأمير زيادة الأول بن إبراهيم تحفل بالمناظرات في ذلك الموضوع(٤).

وعزم الأمير إبراهيم بن أحمد على أن يقلد الخلافة فأنشأ بيت الحكمة في عاصمته رقادة وجعلها لا تقل عن نظيرتها في بغداد، فجهز سفارته الى بغداد وسامراء والشام ومصر لجلب العلماء والكتب وما تحتاج اليه هذا المكتبة الجامعة في فنون اللغة والادب، والفن، وعلم الكلام، والفلك، والطب، والرياضيات(٥).

أما تأثر إفريقية في الفن المعماري العباسي فكان واضحاً في المدن التي أنشأها الاغالبة كالعباسية ورقادة فكان يحيط بالمدينة سور حصين، ولها أبواب عدة، وفي وسطها رحبه واسعة لاستعراض الجيش والفرسان في أيام العرض والعطاء، وقد شمل التأثر أسماء البنايات كذلك فقد وجدنا أبراهيم بن الاغلب قد بنى بجوار مدينته العباسية بناية وسماها الرصافة تشبيها لها برصافة بغداد(٦).

يتضح من السابق أن العلاقة الخارجية مع الخلافة العباسية، كانت علاقة تتسم بالولاء لأغلبية المواقف التي تبنتها الخلافة العباسية، واستمرت في ذلك على كافة الأصعدة السياسية والدينية

(١) محمد بن عبد الله بن سعيد، يكنى إبي عثمان، ولد بالقيروان، سنة (١٦٧هـ/٧٨٤م) كان عالماً وفقيهاً، رحل إلى المشرق لطلب العلم. ينظر: الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ١٤٣/٢.

(٢) محمد بن شجاع، المكنى أَبُو عبد الله البلخي البغداديّ الفقيه الْحَافِظ الحنفي أحد الْأَعلام الكبار تفقه على الْحسن بن زِيَاد اللؤْلُؤِي، توفى سنة (٢٦٦هـ/٨٨٠م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٢٣/٣.

(٣) محمد بن زرزر، المكنى أبو عبد الله، عالماً وفقيهاً بمذاهب أهل الكوفة وبجميع الاقاويل، وله مناقب جليلة، ينظر، المالكي، رياض النفوس، ٥١٤/١.

(٤) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، ص١٧٢-١٧٣.

(٥) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ١٩٠/٢.

(٦) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٢٨.

والاقتصادية والثقافية، بحيث لا يمكن جعل هذه العلاقة أو وصفها، بأنها معتدلة بقدر ماهي منحازة إلى هذا الجانب.

ب- العلاقة مع الدولة الاموية في (الاندلس):

تتسم العلاقة الأغلبية – الاموية بأنها عدائية من الناحية الرسمية العلنية، إلا أن المواقف تكشف وجود علاقات طيبة ومعتدلة، حيث لم يجري أي عداء مسلح أو قتال مباشر أو حتى التحالف مع أي طرف ضد الآخر بل اكتفى كلا الطرفين بالعداء الاسمي فقط(١)، ويرجع البعض ذلك لانشغال كل طرف بأمور بلاده الداخلية، فمن المعروف أن الأمويين عندما بسطوا سيطرتهم على الأندلس شرعوا بتوحيد البلاد تحت رايتهم، والقضاء على الفتن والحروب بين العرب والبربر، ومواجهة حركات المعارضين لحكمهم والطامعين بالإمارة(٢)، فضلاً عن خطر الفرنجة الكارولنجيين والنورمانديين الذي بدأ يظهر على سواحل البلاد(٣)، وكذلك كان الأمر بالنسبة للأغالبة الذين انشغلوا بترسيخ حكمهم ومواجهة أعدائهم داخل الدولة، بالإضافة إلى اهتمامهم بالفتوحات في صقلية، حيث لم يشكل الوجود الأموي أي خطر على دولتهم(٤).

أما العلاقات الاقتصادية مع الامويين، فكانت إيجابية ومتواصلة من حيث نشاط الحركة التجارية بين الأغالبة وأمويي الأندلس، فكانت المبادلات التجارية بين الطرفين على ما احتاجته الدولتين من مواد وسلع لم توفرها لها نشاطاتها التجارية الأخرى، فمن أشهر الصادرات الأغلبية لبلاد الأندلس كان الرقيق السوداني(٥)، الذي كان مرغوباً به للعمل في المجال الزراعي في الأندلس كونها بلداً زراعياً بامتياز نظراً لقوته وقدرته على تحمل المشاق، والذهب الذي كان يحصل عليه الأغالبة من القوافل التجارية الرستمية

(١) ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ص١٩٧-١٩٨.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٢/٩٥-٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ٢/٨٧-٨٨.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٠٢؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الآدب، ٢٤/٥٥-٥٦.
(٥) لويس، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ص٢٥٣.

والمدرارية، حيث كانت تأخذ حاجتها منه وتصدر الفائض إلى بلاد الأندلس[١]، فضلاً عن بعض السلع الغذائية كالفستق الذي كان يخرج من مدينة قفصة[٢]، إلى جميع النواحي ومنها الأندلس[٣].

كذلك كان يخرج من مدينة قرطاجنة[٤]، الرخام إلى جميع الأقطار ومنها إلى الأندلس[٥]، فضلاً عن ذلك مارس الأغالبة دور الوسيط التجاري بين بلاد المشرق الإسلامي وبلاد الأندلس خاصة في تجارة اللؤلؤ الذي كان مرغوباً من قبل التجار الأندلسيين[٦]، بالمقابل استورد الأغالبة من بلاد الأندلس، القطن الذي كان يؤخذ من إشبيلية[٧]، ويحمل منها إلى القيروان[٨]، وسروج الخيل من أهم السلع التي حصلت عليها مناطق الشمال الأفريقي من بلاد الأندلس[٩]، والزيت والزئبق الذي كان يؤخذ من حصن ابال – شمال قرطبة ويصدر إلى إفريقية ويدخل في صناعة الذهب لديها[١٠]، اما صناعة الورق فأنها انتقلت الى الأندلس من القيروان[١١]، فضلاً عن تجارة الرقيق من الخدم والصقالبة والروم والإفرنجيون والجواري الروميات والأندلسيات[١٢].

(١) إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص١٨١.

(٢) وهي مدينة من بلاد الجريد، وهي متوسطة بين القيروان وقابس، كبيرة قديمة أزلية، كان عليها سور صخر جليل، وكان يطلق عليها مدينة الحنية، لأن فيها بنياناً قديماً مثل الحنية، فكانت تسمى بها، وفي داخلها عيون كثيرة منها عينان كبيرتان معينتان. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧٧.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٨٢/٤.

(٤) وهي مدينة إفريقية، بينها وبين تونس عشرة أميال، وهي من المدن المشهورة وفيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس في بلد شرقاً ولا غرباً. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٢.

(٥) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ٢٨٨/٢.

(٦) كونستبل، التجارة والتجار في الاندلس، ص٢٥٢.

(٧) وهي مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية، يذكر ان أصل تسميتها اشبالي معناه المدينة المنبسطة، ويقال إن الذي بناها يوليش القيصر وإنه أول من تسمى قيصر. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٨.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٩٥/١؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة، ص٢٧٤.

(٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٩؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة، ص٢٧٧.

(١٠) البكر، النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة، ص٢٧٥-٢٧٧.

(١١) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ١٦٢/٢.

(١٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩٢؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة، ص٢٧٨.

أما العلاقات الثقافية مع الأمويين، فقد اتضـــحت من خلال المؤثرات الإفريقية التي انتقلت إلى بلاد الأندلس بكافة جوانبها، والتقت مدرســـتا القيروان وقرطبة حول مذهب مالك، ومن المؤكد أن علو شـــأن المالكية بالقيروان وكثرة علمائها قد أغرى طلاب الأندلس بالنزوح اليها والدراســـة على فقهائها ومحدثيها فنبغ منهم الكثير وساهموا في تقدم الدراسة الفقهية في بلادهم(١).

كذلك كان للناحية الفنية دور في تلك العلاقة فقد جاء القيروان بالمغني زرياب(٢)، الذي أنهى اقامته في ظل الأمير زيادة الله الأول بالذهاب مع رسول الحكم بن هشام الأموي(٣)، الذي طلب منه القدوم الى قرطبة(٤)، فأثر في الحياة الفنية فيها، وقربه الحكم اليه وأقام عنده بأحسن حال(٥)، كما ظهرت ثمار الاتصال الثقافي في مجال العمارة والفنون، فقد ساهم الأندلسيون في تشييد الكثير من المنشآت الحربية والدينية في إفريقية، وحين شرع الأمير إبراهيم بن أحمد الاغلبي في إنشاء قلعة المدينة سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م) استعان في بنائها برجال من الاندلس(٦)، ولا يخفى أن الطرز الأغلبية في العمارة والفنون قد أثرت في نظيرتها، بالأندلس فاستخدم الأندلسيون الطوب الأحمر في البناء، ودرج الأمراء الأمويون على الاقامة في معسكرات خارج قرطبة طلباً للراحة فأسس عبد الرحمن الناصر قصر الزهراء على غرار القصور الأغلبية خارج القيروان وجلب اليه الرخام والسواري من إفريقية(٧).

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٤١.

(٢) أبو الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب، مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقى في زمنه، كان شاعرا مطبوعا، عالما ببعض الفنون من الطبيعي وغيره، اجتمعت فيه صفات الندماء، وكان حسن الصوت، وهو الّذي جعل العود في خمسة أوتار، وكانت أوتاره أربعة. أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي، توفي سنة (٢٣٠هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٢٨/٥.

(٣) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الاموي، ولد سنة (١٥٤هـ/٧٧١م)، وكان أحد امراء الامويين الذين تولوا حكم الاندلس سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ١٢/١.

(٤) وهي قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومســـتقر خلافة الأمويين بها وآثارهم بها ظاهرة، وفضـــائل قرطبة ومناقب خلفائها أشـــهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشـــتهروا بصـــحة المذهب وطيب المكســـب وحســـن الزي وعلو الهمة وجميل الأخلاق. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٥٦.

(٥) الحفني، زرياب، ص٩٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١١٧/١.

(٧) إسماعيل، الاغالبة – سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٤-١٤١.

يتضح من السابق أن العلاقة بين الأغالبة والدولة الأموية كانت جيدة ومعتدلة، وذلك من خلال العلاقات التجارية والصناعية والسياسية والتجارية والثقافية والفنية القائمة بين الطرفين، وهذا ما يوضح اهتمام أمراء الأغالبة بتبني سياسة متوازنة وتعزيز التواصل الإيجابي مع الدولة الأموية، بغض النظر عن العلاقات السياسية المعقدة بين العباسيين والأمويين.

ت- العلاقة مع دولة الأدارسة:

مرت العلاقة بين الأغالبة والادارسة بمرحلتين الأولى عدائية واضحة، والثانية معتدلة نوعاً ما، حيث سار الأغالبة في بادئ الامر على نهج العباسيين في معاداة الأدارسة، لكن في الحقيقة لم يقم الامراء الاغالبة بأي عمل حربي من شأنه اسقاط دولة الادارسة، لكنهم تمكنوا عن طريق الدس وتدبير المكائد من إثارة العراقيل في وجه حكامها(١)، إذ الملاحظ تأثر الاغالبة بولائهم للخلافة العباسية، من خلال الاتفاق المبرم بين الرشيد وإبراهيم بن الاغلب بأن يبذل الاخير قصار جهده بضم المغربين الاوسط والاقصى الى إمارته أو على الأقل منع النفوذ العلوي من التوغل صوب الشرق، وذلك حينما ازداد خطر الادارسة بعد فتحهم تلمسان(٢)، وهي بمثابة باب إفريقية ومن ملك الباب أوشك أن يدخل الدار(٣)، ولما أدرك الرشيد هذه الأهداف، لم يكن بإمكانه تجنيد جيش لقتال الادارسة بسبب بعد المسافة، عول على اغتيال إدريس بن عبد الله، واختار شخص يدعى الشماخ(٤)، ليقوم بالمهمة، وبفضل ما اشتهر الشماخ من لباقة وعلم استحوذ على حب إدريس فقربه إلية، فأنتهز الشماخ هذه الفرصة وقام بتسميم إدريس، وقدم على أبراهيم بن الاغلب فأخبره، فكتب إبراهيم إلى الرشيد بذلك(٥)، ولم تقتصر لأحداث على مقتل

(١) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٢١٠/١؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢١٥/١.

(٢) وهي مدينة فيها آثار كثيرة تدل على أنها كانت دار للملوك، وبينها وبين وهران مرحلتان، كثيرة شجر الجوز وكان لها ماء مجلوب من عيون تسمى لوريط. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٣٥.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٢؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢١٣/١-٢١٤.

(٤) سليمان بن جرير الجزري، الملقب بالشماخ، وأدعى من الشيعة الزيدية، كان صاحب لباقة باللسان، وعالماً بالعلوم، كلفة الرشيد بالذهاب إلى المغرب لقتل أدريس. ينظر: أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٧.

(٥) أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٨؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٩٩/١-١٠٠.

ادريس الاول فقط بل تعدت ذلك واصبحت اكثر عداوة، وذلك عندما توفى إدريس الاول، ترك زوجته البربرية (كنزة) حامل فأنجبت له ولد واطلق علية اسم إدريس، وقام راشد بأمره، وعلمه العلوم والادب العربية فضلاً عن الفروسية، فعندما علم إبراهيم بن الاغلب بأمر مولاه إدريس الثاني وخطورته على تشجيع ادريس الثاني مهاجمة إفريقية، بدأ بطريق الكيد وبذل الأموال لاغتياله(١)، ولم يكتفي بهذه الامر بل عمل إغراء بهلول بن عبد الواحد القائم بأمر إدريس(٢)، ودارت مراسلات عديدة بين ابن الاغلب وبين البهلول وبعدها كسبه ابن الاغلب إلى جانبه، وأخرجه عن طاعة إدريس الثاني، الامر الذي جعل أدريس أن يخشى على دولته، فبعث إلى ابن الاغلب، ليذكره بقرابته للرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، يطلب منه الكف عن تدبير المكائد ضده، فكف عنه ابن الاغلب، ولم تجري حرب بينهما(٣)، وهنا بدأت المرحلة الثانية من العلاقات الجيدة البعيدة عن العدائية، والتي توضح السلوك السياسي المعتدل لأمراء الاغالبة والاهتمام بالاستقرار السياسي، وعندما توفى إبراهيم بن الاغلب سنة (١٩٦هـ/٨١٠م) تولى ابنه عبدالله امارة الاغالبة من بعده، فأبقى الصلح قائم بينه وبين الأدارسة، حيث بدأ الادارسة بإعادة قوتهم السابقة، وذلك بالسيطرة ع بعض المناطق، وتنكيل بعض الخارجين على سلطانهم، حيث اصبحت القوة الاول بالمغرب، وبوفاة عبد الله بن إبراهيم بن الاغلب سنة (٢٠١هـ/٨١٥م) تولى اخيه زيادة الله الاول بن إبراهيم، وفي عهده استمرت العلاقة الاغلبية الادريسية على سابق عهدها، بعيده عن الصراعات والمناوشات(٤).

كذلك شهدت العلاقة مع الادارسة وجود صلات تجارية واضحة، إذ كانت حاجتهم ماسة إلى الرقيق الأسود، التي كانت تستورده من الادارسة، ومن هذا النوع اتخذ إبراهيم بن الأغلب حرسة وجنده، وكانت في القيروان سوق خاصة لبيع الرق الأسود تسمى سوق البركة(٥).

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ١/١٠٠.

(٢) البهلول بن عبد الواحد المدغري، كان رئيساً في قومة، والقائم بأمر إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن صاحب المغرب الأقصى. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ١/١١١.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٢٤/٥٥-٥٦؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١/٢٢٠.

(٤) ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ١/٩٢؛ رضوان، مدينة القيروان في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٢٨٧.

ومن أهم السلع الأخرى التي استوردت من مدينة فاس[١]، هو السُكر[٢]، في المقابل صدرت القيروان إلى مدينة فاس النحاس والحديد والزيت الصفاقسي والفستق والقير وغيرها من المنتجات التي تطلبها الحاجة[٣].

كذلك شهدت العلاقات المعتدلة والإيجابية وجود رحلات ثقافية بين القيروان وفاس فنجد من أعلام الرحلة من القيروان إلى فاس هو محمد بن عبد الله الفهري، وهو من أشراف القيروان، ومحي العلم فيها، وفد على مدينة فاس مع جماعة من القيروانيين أيام محي الدين يحيى الأول بن محمد بن إدريس (٢٣٩-٢٤٩هـ/٨٥٣-٨٦٣م)، واستقروا بالعدوة التي أصبحت معروفة بعدوة القرويين[٤]، كذلك فاطمة بنت محمد بن عبد الله وتكنى أم البنين، وردت من إفريقية مع أفراد أسرتها على المدينة، حيث سكنت عدوة القرويين على مقربة من مكان الجامع الذي كتب لها أن تشيده، وقد شرعت في حفر أساسه سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م)، وبعدها نقلت إليه الخطبة من جامع إدريس لضيق محلته ومساحته، وقد كان هذا الجامع تدرس فيه مختلف العلوم الشرعية[٥].

ومن الجدير بالذكر أن مدينة القيروان تركت أثراً فنياً في الجانب المعماري في مدينة فاس، حيث أن الأساليب الفنية العباسية وجدت طريقها إلى بلاد الأدارسة عبر القيروان، حيث قامت بدور الوسيط بين الشرق والمغرب الأقصى، وتجلى ذلك في المنشآت التي قامت بها الادارسة فقد استخدموا الطوب الأحمر في بناء الحصون على غرار الأغالبة، فضلاً عن أن جدران مدينة البصرة في المغرب الأقصى بنيت على النمط العباسي الذي وصل إلى المغرب الأقصى عبر القيروان[٦].

---

(١) وهي مدينة عظيمة، وقاعدة للمغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس، يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة، وفي كل زقاق ساقية يجرونها متى شاءوا، وفي كل دار صغيرة كانت أو كبيرة ساقية ماء، والحنطة بها رخيصة، وفواكهها كثيرة، وخصبها زائد، وفي أهلها عزة ومنعة، ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٣٤.

(٢) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص٢١١-٢١٢؛ الشرقي، الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٥٤.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ٢٣٩/١؛ الشرقي، الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٥٣.

(٤) كلثوم، الحياة الثقافية بالقيروان في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٧٦.

(٥) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢٣١/١؛ عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص٢٠-٢١.

(٦) إسماعيل، الاغالبة - سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٣٥-١٣٦.

يتبين مما سبق أن العلاقة مع الادارسة جيدة في اغلب الاحيان، على الرغم من الاختلافات السياسية القائمة، إلا العلاقة شهدت تفاعل إيجابي، وذلك على الأصعدة التجارية والثقافية، فضلاً عن توقف العداء السياسي، وهذا ما يعكس رغبة الأمراء الأغالبة في تبني سياسة معتدلة تجاه هذه الدولة.

ث- العلاقة مع الدولة المدرارية:

اتسمت العلاقات الأغلبية والمدرارية بالإيجابية، على الرغم من كون المذهب الرسمي لها هو المذهب الخارجي وأنصاره معارضين للخلافة، إلا أن ما يشير قبول المدراريين بالتبعية لبغداد، حيث دعا زعماءهم في الخطبة للولاء للخليفة العباسي، واستخدم بعضهم ألقابًا ذات طابع خلافي. والدليل على ولاء المدراريين للخلافة العباسية هو استجابة الأمير اليسع بن مدرار[١]، أمير سجلماسة[٢]، لطلب الخليفة المعتضد بالقبض على عبيد الله المهدي[٣][٤]، وفي رواية أخرى تم إرسال رسالة أيضاً من الأمير زيادة الله بن الاغلب إلى يسع بن مدرار لنفس الغرض واستجابة يسع بن مدرار لطلب الخليفة والأمير الأفريقي يعتبر دليلاً على تلاشي العداء في العلاقات بين الاغالبة وبني مدرار[٥]، كذلك أكدت بعض الروايات على حسن العلاقة بين الطرفين، وذلك عندما اجتمع خوارج سجلماسة على اليسع بن مدرار الذي كان له ولدان أحدهم يدعى ميمون بن مدرار والثاني بن تقية، فاتفق الخوارج على إسناد الحكم لميمون بعد أبية، واخرج أخية بن تقية الذي كان يتولى أمر البلاد بتقليد من بني الأغلب، فلما أستقر الأمر لميمون قام بإخراج أبيه وأمة من المدينة، ثم بعث بخطاب إلى مولاه أبي عقال الأغلب بن إبراهيم يخبره بما

(١) اليسع بن المنتصر بن اليسع بن أبي القاسم بن مدرار، عرف بحسن سيرته، كان عهده حافلاً بالأحداث والصراعات، حكم دولة بني مدرار قرابة سبع وعشرون سنة، قتل على يد أبو عبد الله الشيعي، سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م). ينظر: برناوي، دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الإسلامي (١٤٠-٣٤٧هـ)، ص٣٧.

(٢) وهي من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبليها ولا في غربيها عمران، وبينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة، وليس بها عين ولا بئر، وزرعهم الدخن والذرة ولهم النخل الكثير. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٠٥.

(٣) عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق المكتوم، الفاطمي العلويّ، مؤسس دولة العلويين في المغرب، في نسبه خلاف طويل، كان يسكن سلمية (بسورية) ومولده بها (أو بالكوفة) وكان أبوه قد أرسل الدعاة، وأعظمهم أبو عبد الله بالشيعي، فمهّد له بيعة المغرب، وفتح بلدانا، وناصرته قبائل كتامة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ١٩٧/٥.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، ١٦٦/٥.

(٥) العيفة، دولة بني مدرار بسجلماسة (١٤٠-٣٤٧هـ)، ص١٢٣.

حدث وتقلده حكم البلاد، فأجازه الأمير وأقره على الولاية[١]، ويبدو أن هذه الرواية غير دقيقة في موضوع تبعية الخوارج إلى الأغالبة.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الاغالبة لم يواجهوا أي مشاكل ملحوظة من المدراريين خلال حكمهم، مما أدى إلى تأمين جانبهم ورضا المدراريين عن السلام مع الاغالبة، مما سمح لهم بالتركيز على الشؤون الداخلية للدولة.

أما في الجانب التجاري فقد اتسمت العلاقات بين دولة الأغالبة بالدولة المدرارية، بالتبادل تجاري بين الطرفين، وحصل كل طرف منهما على العديد من المنتجات التي ينتجها الطرف الاخر، ومن أهم تلك الصادرات والواردات، ما كانت تصدره سجلماسة إلى القيروان من الكمون والسكر[٢]، فضلاً عن الذهب، والذي تحصل عليه من خلال التبادل التجاري مع السودان[٣]، في حين كانت أهم السلع التي استوردتها سجلماسة من القيروان، الزيت الصفاقسي والقمح والحديد والزجاج والخزف والسروج والمنسوجات الحريرية[٤].

أما العلاقات الثقافية بين الدولتين، فقد كانت جيدة ومتميزة، بغية تحصيل العلم على يد من فيها من العلماء، ومن أبناء سجلماسة الذي تلقى العلم في القيروان حماد السجلماس[٥]، الذي أقام بالقيروان، وكان أول من قدم بفقه ابن الماجشون[٦]، إلى القيروان، وسمع منه عامة أصحاب سحنون[٧]، ويزيد بن

(١) الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٢٢٩.

(٢) العيفة، دولة بني مدرار بسجلماسة (١٤٠-٣٤٧هـ)، ص١٤٩.

(٣) برناوي، دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الإسلامي (١٤٠-٣٤٧هـ)، ص٩٢.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٣؛ باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص٤٥٤-٤٥٩، الشرقي، الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص١٥٣.

(٥) حماد بن يحيى، كنيته أبو يحيى السجلماسي، كان شيخاً صالحاً تاجراً من مدينة سجلماسة، رحل إلى القيروان لطلب العلم على يد علمائها، ودرس على يد الفقيه سحنون، وهو اول من ادخل فقه ابن ماجشون إلى مدينة القيروان. ينظر: عياض، تراجم أغلبية، ص١٤٦-١٤٧.

(٦) عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة، كنيته أبو مروان، من بني تميم من قريش، وقيل سمي بالماجشون نسبة إلى جده ابي سلمة، وقيل، الماجشون المورد بالفارسية، وقيل، سمي بذلك لحمره في وجه، وقيل، سمي بالماجشون، موضع في خرسان نسبوا إليه. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٦٦/٣.

(٧) عياض، تراجم أغلبية، ص١٤٦-١٤٧؛ زيتون، القيروان في الحضارة الإسلامية، ص٤٣٢.

مخلد[١]، من كبار الائمة الذين بلغوا درجة الاجتهاد، وكان أذا دخل القيروان، اضطربت المدينة من أجلة بفنون العلم والسؤلات[٢].

يظهر من السابق أن العلاقة الأغلبية بالدولة المدرارية، كانت علاقة جيدة ومتزنة، الدليل على ذلك المواقف السياسية بين الطرفين، فضلاً عن التعامل في الجانب التجاري والثقافي، وهذا ما يعكس رغبة الاغالبة بالقيام بسياسة معتدلة وجيدة مع هذا الدولة.

ج- العلاقة مع الدولة الرستمية:

قرر الأغالبة إتباع سياسة التعايش السلمي وبناء علاقات طيبة ومعتدلة مع الدولة الرستمية، وهذا ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن علاقة الرستميين بالأغالبة كانت علاقة سلمية ولم تتخذ طابعاً عدائياً، وفي الحقيقة أن الدولتين اتبعت هذا السياسة، نتيجة الحدود المشتركة ما بين الطرفين، إذ أن حدود الدولة الرستمية الممتدة من تاهرت[٣]، غرباً إلى طرابلس شرقا تمتد مع حدود دولة الأغالبة من الشرق والغرب والجنوب[٤]، ولهذا تم الاتفاق (١٩٦هـ/٨١٠م) أول مبدأ التعايش السلمي بين الدولتين حينما اضطر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن[٥]، إلى الاصطدام مع الأغالبة دفاعاً عن مواطني دولته من قبيلة هوارة ثم رأى الجانبان ضرورة الجلوس والحوار للوصول لاتفاق مرضى لهما وجاءت نصوص هذا الاتفاق مراعية لصالح الطرفين، حيث أكد الأغالبة احترامهم للامتداد الجغرافي للدولة الرستمية ونطاقها الرعوي في منطقة طرابلس، وبالتالي احترام

(١) يزيد بن مخلد بن سعيد، يكنى أبو القاسم، ولد في مدينة سجلماسة، سنة (١٥٦هـ/٧٧٣م) وكان أحد علماء الدولة المدرارية، الذين رحلوا إلى إفريقية لأخذ العلم، وسكن القيروان وأصبح ذو شأن كبير فيها. ينظر: أبي زكريا، سير الائمة واخبارهم، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) أبي زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، ص١٣٠.

(٣) وهي مدينة في سفح جبل يسمى قزول، وعلى نهر كبير يأتيها من ناحية الغرب ولها نهر آخر يجري من عيون يجتمع منه شرب أرضها وبساتينها، وسفرجلها لا نظير له حسناً وطعماً وشماً، ولها ثلاثة أبواب: باب الصفا وهو باب الأندلس وباب المنازل وباب المطاحن، وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص١٢٦.

(٤) دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ٥١٥/٣-٥١٧، الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (١٦٠-٢٩٦هـ)، ص١٣٤-١٣٥.

(٥) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى الاباضي، ثاني الأئمة الرستميين من الإباضية في تاهرت، كان مرشحا للإمامة في حياة أبيه، فوليها بعد وفاته سنة (١٧١هـ/٧٨٧م)، واجتمع له في أمر الإباضية وغيرهم وكان فقيهاً عالماً شجاعاً. ينظر: أبو الأرقم، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، ص٢٥٣.

الرستميين حاجة الأغالبة إلى الشريط الساحلي لطرابلس اتخاذهم البحر الأبيض المتوسط ميداناً لجهادهم ضد الروم(١).

وفي سنة (٢٠٩هـ/٨٢٥م) شهدت إفريقية ثورة ضد حكم الأمير زيادة الله الأول بن الأغلب، والتي عُرفت بثورة الطنبذي، كادت هذه الثورة أن تؤدي إلى إسقاط الدولة الأغلبية في المغرب، إلا أن الأمير زيادة الله الأول لجأ إلى جيرانه الإباضين طلبًا للمساعدة في مواجهة هذه الثورة، وقد استجاب الإباضين لنداء الأمير، وتمكنوا معًا من القضاء على هذه الانتفاضة(٢).

وتُذكر بعض الروايات التاريخية أن في سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) تعاون الرستميين مع الاغالبة في سياق هجوم العباس بن أحمد(٣)، على بعض الحصون التابعة للأغالبة، تلك الحادثة تشير إلى أن طائفة من أهل الحصن استعانت باليأس بن منصور(٤)، رئيس الاباضية، للمساعدة، وعلى ذلك، قام إلياس بن منصور النفوسي بالتحالف مع جيش ابن الأغلب للتصدي لحملة العباس بن أحمد، وبفضل جهودهم المشتركة، تمكنوا بنجاح من هزيمة قوات العباس بن أحمد(٥).

أما العلاقة التجارية مع الدولة الرستمية فقد ارتبطت الدولتان بتجارة برية وبحرية، فكان للقيروان أسطولها التجاري ولتاهرت أسطولها، وكان التجار يسلكون ثلاث طرق مختلفة: الطريق الأول هو الطريق البحري، حيث أن القوافل تنقل السلع من تاهرت الى تنس(٦)، إذ كانت المسافة بينهما مسير أربعة أيام

---

(١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢٥١/٤؛ الثعالبي، تاريخ شمال أفريقيا، ص٢٠٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٩٨/١-١٠٠؛ الشرقاوي، التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة، ص٩٤.

(٣) العباس بن أحمد بن طولون، من شعراء الأمراء، حكم مصر نيابة عن أبية، في خلال رحلة قام بها إلى الشام، وطمع بالملك، وقام بالهجوم على إفريقية بغية غياب أبية، وعندما عاد أبوه إلى مصر، وجه جيشاً لقتاله، فقبض علية وحمل إلى مصر، فأمر أبوه بضربة وسجنه مقيداً، وقتل سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) على يد أخيه خمارويه. ينظر: الزركلي، الأعلام، ٢٥٨/٣.

(٤) إلياس بن منصور النفوسي، تولى حكم جبل نفوسة من قبل الأمام أبي اليقظان محمد بن أفلح، ويقال بعد أن تولى أمور المسلمين في نفوسة أصبحت أكثر أمان، وكان لم يهزم له جيش ولا تنكس له راية. ينظر: الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، ص٣٠٤.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٦٠/٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١١٩/١.

(٦) وهي مدينة عليها سور ولها أبواب عدة، وبعضها على الجبل قد أحاط بها السور، وبعضها في سهل، وهي قريبة من البحر على نحو ميلين على وادً كثير الماء وشربهم منه، ولها بادية من البربر كثيرة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٨.

ومن هناك الى ميناء طبرقة[١]، ومنها الى ميناء تونس، ثم تقوم القوافل البرية بنقلها الى داخل إفريقية حيث مدينة القيروان[٢]، أما الطريق الثاني، فهو يخترق منطقة الهضاب العليا الى الزاب، ثم الى القيروان عبر جبال الأوراس، فكان الخارج من تاهرت يسير الى مدينة سطيف[٣]، ثم الى القيروان، وتستغرق هذه الرحلة مسير شهر على الأبل، وكان يفضل هذه الطريق عامة الناس من التجار والعلماء والراحلون بعائلاتهم فهو في مأمن من الغارات البيزنطية، وعامر بالقبائل، الأمر الذي يتيح لهم سهولة التزود بالمؤونة والقيام بعمليات التبادل التجاري[٤]، أما الطريق الثالث، فيخرج من تاهرت، عبر جبال عمور، ومن ثم الى القيروان، فكانت تاهرت ترتبط بالقيروان بعلاقة تجارية مباشرة كما وجدت علاقة تجارية غير مباشرة، تتم في مراكز تجارية أخرى مثل زويلة[٥]، وسجلماسة، وغيرها، وقد يكون هذا التبادل بسلع محلية أو بسلع مستوردة، بمعنى قيام كل منها بدور الوسيط التجاري[٦].

أما من ناحية التبادل التجاري بين الدولتين، فقد صدرت تاهرت إلى القيروان بعض منتجاتها الزراعية كالسمسم والزعفران والكتان والفواكه المجففة والحبوب والعسل، كما صدرت الحيوانات كالأغنام ومنتجاتها[٧]، والمرجان والمواد المصنعة من الصوف والجلود، وبعض المصنوعات التقليدية، ومن جانب القيروان، صدرت الموز الذي قد وصل تاهرت من قابس، والفستق من قفصة ونظرا لاشتهار إفريقية بأشجار الزيتون فربما صدر الزيت والصابون، كما صدرت إفريقية المواد المصنعة كالآلات الحديدية

(١) وهي تقع بين درنة وباجة من البلاد الإفريقية، وبينها وبين بنزرت سبعون ميلاً، وهي قديمة فيها آثار كثيرة، وهي على نهر كبير بقرب البحر تدخله السفن، وبالقرب منها مدينة مرسى الخزر، والبحر محيط بها من كل جهة، وبها كانت تنشأ السفن لغزو بلاد الروم. ينظر: الحميري، روض المعطار في أخبار الأقطار، ص٣٨٦.

(٢) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٣٧؛ يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص١١٦-١١٧.

(٣) وهي تقع بين في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان، من أرض البربر ببلاد المغرب، وهي صغيرة إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم، ومنها خرج الداعية أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١٩/٣.

(٤) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٧٩؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٤-٨٥.

(٥) وهي مدينة غير مسورة في وسط صحراء، وهي أول حدود بلاد السودان، فيها جامع وحمامات وأسواق، تجمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق قاصدهم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٦٠/٣.

(٦) لويس، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ص١٨٨؛ مؤنس، فزان ودورها في انتشار الإسلام في إفريقية، ص٧٦-٨٠.

(٧) الجنحاني، تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، ص٣٥-٤٠؛ يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص١١٨.

للسفن – لوجود الحديد – والسيوف وسروج الخيل والتحف والمنسوجات الحريرية كالثياب السوسية الشهيرة[١].

أما العلاقة الثقافية مع الدولة الرستمية، فقد كانت جيدة ومتواصلة حيث لم تكن الدولتان بمعزل عن بعضها في الجانب الثقافي، من حيث العلاقات المتبادلة بينهما، عبر التجار والحجاج والعلماء، فقد رحل العديد من الإباضين إلى إفريقية لطلب العلم، وكان من بينهم، سعيد الحدائي[٢]، وحارث الغدير[٣]، وحفصون النفوسي[٤]، وأبو عبد الله[٥]، وأقام هؤلاء في إفريقية يمارسون حياتهم الخاصة والعلمية دون التدخل من قبل أمراء الأغالبة، بل الأكثر من ذلك سمحوا لهم بالقيام بالمناظرات العلمية مع المذاهب والفرق الأخرى التي كان لها وجود في إفريقية، ومن تلك المناظرات الثقافية والعلمية مناظرة جعفر على المذهب المالكي، العنبري الاباضي[٦]، والتي كانت في حضرة زيادة الله الأول بن الاغلب[٧]، وقد رحل أخرون من القيروان وسائر إفريقية إلى تاهرت، كان منهم عدد من العلماء، كأبي الفتاح وبكر بن حماد[٨]، ومن المؤكد أنهم لم يكونوا أول من ينتقل إلى تاهرت طالبين للعلم وآخرهم، إذ لابد أن يكون قد سبقهم ولحقهم آخرون، وهذا دليل على أن الانتقال بين الدولتين كان عادة متبعة لطلب العلم[٩].

---

(١) يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص١١٨؛ الشرقي، الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الاغالبة (١٨٤هـ/٢٩٦هـ)، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) سعيد الحدائي الامام الشهير والفقيه الكبير، كان من أهل تاهرت، رحل إلى إفريقية، وسكن القيروان، وأصبح عالماً ومفتياً فيها. ينظر: الشماخي، السير، ٢٢١/١.

(٣) حارث بن سلام، كان من اهل هوارة، رحل إلى إفريقية، وسكن قبلة سوسة غرب مدينة القيروان، كان فقيهاً وعالماً ومفتياً كبيراً فيها. ينظر: الشماخي، السير، ٢٢٢/١.

(٤) حفصون بن أبي سلمة، المكنى أبو عمرو، ولد وترعرع في مدينة نفوسة، كان عالماً وفقيهاً وفارض وناقد، رحل إلى إفريقية، لغرض التعلم والاطلاع على يد علمائها. ينظر: الشماخي، السير، ٢٢٢/١.

(٥) فضل بن سعيد، المكنى أبو عبد الله، كان من أهل هوارة، وهو أحد العلماء الذين رحلوا إلى إفريقية، وسكن غرب مدينة القيروان وسط سوق الاحد، وهو سوق أبي محرز. ينظر: الشماخي، السير، ٢٢١/١.

(٦) لم نعثر على ترجمة للجعفري في المصادر والمراجع، أما العنبري فهو محمد بن تميم، المعروف بالعنبري، كان من أهل قفصة، كان ممن يقولون في خلق القرآن. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٢٨٧/١.

(٧) المالكي، رياض النفوس، ٢٨٦/١-٢٨٧.

(٨) لم نعثر على ترجمة أبي الفتاح في المصادر والمراجع، أما الاخر فهو بكر بن حماد بن سمك الزناتي، يكنى أبو عبد الرحمن، ولد سنة (٢٠٠هـ/٨١٦م) عالماً وشاعراً، كان كثير الترحال بين البلدان لطلب العلم والمعرفة توفى سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٦٣/٢.

(٩) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٦٧؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص٥٨.

يتضح من السابق، أن العلاقات بين الدولتين اتسمت بالاعتدال والايجابية، وهذه يتجلى من خلال العلاقات السياسية، فقد حرص الطرفان على الحفاظ على حالة من السلم المتبادل، متجنبين الانخراط في نزاعات أو صراعات مباشرة، علاوة على ذلك، تعززت هذه العلاقة المعتدلة من خلال التبادلات الثقافية والتجارية بين الدولتين، وأن هذه الروابط المتعددة الأبعاد تشير إلى وجود استراتيجية متعمدة من قبل الدولة الأغلبية لتبني نهج دبلوماسي معتدل تجاه الدولة الرستمية.

ح- العلاقة مع الدولة الطولونية:

اتسمت العلاقات بين الدولتين بالعلاقة الودية، فبعدما استقل أحمد بن طولون(١)، بمصر عن الخلافة العباسية، وكون دولة مستقلة سنة (٢٥٤هـ/٨٦٨م) أستمرت العلاقة الودية بين الأغالبة والطولونيين(٢)، فلم تشهد هناك مواجهات او حملات مسلحة تذكر بين الطرفين، وذلك لانشغال كل طرف منهم بحروبه وطموحاته المستقبلية، إما عن الأغالبة فقد انصرفوا لمحاربة القوى المعادية في البحر المتوسط والثورات الداخلية التي واجهتها(٣)، وبديهي أيضاً أن أحمد بن طولون، لم يكن يهدف إلى القيام بعمل عدائي ضد إفريقية، والدخول في الصراع مع الاغالبة، لانصرافه إلى بلاد الشام والثغور التي استحوذت على جل اهتماماته(٤).

لم تقتصر العلاقات الأغلبية الطولونية على الناحية السياسية بل شملت الصلات التجارية، وقد ساعدت الظروف الجغرافية للبلدين على زيادة تلك الصلات بشكل ملحوظ، فكانت مصر بموقعها الهام تمسك بزمام التجارية البرية والبحرية مع المشرق، اما إفريقية كان لموقعها أثر في السيطرة على الطرق البرية والبحرية الموصلة الى الغرب، وقد ارتبطت مصر بإفريقية بطريقين بريين أحدهما يسير نحو الساحل، والأخر الى الجنوب منه في الداخل(٥)، ويرجع الفضل في تأمين الطريق البحري

(١) أحمد بن طولون التركي، ويكنى أبو العبَّاس، وطولون مولى نوح بن أسد عامل بخاري وخراسان، أهداه نوح إلى المأمون في سنة مئتين، ووُلد له أحمد في سنة عشرين ومئتين، ببغداد، وقيل: بسُرَّ من رأى، من جارية يقال لها: هاشم، وقيل: قاسم، وقيل: إنَّ أحمد لم يكن ابنَ طولون وإنَّما تبنَّاه، توفى سنة أربعين ومئتين. ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١٦/٧٤-٧٦.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ١/٩٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٢٤/٥٥-٥٦.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٤/٤٥١؛ ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٤٧؛ البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص٢٧٩.

(٥) ميتنز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ٢/٤١٩.

الى دولة الاغالبة التي أزالت النفوذ البيزنطي عن البحر المتوسط فترة من الزمن، فأتاحت لموانى الدولة الطولونية المشاركة في تجارته، وكانت قبل ذلك مقصورة على استقبال التجار المغاربة، وقد ظهر أثر تعاون الأغالبة والطولونيين في رقي بلديهما اقتصادياً، واشتركا في نقل التجارة العالمية من الشرق الى المغرب(١)، وقد راجت حركة التبادل التجاري بين الدولة الأغلبية والطولونية في ذلك الحين فقد كانت إفريقية الغنية بالقمح والفستق والزيت تعمل على تصديره إلى مصر(٢)، كما شغف الطولونيين بالخيول المغربية المشهورة وحمل التجار الطولونيين منسوجاتهم الالياف التيلية والكتانية إلى الموانئ التونسية حيث وجدت إقبالاً كبيراً في أسواق إفريقية، ليعودوا محملين بالمرجان الذي كان يستهوى التجار من كافة الجهات(٣)، وليس من المستبعد تصدير الأغالبة للأخشاب التي كانت دولة الطولونية دائما بحاجة إليها، وهي تعمل على استيرادها من أوربا في عصر السيادة البحرية البيزنطية(٤).

أما العلاقات الثقافية مع الدولة الطولونية، فلم تكن أقل شأناً من العلاقات السياسية والاقتصادية، بل كانت أكثر توثقاً منهما، حيث تلقى أغلب العلماء والفقهاء الافارقة علومهم في مدرسة الفسطاط ثم عادوا واصبحوا أساتذة في مدرسة القيروان(٥)، ولم تقتصر الحركة الفكرية في مصر على الناحية الدينية فحسب بل تعدتها الى الجوانب اللغوية والأدبية، وانتقلت منها الى بلاد المغرب، ونبع فيها عدد من العلماء مثل إبراهيم بن محمد الضبي(٦)، الذي كان يتكلم في تسعة اعشر فناً من العلم(٧)، كما زار إفريقية عدد من علماء مصر مثل زكريا الوقار المصري(٨)، الذي زار إفريقية سنة (١٩٠هـ/٨٠٦م)، وعلم فيها

(١) لويس، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ص٢٥٧.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٣؛ الإدريسي، صفة العرب، ص١٨٧؛ الشرقي، الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الاغالبة (١٨٤/٢٩٦هـ)، ص١٥٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٥٤/٥؛ عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ٧٥/٢.

(٤) لويس، أرشيبالد، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ص٢٥٩.

(٥) الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ٤٩/٢؛ حسين، آدب مصر الإسلامية، ص٨٩.

(٦) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن البردون الضبي، أحد الائمة والشعراء والبلغاء، كان على مذهب مالك، يقال، كان يتكلم في تسعة اعشار قياس العلم. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢١٥/١٤.

(٧) الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ١٧٧/٢.

(٨) زكريا بن يحيى، المكنى أبو يحيى الوقار المصري، مولى بني عبد الدار من قريش، كان فقيها، وكان صاحب عجائب، ولم يكن بالمحمود في روايته، وكان مولده سنة (١٧٤هـ/٧٩٠م)، وتوفى سنة (٢٢٤هـ/٨٣٩م). ينظر: الحكري، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٧١/٥.

ثم عاد الى مصر[١]، ولما آلت إمارة الأغالبة الى ابراهيم بن أحمد نقل عاصمة الدولة الى رقادة وأرسل في أول عهده سفارات متعددة الى المشرق بقصد تجهيز عاصمته الجديدة بكل ما تحتاج اليه مضاهات لما كان يشاهد في سر من رأى القطائع ومن الارساليات المذكورة سفارة أبي بحر ابن أدهم أحد رجالات الدولة، وقد أخرجه ابراهيم الى مصر في سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) وبعد غياب أشهر عاد الرسول ومعه الأطباء، والفنانون علاوة على ما جلبه من الكتب، والآلات فتقدمت العلوم والفنون والآداب الجميلة في إفريقية تقدما لم يعهد له مثيل من قبل في تاريخ البلاد[٢].

بناءً على المعطيات، يمكن القول إن العلاقات بين الدولتين اتسمت بالإيجابية والاستقرار في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية خلال الفترة التاريخية المعنية.

أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال سياسة الاعتدال في العلاقات الخارجية، هو بناء علاقات خارجية تتصف بالاعتدال مع كل الدول وفي مختلف الجوانب، وعلى النحو التالي:

١. على الرغم من بعض التباينات السياسية التي شهدتها الدولة الأغلبية مع بعض الدول المعاصرة لها، إلا أن أمراء الأغالبة أبدوا رغبةً واضحة في إقامة علاقات معتدلة ووطيدة، كان الهدف منها الحفاظ على السلم الخارجي مع دول المغرب والأندلس، مما يعكس حرصهم على تحقيق الاستقرار الإقليمي وتعزيز التعاون السياسي.

٢. حظيت العلاقات الاقتصادية التي أقامها معظم أمراء الأغالبة مع دول المغرب والأندلس باهتمام كبير، ويتجلى ذلك من خلال حركة التبادل التجاري النشطة التي شهدتها تلك الفترة بين الدولة الأغلبية وهذه الدول، وقد ساهمت هذه العلاقات في تعزيز الروابط الاقتصادية بينهم، مما أثرى التجربة الحضارية في المنطقة.

٣. اهتم الأغالبة بالصعيد الثقافي، من خلال أهمية التبادل العلمي والثقافي بين الدول، حيث شهدت تلك الحقبة العديد من الرحلات العلمية بين دولة الأغالبة ودول المغرب والأندلس، فقد جذبت مدينة القيروان العديد من العلماء، الذين قدموا إليها بغرض التعلم والاستفادة من مكانتها المرموقة في المجالات الثقافية والمعرفية، وعلى الجانب الآخر، لم يقتصر الأمر على زيارة العلماء للقيروان، بل قام أيضًا العديد من

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ٣٦٨/١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١٢٩/١.

علماء القيروان والمدن الإفريقية برحلات لكل دول المختلفة طلبًا للعلم والمعرفة، وهذه التبادلات لم تعزز فقط من مستوى التعليم، بل أسهمت أيضًا في إثراء الثقافة الإسلامية وفتح آفاق جديدة للعلماء في مختلف المجالات.

٤. كانت علاقات الأغالبة واضحة في الجانب الفني، فقد نشأ تفاعل ملحوظ بين الدولة الأغلبية والدول المغرب والأندلس والعباسية، حيث تأثرت هذه الدول بما وجد في المناطق الإفريقية من عمران حضاري، مما أدى إلى تبادل الأفكار والأساليب الفنية، حيث استلهم الفنانون في الأندلس والمغرب من المعمار في إفريقية، متأثرين بالعناصر الزخرفية والتصميمات الفريدة التي تميزت بها تلك المناطق، في المقابل، استقبلت إفريقية أيضًا تأثيرات من الفنون الأندلسية والمغربية وكذلك العباسية، مما أسهم في إثراء المشهد الفني في جميع هذه المناطق، هذا التفاعل الفني لم يعزز فقط من جماليات العمارة والفنون، بل ساهم أيضًا في تشكيل هوية ثقافية مشتركة، تعكس غنى التبادل الثقافي بين هذه الحضارات.

الفصل الثالث

سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة الحضاري

أولاً: سياسة الاعتدال في الحياة الاجتماعية

ثانياً: سياسية الاعتدال في الحياة الدينية

ثالثاً: سياسية الاعتدال في الحياة الاقتصادية

الفصل الثالث

سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة الحضاري

مدخل:

امتد اهتمام دولة الاغالبة الى الجوانب الحضارية المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية، ومن هذا نلحظ التنوع الاجتماعي في كل المدن الموجودة داخلها، ولم يذكر وجود تمييز واضح بين الطبقات، يبدو أن الدولة فسحت المجال لجميع مكونات المجتمع الاغلبي واعطته الحرية في ممارسة حياته وطقوسه، فضلاً عن الوصول الى الوظائف المهمة داخلها.

ومن مظاهر الاعتدال أن الأغالبة سمحوا لمعتنقي الديانات الاخرى بممارسة شعائرهم وطقوسم الدينية، دون التدخل او الامساس بهم من قبل الحكومة المركزية، بل أن الدولة أعطت لهم الحرية التامة في العيش بإفريقية، بل الاكثر من ذلك أن الدولة عرضت لمعتنقي الديانات الاخرى وظائف مهمة داخل الدولة، أما بالنسبة للمذاهب الإسلامية الأخرى فقد نال اتباعها الحرية في نشر أفكارهم وممارسة طقوسهم الدينية من دون التعرض لهم ومنعهم من ذلك ، بل أن الدولة الأغلبية كانت تشجع معتنقي المذاهب الإسلامية المختلفة على الجلوس واجراء المناظرات العلمية من أجل نشر ثقافات جديدة في تلك المنطقة، وأن اغلب تلك المساجلات والمناظرات كانت تتم تحت أشراف بعض أمراء دولة الاغالبة.

كذلك أسهم القضاة والفقهاء في تحقيق سياسة الاعتدال داخل الامارة من خلال دورهم البارز في توجيه بعض الحكام نحو الاهتمام بشؤون المجتمع، ويتضمن هذا الدور تعزيز الوعي بأهمية مساعدة المحتاجين وتقديم الصدقات لأهالي الكور والمناطق الفقيرة، كما سعى الفقهاء والقضاة إلى المطالبة باسترجاع حقوق الأفراد التي تم انتزاعها قسراً، ومحاسبة أولئك الذين يرتكبون جرائم القتل بغير حق، سواء كانوا من الولاة أو الحكام أو من عامة الناس.

أضافةً إلى ما ذكر سابقاً نجد أهتمام الاغالبة بالحياة الاقتصادية في مختلف جوانبها، حيث عملت على تطوير الزراعة والصناعة والتجارة دون تمييز بين المدن أو الطبقات الاجتماعية، ويُلاحظ أن سياستهم الاقتصادية تميزت بالاعتدال، خاصة في مراقبة الأسواق وتنظيمها من خلال تعيين مختصين لمنع الأعمال غير المشروعة وضبط حركة السوق بما يضمن استقراره وازدهاره، كما يتضح أن الدولة الأغلَبية كانت سبّاقة في دعم العمل الاقتصادي لكافة شرائح المجتمع، دون فرض قيود طبقية، وهو ما ساهم في خلق بيئة اقتصادية أكثر شمولية وعدالة، ويمكن ان نلحظ سياسة الاعتدال في الجوانب الاتية:

أولاً- سياسة الاعتدال في الحياة الاجتماعية:

أ- عناصر المجتمع:

تنوعت عناصر المجتمع في دولة الأغالبة في كل المدن الموجودة داخلها، ولم تشهد وجود تمييز في سياستها في تلك المدن، الامر الذي يؤكد وجود توجه في الاعتدال، وبناء علاقات وروابط اجتماعية مميزة بين مختلف الشرائح، وهذا الامر يدفعنا إلى ذكر مكونات المجتمع التي تعايشت في ظل حكم دولة الأغالبة:

١. **العرب:** سكن العرب مناطق عديده في إفريقية، وهم الذين أنشأة المدن على أيديهم وكانوا من مختلف البطون والقبائل، فضلاً عن كونهم بمثابة جنود وولاة وأعوان تبعث بهم الخلافة لتدعيم مركزها وسلطانها لإدارة المرافق الإدارية المختلفة(١)، فوصل عدد البطون العربية التي دخلت إفريقية ما يقرب من خمسين ونيف والدراسة التي قام بها عبد الله الزيدان في هذا المجال تعطي صورة أقرب الى الحقيقة من غيرها حول عدد البطون العربية وزمن دخولها وتطورها في المراحل المختلفة والاجيال المتعددة التي أفرزتها تلك الأسر، فمن بين تلك البطون والقبائل التي دخلوا إفريقية، بنو عبد المطلب، وهم أحفاد الحسن بن علي بن أبي (عليه السلام) الذين عاشوا في إفريقية ثلاث قرون، حيث عاش في إفريقية ايضاً أبناء أحمد بن علي بن إسماعيل بن زيد بن علي وهما فاطمة ومحمد، ويذكر عبد الله الزيدان أن لهما مقبرة غير أنه لم يؤرخ تاريخ وفاتهما، كما عاش أفراد من أسرة الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)(٢)، وبنو الاشج، وأصلهم من البصرة وأول من قدم من تلك الاسرة سعيد بن الأشج(٣)، الذي عاصر أبو عمرو البهلول بن راشد الحجري ورباح بن زياد بن رباح اللخمي(٤)، وكان من نسله العالم الفاضل عبدالله بن محمد

(١) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٣٨٢/٢.

(٢) مجتمع القيروان، ص٦٢٤.

(٣) محمد بن سعيد بن الأشج الكندي، كنيته أبو عبد الله، وهو اول من دخل إلى إفريقية من عائلة بني الأشج، وكان عالماً وفقيهاً وعرافاً بجميع أقاويل أهل المشرق. ينظر: الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٢٥٥/١.

(٤) رباح بن زياد اللخمي، وكنيته أبو زيد، كان رجلاً صالحاً مستجاباً مشتهراً بالفضل والزهد، يسلم ذلك إليه جميع أهل عصره، وكانوا يتبركون بدعائه ويتعظون برؤيته، رقيق القلب غزير الدمعة، كثير الاشفاق والخشية والتواضع والرحمة، توفى سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م). ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٣٠٠/١.

بن سعيد[١][٢]، وبنو الازدي، ومن نسلهم زمن الاغالبة أبو جعفر بن متعب[٣]، وكانت له صحبه مع الأمير الاغلبي إبراهيم الثاني، فقد كان الأمير يراسله بقوله (إلى اخي في الإسلام وشقيقي في المحبة)[٤]، وكذلك سكن في إفريقية الفهريون، ومؤسس هذه الاسرة عقبة بن نافع، وقد رأينا الدور الذي قام به عبد الرحمن بن حبيب في إفريقية وما انتهى إليه أمر بني فهر[٥]، وبنو كنانه، وأول من دخل إفريقية من أسرة كنانه هو قيس بن يسار بن مسلم الكناني، وكان ذلك في حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة (٣٧هـ/٦٥٧م)، وقد ترك ابنان هما عبد الله وعبد العزيز، وممن عاصر منهم الاغالبة القاضي أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار المتوفى سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م)[٦].

كذلك هاجرت إلى هذه المنطقة عائلة الموصلي وجاءت إلى إفريقية في حملة محمد بن الأشعث سنة (١٤٤هـ/٧٦١م) اول من دخلها هو عبد الرحمن بن نافع الموصلي، ومن نسله كان عامر بن نافع الثائر مع منصور الطنبذي زمن حكم زيادة الله الأول (٢٠١-٢٣٢هـ)، وقد توفى عامر على فراشه سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م)، وقال الأمير زيادة الله الأول عندما سمع بموته (اليوم وضعت الحرب اوزارها)[٧].

ومن بين القبائل التي سكنت إفريقية قبيلة بني تميم، هم أصحاب الأسرة الأغلبية، وأول شخصية تظهر في إفريقية وتكون الأسرة هناك هو الأغلب بن سالم بن عقال التميمي الذي دخل مع قوات ابن الأشعث سنة (١٤٤هـ/٧٦١م) ومعه أعداد كبيرة من أفراد أسرته ثم صار والياً لإفريقيا من قبل الخليفة المنصور (١٤٨-١٥٠هـ/٧٦٥-٧٦٧م)[٨]، كذلك سكنت إفريقية عائلة تميم الدريمي، كانوا من العرب القادمين

(١) عبد الله بن محمد بن سعيد الأشج، كنيته أبو محمد، كان عالماً فاضلاً ثقة، عارفاً بطرق المناظرة على طريق أهل العراق، رحل إلى المشرق واخذ عن محمد بن شجاع البلخي وغيرة، توفى سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م). ينظر: الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٢٣٢/٢ وما بعدها.

(٢) الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٢٣٢/٢.

(٣) أحمد بن متعب بن أبي الازهر بن عبد الوارث بن حسن الازدي، كنيته أبو جعفر، كان نبيلاً عالماً معدوداً من أصحاب سحنون. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٤٧٠/١.

(٤) المالكي، رياض النفوس، ٤٧٠/١؛ الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ١٨٢/٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٦٠/١ وما بعدها.

(٦) المالكي، رياض النفوس، ٩٦/١؛ الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٣٩/٢.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٩٨/١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٥٩/٢٤.

(٨) ابن الابار، الحلة السيراء، ٦٨/١-٦٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الآدب، ٤١/٢٤.

مع جيوش العباسيين سنة (١٤٤هـ/٧٦١م) في حملة محمد بن الأشعث الخزاعي، وكان تميم يشغل وقتذاك منصب قائد البربر العسكري فعندما توفى كان له ولدان: سلمه وتمام، وتمام هو الذي خرج على ابن مقاتل العكي ثم لقى حتفه في بغداد[١]، أما سلمة فقد عاش عمره في إفريقية، وترك تمام اربعة من الأبناء هم عبيد وأحمد ومحمد وتميم، وأحمد بن تميم[٢]، كان من القادة العسكرين للأغالبة[٣]، وعائلة البصري، أبو معمر بن عباد بن عبد الصمد، اصله من البصرة، سكن القيروان واستوطنها، عاصر أسد بن فرات، وذكر المالكي قول الأخير بأن كان عندنا بالقيروان شيخ يقال له أبو معمر[٤]، وكذلك من سكنت إفريقية عائلة حميد التميمي، وهم من سلالة الأغالبة التميميين وأول شخصية تبرز في إفريقية من هذه الأسرة شخصية على بن حميد الذي كان وزيراً لزيادة الله وكانت له تجارة واسعة في العاج ربح منها أموالاً طائلة، بعد وفاته ترك أولاداً، اثنان منهما كانا على خطى والدهما في ممارسة الحياة السياسية وهما أحمد ومحمد اللذين كانا ضحية الصراع الذي نشب بين الأمير محمد واخيه الأمير احمد[٥].

أما صقلية فقد تنوعت القبائل التي سكنتها بعد الفتح الإسلامي لها سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) وكانوا يمثلون الاغلبية في جيش الفتح، وكان عرب إفريقية هم الأكثر وجوداً نظراً لقربها من صقلية، وفي ذلك يقول القزويني: كانت قليلة العمارة خاملة الذكر، إلى أن فتح المسلمون بلاد إفريقية ورحل أهل إفريقية اليها وعمروها حتى فتحت في أيام زيادة الأول بن إبراهيم بن الاغلب في ولاية المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)[٦]، وكانت الأصول العربية التي سكنت صقلية مختلفة الأنساب، ترجع إلى قبائل عربية متعددة، فكان منها اليمنيون، مثل أزد وكندة ولخم ومغافر، والمصريون مثل قيس وتميم وغيرها، فتركز عرب صقلية في مدن معينة، كمازر وتوطس ودمنش[٧]، والدليل على ذلك وجود لقبور عربية وآثار وشواهد على تلك القبور كتب عليها بالعربية. وقد عاش العرب في توافق كبير رغم تنوع واختلاف القبائل التي ينتمون إليها، وربما ذلك راجع السياسة العدل التي اتبعها الولاة الاغالبة آنذاك[٨].

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ٩١/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ٩٠/١.

(٢) أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي، وهو أحد قادة الجيش الأغلبي، وهو والد أبو العرب التميمي صاحب كتاب الطبقات. ينظر: الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٣٦/٣.

(٣) عبد الله الزيدان، مجتمع القيروان، ص٦٢٤.

(٤) رياض النفوس، ٢٦٦/١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١٠٨/١-١٠٩؛ الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٦) آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢١٥.

(٧) عباس، العرب في صقلية، ص٤٠.

(٨) كرد، الإسلام والحضارة العربية، ٢٩٠/١.

٢. البربر: يشكلون الغالبية العظمى من السكان وهم متقاربون كثيراً مع العرب في الملبس والمسكن والعادات والتقاليد وطرق العيش[١]، وقد قسم البربر الى قسمين: البرنس وهم البربر الحضر ذات مناطق سكنية ثابته، وفي الغالب يسكنون المناطق الشمالية الحصينة وعملهم الثابت الزراعة، ومن اهم قبائلهم المعروفة هي أزداجة ومصمودة وأوربة وكتامة وصنهاجة وأوريقة[٢]، أما البتر من البربر فكانوا أهل بداوة، ومن أشهر قبائلهم هي أداسه ونفوسه وفريسه وينولو الأكبر تنحدر قبيلتا نفزاوه ولواته، وكان البتر يسكنون الصحاري والواحات والجبال وكانوا شديدي النفور من الروم وقد تمكنوا من تقليص نفوذهم إلى السواحل وذلك في القرن السابع الميلادي، وقد صار البربر بعد اسلامهم عضدا قوياً في ولاية إفريقية، ولعبوا دوراً بارزاً زمن الأغالبة بمساعدتهم للأمير زيادة الله في ثورة منصور الطنبذي وكانت قبيلة نفراوه صاحبة الشرف في تلك الضائقة[٣].

وبعد الفتح الإسلامي لصقلية سكنت جماعات كبيرة من البربر جزيرة صقلية، من قبائل صنهاجة وزناتة وهوارة ونفزاوة وغيرها[٤]، ومن القبائل البربرية التي سكن أفرادها صقلية أيضاً، من ينتسب إلى اللواتي والقرقودي، والمكلاتي، وكذلك الزناني، واستوطن البربر النواحي الشمالية من مدينة مازر[٥]، وكانت كركنت[٦]، عاصمة للجماعات البربرية، وأسماء الأماكن الواقعة بين مازر ولقاطة[٧]، تدل على القبائل البربرية فهناك اندراني، ومزيزينو وحجر الزناتي ومليلي وكلها أماكن تدل على القبائل البربرية[٨]، لقد عاشت مختلف تلك القبائل

---

(١) عبد الله، تاريخ المغرب، ٢٢/١.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٥؛ الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص٢٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ١٠١/١؛ حطاب، قادة فتح المغرب العربي، ١٦/١؛ الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص٢٨.

(٤) آماري، تاريخ مسلمي صقلية، ٤١/٢.

(٥) وهي مدينة بجزيرة صقلية تلي قوصرة، بينهما مجرى؟ ومازر مدينة مشهورة على الساحل الموازي لإفريقية، وهي من مدينة بلرم في الجنوب، وبها واد ترسي السفين فيه، وهي مدينة فاضلة شامخة لا شبه لها ولا مثال في شرف المحل، إليها الانتهاء في جمال الهيئة والبناء، وما اجتمع فيها من المحاسن لم يجتمع في غيرها، وأسوارها حصينة شاهقة، وديارها حسنة، وبها أزقة واسعة. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٢١.

(٦) وهي مدينة بجزيرة صقلية، وهي متحضرة عامرة بالوارد والصادر ولها قلعة سامية حصينة، حسنة قديمة العمران وهي من أعظم الحصون مقصودة من سائر الآفاق وبها أسواق جامعة لأصناف الصنائع، وبها حدائق وجنات وغلات والبحر منها على ثلاثة أميال، وبها أصنام وهي أكثر بلاد صقلية طعاماً. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٩٣.

(٧) وهو مرسى كبير في جزيرة صقلية، وفيه مياه عذبة، بينه وبين مرسى الشجر أربعة وعشرون ميلاً، ومنه إلى الميرة وهو برج على فم مرسى ضيق (يسمى فم الصباغين) والمرسى بينهما داخل ثلاثة أميال، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١/٥.

(٨) عباس، العرب في صقلية، ص٤١.

والجماعات في إفريقية وصقلية بحرية تامة في ظل الوجود الإسلامي للحكم الأغلبي، بعيدة عن الصراعات سواء فيما بينهما أو مع الأقليات الأخرى[١]. الامر الذي يدل على سياسة الاعتدال داخل الدولة.

٣. **الرقيق:** شكل الرقيق جزءاً من سكان إفريقية حيث كانت تشتريهم الدولة من البلقان والروس ليكونوا لها عضداً، فكانت تحرص على شرائهم صغار السن لتعليمهم منذ الطفولة على الاعمال المراد اناطتها بهم، فاذا برع منهم أحد أسند اليه بعض المناصب الكبرى عدا ما يتعلق منها بقيادة الجيش وغيرها، كما لا ننسى للأغالبة العناية الخاصة التي حظي بها الرقيق في عهدهم حيث حرصوا على تفقهيهم وتعليمهم أمور الدين لاسيما وأن أولئك العبيد كانوا يقدمون على القيروان وهم يجهلون كل شيء، فتتم تنشئتهم على تلك المبادئ الإسلامية[٢]، وكان عدد الرقيق يمثل تقريباً خمس السكان، ونظرا لما أولاه الأغالبة لهم من رعايا وتكريم فقد سجل لنا التاريخ أسماء عدد من الرقيق حظوا بمكانه عالية عند الامراء مثل: أبو عمران موسى[٣]، ومسرور[٤]، في عهد الأمير زيادة الله الأول، ومدام[٥]، في عصر الأمير أبي العباس محمد بن الاغلب[٦]، وقد لعب هؤلاء الفتيان دوراً هاماً في الدولة الأغلبية، وسجلت أسماء بعضهم على العملات، باعتبار أن القائمين بالإشراف على دار السكة منهم فهم موضع ثقة الأمراء في هذه الطوائف الخطيرة، كذلك سجلت أسماء بعضهم في النقوش التاريخية على بعض المنشآت التي تمت على أيديهم ومن هذه الأسماء المسجلة اسم: مسرور الخادم مولى الأمير زيادة الله الاول بن إبراهيم، حيث نقش على لوحة من الرخام تعلو باب المأذنة برباط سوسة الذي أسس سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م)[٧]، واسم مُدام الذي كلف من قبل الأمير الاغلبي أبو العباس محمد بن الاغلب بأنشاء مسجد كبير يكون جامعاً للخطبة عرف بـ (جامع الكبير) في سوسة[٨].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٣٠-١٣١.

(٢) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٣/١١٩.

(٣) موسى بن عبد الله، يكنى أبو عمران، الذي اشغل منصب الوكيل في عهد الأمير إبراهيم بن الأغلب (١٨٨هـ/٨٠٤م). ينظر: عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٣/١١٩-١٢٠.

(٤) مسرو بن دحيم الخادم، كان من مشاهير فتيان زيادة الله الأول المقربين، وقد كلفة سيدة بالإشراف على بناء قصر الرباط، وكان تولى قبل ذلك النظر لدار ضرب المسكوكات في القيروان، واسمة مرسوم على بعض النقود التي ضربها زيادة الله الأول ، ينظر: عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٢/٢٦.

(٥) مدام بن خلف، وهو أحد اتباع الأمير أبو العباس محمد بن الاغلب، وصاحب اشغاله العمرانية، فقد كلفه الأمير ببناء الجامع الكبير سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م) وتم انجاز الجامع بعد سنة أو نحوها، وايضاً بناء جامع الخطبة في مدينة سوسة في سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م). ينظر: عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٢/٣٧.

(٦) المرجع نفسه، ٣/١٢٠.

(٧) المرجع نفسه، ٢/٢٦.

(٨) المرجع نفسه، ٢/٣٣؛ الكعاك، المجتمع التونسي على عهد الاغالبة، ص٣٠.

سكن الرقيق في جزيرة صقلية وكثر انتشارهم فيها، حيث يخبرنا الإصطخري بأنها كثيرة الرقيق[١]، شأنها في ذلك شأن الأقاليم المجاورة، وكانت ظاهرة الرق مستفحلة في ذلك الوقت، بفعل السبي والأسر والشراء[٢]، وأثناء الحكم البيزنطي لإيطاليا، كان العبيد يستغلون في خدمة الأرض، وقد عوملوا أسوأ معاملة من طرف أسيادهم البيزنطيين وعندما دخل المسلمون صقلية، طمع العبيد في المعاملة الحسنة من الأسياد الجدد لذلك أخذوا يتملقونهم باعتناق الدين الجديد ليحضوا بشيء من الرفق في المعاملة، وأصبح العبيد بعد الفتح الاسلامي طبقة كبيرة وهياً لهم الفتح حرفاً جديدة تدر عليهم دخلاً معقولاً، إذ دخلوا في صفوف الجيش، وكان الفيء لهم مورداً من الرزق منظماً[٣]. يتضح مما سبق أن الرقيق عاشوا في ظل الحكم الاغلبي بكل حرية واعتدال، من حيث المناصب، فضلاً عن الاعمال والتعليم الذي حظوا به وباقي النشاطات الأخرى.

٤. الفرس: يعود سكن الفرس إفريقية إلى عهد العباسيين، وبعد دخولهم القيروان ساهموا على الجهاد في صقلية، فحملة زيادة الله الأول لفتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات كان معظم جنودها من الفرس[٤]، حيث دخلت أعداد لا بأس بها من العناصر الفارسية البر الايطالي مع جيش الفتح، حيث يعود نسب فاتح صقلية أسد بن الفرات إلى أصول فارسية من نيسابور[٥]، وعليه فمن الطبيعي أن يضم جيش الفتح أعداد كبيرة من الجنس الفارسي والتي استقرت بدورها في بعض المدن بصقلية وجنوب ايطاليا ومن هؤلاء بني الطبري[٦]، أعيان مدينة بلرم[٧]، الذين تعود أصولهم إلى أهل طبرستان[٨]، مما يدل على مساواتهم مع باقي عناصر المجتمع من خلال مكانتهم في الجيش ودورهم في الدولة.

---

(١) المسالك والممالك، ٧٠/١.

(٢) عميرة، الرق عند الشعوب القديمة، ص٢٥٥.

(٣) عباس، العرب في صقلية، ص٣٩.

(٤) سالم، المغرب الكبير، ٤١٨/٢.

(٥) وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، طولها خمس وثمانون درجة وعرضها تسع وثلاثون درجة، كثيرة الفواكه والخيرات، وفيها قصب كثير، وأكثر شرب أهل نيسابور من قسي تجري تحت الأرض ينزل إليها في سراديب مُهيأة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٣١/٥.

(٦) وهم جماعة ينسبون إلى بلدان شتى وقرى من ولاية طبرستان وفيها كثرة وشُهرة في العلماء والفقهاء والمحدثين. ينظر: ابن القيسراني، الأنساب المتفقة، ٩٥/١.

(٧) وهي أعظم مدينة في جزيرة صقلية في بحر المغرب على شاطئ البحر، ذات سور شاهق منيع مبني من حجر وجامعها كان بيعة وفيها هيكل عظيم، وفي المدينة حارات محيطة بها ومن وراء سورها من المساجد نيف وثلاثمائة مسجد، وفي محالّ كانت تلاصقها وتتصل بها وبوادي عباس مجاورة المكان المعروف بالمعسكر، وهو في ضمن البلد إلى المنزل المعروف بالبيضاء قرية تشرف على المدينة من نحو فرسخ مائتا مسجد، وتطيف بالمدينة عيون من شرقها إلى غربها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٨٣/١.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ١٠٢/١؛ الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، ص٤٢.

٥. الافارقة: وهم سكنت البلاد الاصليون، وكانوا على دين النصرانية، ومسكنهم زمن حكم الاغالبة بلاد الجريد[١]، وكانوا يعملون بالزراعة لاسيما زراعة الزيتون واستخراج الزيت منه وقد أسند أمراء الأغالبة اليهم بعض المناصب المحاولة كسبهم والاستفادة من خبراتهم، فقد عرض ديوان الخراج على سوادة النصراني على أن يسلم فقال: (ما كنت لأدع ديني على رئاسة أنالها) وكان ذلك في سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) في امارة إبراهيم الثاني[٢]. ومهما يكن فقد عاملهم الأغالبة باعتدال ومساواة مع باقي فئات المجتمع.

٦. الاندلسيين: هاجرت بعض الاسر الاندلسية الى القيروان بغية الحصول على العلم، واتخذت القيروان مسكناً لها، مثل يحيى بن عمر بن يوسف الاندلسي[٣]، وتوفي في القيروان سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م)[٤]، ومحمد بن محمد بن خيرون المعافري الاندلسي الذي استوطن القيروان وله بها مسجد واستشهد فيها سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)[٥].

ويمكن أن نذكر مثالاً مهماً على الاختلاط وحرية العمل لجميع الفئات خلال حكم الاغالبة، ما كان يحصل في مدينة سوسة والتي استوطنها من ذلك الحين عدد وافر من عملة البناء، ومن العساكر البحريين المعروفين بالأسطولين، ومن الاعوان بدار الصناعة وبالسفائن الحربية ومن الحرس الاغلبي المكلف بالعسس في المعاقل الساحلية وفي ابراج الاسوار، هذا علاوة على العباد المتطوعين بالمرابطة في الحصون المخصصة لسكناهم، ويضاف الى ذلك ان عدداً لا يستهان به من الرجال من غير ابناء البلاد قصدوا سوسة واستقروا بها، قادمين من أطراف العالم الاسلامي؛ فمنهم من جاء من مصر ومن المغربين الاوسط – كسهل القبرياني – والاقصى – كابي الاحوص – ومن الاندلس – كيحي بن عمر وأهل بيته وحتى من السودان الغربي.

---

(١) بلاد الجريد، سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها؛ وهي مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة، كثيرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات، وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء، وفيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٥٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ١٢٢/١.

(٣) يحيى بن عمر بن يوسف الاندلسي، يكنى أبو زكريا، نشأ بقرطبة ورحل إلى إفريقية، وسكن القيروان واستوطن سوسة، سمع عن سحنون. ينظر: الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٢٣٣/٢.

(٤) الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٢٣٣/٢-٢٣٥.

(٥) المالكي، رياض النفوس، ٣١٤/١؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢٨٩/٢.

لقد حمل العديد من هذه الفئات على الإقامة بها وهي الرغبة منهم في التطوع بالمرابطة في مدينة تعتبر من أعظم المعاقل الاسلامية التي أنشئت في قلب البحر المتوسط، لاسيما وقد اشتملت دائرتها على محارس دفاعية، فضلاً عن كثرة العباد والصالحين الذين كانوا على اتصال وثيق بعضهم ببعض وهذا يظهر سياسة الاغالبة المعتدلة التي وطدت من تلك العلاقات(١)، فهذا المجتمع المختلط من الناس حينما استقر نهائيا بسوسة تناسل وأعقب سلالة جديدة عدت نفسها من ابناء المدينة الاصليين، واشتغل هذا الجيل الجديد بمختلف الحرف والصناعات مثل الفلاحة من غراسة وزراعة، واحترف بعضهم بنسج الاقمشة من مواد مختلفة والبعض الآخر تعاطى مهنا عادية ضرورية لحياة كل مدينة من مدائن العالم مثل نجارة الاخشاب، والحدادة، وتهيئة المأكولات كالخبز واللحم وطحن الحبوب، بالإضافة الى من كان يحترف منهم بتجهيز المراكب بقصد النقل والتجارة البحرية(٢).

ب- سياسة الاعتدال من خلال دور الفقهاء والقضاة في الجانب الاجتماعي:

لعب عدد من الفقهاء والقضاة دوراً محورياً في الحياة الاجتماعية لدولة الأغالبة، وقد أسهمت مساعيهم في تحقيق قدر ملحوظ من التوازن داخل الدولة، ونظراً لأهمية هذه الإسهامات، يستدعي الأمر تحليلًا لمواقف هؤلاء الشخصيات ودورهم في تشكيل النسيج الاجتماعي للدولة الأغلبية، وقد تم ترتيبهم حسب الاحداث التاريخية التي وقعت، وعلى النحو التالي:

١. عبد الله بن غانم: وهو عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني، ولد سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م) وبعد نشأته في إفريقية، رحل إلى الشام والمشرق لطلب العلم، سمع عن مالك بن أنس وسفيان الثوري، وكان على المذهب المالكي، وولى قضاه إفريقية من قبل هارون الرشيد سنة (١٧١هـ/٧٨٧م) واستمر قاضياً فيها حتى توفى في القيروان سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م) كان ذات فضل وعلم ودين في غاية الشهرة، وساهم هذا القاضي من خلال مكانته العلمية المرموقة ووضعة الاجتماعي البارز، في تشكيل وتوجيه بعض المواقف الاجتماعية المعتدلة(٣).

ومن المواقف والقضايا الاجتماعية المهمة أنه أنهى، مجلس حكمه لما رفعت إليه قصة نحاسي البغال الذين أثبتوا أن أبا هارون موسى، مولى الأمير إبراهيم بن الأغلب وصاحب أمره قد اشترى منهم

(١) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٢/٥٠-٥١.
(٢) المرجع نفسه، ٢/٥٢.
(٣) الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ١/٢٨٨؛ الزركلي، الأعلام، ٤/١٠٩.

بغالاً بخمسمائة دينار ولم يوف لهم قيمتها، فقام القاضي حتى دخل على الأمير، وأخبره بالأمر، فاستدعى الأمير موسى فسأله عن قول القاضي فأقر به، وقال، إنما أخرته ليجيء خراج قسطيلية[١]، فإذا جاء دفعت إليهم، فقال القاضي: إنما ظننت أنه يجحد فأوقفه معهم موقف الخصوم، فأما إذ أقر فإني لا أبرح حتى تدفع إليهم أموالهم، فما برح، حتى دفعت إليهم[٢].

وذات مره نظر ابن غانم إلى قارورة في يد الأمير إبراهيم فيها دهن، فقال له، ما هذا؟ قال دهن، ثم قال للقاضي (كم تظن يساوي هذا؟) فقال له يسير، فقال له إبراهيم (فإن ثمنه كثير) فقال ابن غانم، وما هو هذا؟ قال (السم القاتل) قال ابن غانم ادفعه لي، فدفعه إليه القارورة فلما اخذها ابن غانم ضرب بها عموداً كان في المجلس، فكسرها وأراق ما فيها، فقال له إبراهيم، ماذا صنعت، قال (أفأترك معك ما يقتل الناس)[٣].

٢. رباح بن يزيد اللخمي: ولد في إفريقية سنة (١٤٩هـ/٧٤٦م) ونشأه في القيروان، كان رجلاً صالحاً مستجاباً مشهور بالفضل والزهد، وكان يضرب به المثل في عبادته، كثير التواضع والرحمة، سمع الكثير من سحنون وأبي محرز[٤]، رحل إلى المشرق ومصر لطلب العلم، كان مالكي المذهب، ساهم في تعزيز السياسة المعتدلة في الجانب الاجتماعي[٥].

نذكر من المواقف في هذه الاتجاه أن رجلا من الأندلسيين أتى إلى رباح فقال له: يا أبا يزيد، إن سعيد بن لبيد[٦]، أخذ مني جارية لي، فأخذ رباح عصاه وانطلق معه إلى دار سعيد بن لبيد، فوجد جماعة من الناس قد حفوا ببابه ينتظرونه، فألقى عصاه بينهم وجلس حتى خرج سعيد راكباً من داره فلما رآه من كان على بابه من تلك الجماعة، نهضوا على أقدامهم، وثبت رباح جالسًا، فقصد إليه سعيد،

(١) وهي بلاد واسعة ومدن عديدة بها النخل والزيتون، من مدنها، توزر والحمة وتقيوس، ومدينتها العظمى توزر، وبها ينزل العمال، وجباية قسطيلية مائتا ألف دينار وأهلها يستطيبون لحوم الكلاب ويسمنونها في بساتينهم ويطعمونها التمر ويأكلونها. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٨٠.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ٢٢٢/١-٢٢٣؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢٩١/١.

(٣) المالكي، رياض النفوس، ١/ ٢٢٤؛ عياض، تراجم أغلبية، ص٩.

(٤) الفقيه محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني، كان من أهل الورع والزهد، تولى منصب القضاة في عهد الأمير إبراهيم بن الأغلب، توفى سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م). ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٢٧٤/١ وما بعدها.

(٥) المالكي، رياض النفوس، ٣٠٠/١؛ الزركلي، الأعلام، ٢٠٦/٣.

(٦) سعيد بن لبيد بن أسد المعافري، كان يشغل منصب والي رقابة الأسواق في القيروان، منذ زمن بني المهلب، واستمر في وظيفته في القيروان بعد قيام دولة الأغالبة. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ١٨٨/١.

ورباح جالس في مكانه، فأقبل سعيد يقول لرباح في الذين قاموا له: (يا أبا يزيد)، هؤلاء كلهم أبناء دنيا، فقال له رباح: قال رسول الله من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً على أقدامهم، فليتبوأ مقعده من النار، فقال له سعيد: يا أبا يزيد، هل من حاجة؟ فقال له رباح: أردد على هذا الأندلسي جاريته، فصاح سعيد: جارية الأندلسي!! فأخرجت، فدفعها إلى مولاها(١).

٣. أحمد بن أبي محرز: أصله من المشرق، أنتقل إلى إفريقية في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، تعلم الكثير في المشرق ونقل علمه معه، سمع عنه الكثير من أهل إفريقية، كان على المذهب الحنفي كان حليماً ورعاً يحكم بالحق والعدل، تولى قضاة إفريقية في عهد زيادة الله الأول بن إبراهيم، فقد قام هذا الفقيه في بعض المواقف الاجتماعية المعتدلة(٢).

نذكر من تلك المواقف المهمة أن رجلاً من أهل القيروان تخاصم مع رجل كان من خاصة علي بن حميد، وكان ابن حميد من دولة الأغالبة بمحل الوزارة وكان بنو الأغالبة يدعونه العم، على دار من دور القيروان فأتى الرجل إلى القاضي أحمد بن أبي محرز فحجز القاضي الدار حتى يفصل فيها ووضع عليها ختمه، فذهب الرجل الثاني إلى علي وأخبره بالأمر، فتقدم علي وحل الطابع، ففزع الرجل الأول إلى القاضي الذي غضب وأخذ سجل القضاء وذهب إلى القصر القديم يريد الأمير زيادة الله الأول ودخل على الأمير، وأخبره بالأمر، فقال له الأمير: لا تغضب، ثم تقدما إلى موضع الدار وختمها بختمه، وقال: إنا نرضيك يا قاضي، ثم وبخ علي بن حميد وأغلظ له في الكلام(٣).

٤. **حماس بن مروان الهمداني**: يكنى أبو القاسم، ولد في إفريقية سنة (١٥٩هـ/٧٧٦م)، سمع عن سنحون في القيروان، ورحل إلى مصر بعد ذلك لطلب العلم وسمع بها عن محمد بن عبد الحكم، وبعدها عاد إلى إفريقية، كان على المذهب المالكي، تولى قضاة إفريقية من قبل زيادة الله الأول، كان صالحاً ثقة، ورعاً، عادلاً في حكمة، بارعاً في الفقه، وساهم هذا القاضي لمكانته الاجتماعية والدينية في بعض المواقف الدالة على الاعتدال(٤).

---

(١) المالكي، رياض النفوس، ٣٠٤/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٣٦٣/٤.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ٣٩٦/١.

(٣) المصدر نفسه، ٣٩٦/١-٣٩٨.

(٤) عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٦٦/٤؛ عياض، تراجم أغلبية، ص٣٤٠.

ومن المواقف تلك إن عامل القيروان قتل إنساناً بغير حق، فكتب إلية حماس يعظه في سفك الدماء، فأنف، وقال: ما لحماسٍ؟ وهذا أنا سلطان أنظر في الدماء الناس، فتوجه حماس إلى تونس لزيادة الله بن الاغلب واجتمع به، فتحدث بموضوع العامل الذي قتل الشخص فأستجاب الأمير للطلب القاضي، وعزل العامل، وأنصرف حماس مكرماً[١].

٥. عبد الجبار السرتي: المكنى أبو حفصه، ولد في إفريقية في سنة (١٩٤هـ/٨٠٩م) سمع عن الكثير من علماء إفريقية وكان من بينهم سحنون، كان على المذهب المالكي، كان رجل فاضلاً، كريماً، متعبداً، طويل الصلاة، كثير الدعاء، يضرب أهل إفريقية المثل به، وقد كانت له مواقف معتدلة في الجوانب الاجتماعية فمن بيت تلك المواقف[٢]، هي ذهابه مع جماعة من علماء القيروان إلى الأمير إبراهيم الثاني لتهنئة بطهور أولاده، وكان احتفالاً عظيماً فيه ألوان كثيرة من الأطعمة، وقد لاحظ الفقيه أن جميع المدعوين من الأغنياء، فذكر الفقيه الأمير بالفقراء، فدعا الأمير بكيس فيه خمسمائة دينار ودفعه إلى الفقيه وسأله أن يفرقه على الفقراء والمساكين، ثم التفت الأمير إلى كاتبه رجاء بن محمد وقال له: يا رجاء رأيت ما أعقله وما أظرفه، أتعرف في رعيتي مثله؟ إنه قضى ذممنا وتعافى من مطعمنا وأخرج مالنا فيما يرضينا[٣].

٦. أحمد بن عبد الله: المكنى أبو الأحوص المتعبد، أصله من المغرب الأوسط، ولد سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) أنتقل إلى سوسه وأوطنها، وكان ثقه متعبداً، كثير العمل والاجتهاد، سمع عن علماء إفريقية ومن بينهم سحنون وغيرة، رحل إلى مصر لطلب العلم وسمع عن زغبة، كان على المذهب المالكي، وساهم هذا الفقيه في بعض الجوانب الاجتماعية التي ساهمت في سياسة الاعتدال[٤].

إذ روى أن الأمير إبراهيم الثاني جار على الناس في المعاملة معهم، فكتب إليه الفقيه أبو الأحوص المتعبد (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) رقعة أغلظ له فيها، فأتاه الأمير في الليل وسأله عنها، فقال له نعم أنا أمليتها، ثم وعظه فاتعظ فقال له الأمير: أحب أن ترفع لي كلما ثبت عندك من مثل هذا فأغيره[٥].

(١) عياض، تراجم أغلبية، ص٣٤٩؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٣٢٧/٢.
(٢) المالكي، رياض النفوس، ٤٦٣/١؛ الزركلي، الأعلام، ٢٧٤/٣.
(٣) الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٢٤؛ المالكي، رياض النفوس، ٤٦٦/١-٤٦٧.
(٤) الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٢٥؛ المالكي، رياض النفوس، ٤٨٢/١.
(٥) المالكي، رياض النفوس، ٤٨٥/١؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٣٧١/٢.

وفي موقف آخر طلب الفقيه أبو الأحوص من الأمير في إحدى زيارات له أن يزيد في جامع مدينة سوسة الذي أصبح يضيق بأهل إفريقية الذين يقصدون المدينة بغرض الرباط فيها، وأن يجرى ساقية إلى مواجل المدينة، توصل إليها مياه الأمطار، فينتفع بها الناس والأرامل والأيتام والغرباء والمرابطون، وأن يخرج من حبسهم من أهل تونس أجابه الأمير إلى كل ذلك، وأخرج المحبوسين على الرغم من أن ذنبهم عنده كان عظيما، وزاد في الجامع الثلاثة سقوف العالية التي تلى القبلة، وكان الفقيه المتعبد قد سأله أيضا أن يبنى للمسلمين مصلى يصلون فيه يوم العيد، ففعل ذلك(١).

٧. أحمد بن مغيث: ولد في إفريقية سنة (١٦٨هـ/٧٨٥م) نشأه وترعرع في القيروان، سمع عن علماء إفريقية ومن بينهم أسد بن فرات وسحنون، رحل إلى مصر والشام لطلب العلم، وعاد إلى إفريقية، سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) كان على المذهب المالكي، عرف بالزهد والموعظة والاجتهاد، بارعاً في الفقه، صالحاً، لقد كان لهذا الفقيه دورٌ بارزٌ في العديد من المواقف التي ساهمت في سياسة الاعتدال(٢).

نذكر من المواقف المعتدلة لهذا الفقيه هو عندما قرر إبراهيم بن أحمد إلغاء استخدام النقود الصغيرة التي كانت تتداولها سكان القيروان، واستبدالها بالدراهم الصحاح المصنوعة من الفضة، تسبب هذا التغيير في بعض الصعوبات في عمليات التجارة في الأسواق، وعبّر العامة في القيروان عن رفضها لهذا القرار، مما أدى إلى إغلاق حوانيتهم، وتجمع السكان في تظاهرة كبيرة انتهت بأعمال شغب ضد الأمير الذي أمر الحرس بتطويقهم واحتجازهم في الجامع عندما علم سكان القيروان بذلك، تجمعوا خارج أبواب المدينة وأبدوا معارضتهم للأمير ابراهيم الثاني، توجه أبا عبد الله بن أبي إسحاق وزير إبراهيم الثاني إلى السكان ليواجههم، لكن تعرض للسباب والرشق بالحجارة، في هذا الوقت، قرر إبراهيم الثاني الذهاب بنفسه إلى القيروان، وكان برفقته حاجبه الجديد نصر ابن الصمصامة ومجموعة من الجنود، اعترض السكان طريقهم وناصبوهم القتال قدر استطاعتهم لكن إبراهيم الثاني قرر أن يتعامل مع السكان بالسياسة واللين، دخل إلى المصلى الذي يقع خارج المدينة، وجلس هناك وأمر جنوده بعدم مهاجمة السكان، وتم تهدئة الناس، خرج الفقيه الزاهد أبو حفص أحمد بن مغيث ودار بينه وبين إبراهيم بن أحمد حديث طويل حول النقود الجديدة وتأثيرها على العامة والفقراء، ونتج عن هذا الحوار تهدئة الأوضاع، قام وزير إبراهيم الثاني، ابن أبي إسحاق، بدخول المدينة وتحقيق استقرارها، وعاد إبراهيم الثاني إلى رقادة وأطلق سراح

(١) المالكي، رياض النفوس، ١/٤٨٥-٤٨٦.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٤/٣٢٣؛ الزركلي، الأعلام، ٥/٧٠.

المحتجزين في الجامع، منذ ذلك الحين، توقف استخدام النقود والقطع الصغيرة من إفريقية، وبدأ إبراهيم الثاني في ضرب دنانير ودراهم يسميها (العاشرية)، حيث كان في كل دينار منها عشرة دراهم[١].

٨ . **عبد الله بن أحمد بن طالب:** يكنى أبو العباس، من نسب بني الاغلب، ولد في القيروان، سنة (٢١٧هـ/٨٣٢م)، سمع عن سحنون في إفريقية، رحل إلى الحجاز لطلب العلم، وسمع هناك عن العديد من العلماء، وبعدها عاد إلى إفريقية، ولى القضاة مرتين، إحداهما سنة (٢٥٧هـ/٨٧١م)، ثم عزل سنة (٢٥٩هـ/٨٧٣م)، والثانية سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م)، وعزل سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، كان على المذهب المالكي، كان جميل الصورة، باهي الخلق، فاخر اللباس، أخوص العينين، برز لهذا القاضي مواقف مهمة في سياسة الاعتدال[٢]، ومن ابرز هذه المواقف نذكر منها، أنه ذات يوم دخل كل من الأمير إبراهيم الثاني والقاضي عبد الله بن أحمد بن طالب (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) إلى بستان، فناول الأمير القاضي بعض ثمره، فقال: أيها الأمير يجب الله عليك شكران أن بلغك غرسه ثم أكلت ثمرته، فقال: وما هذا الشكر؟ قال: أن تصلي ركعتين، ثم تبعث بصدقة إلى أهل الدمنة – موضع سكنى المجذومين – ثم تعزل من عمالك من كان جائراً وتجعل مكانه من يعدل في الرعية، ففعل الأمير كل ما طلبه القاضي[٣].

كذلك أتخذ موقف معتدل اخر، حيث أتاه رجل من أهل البادية، فشكا إليه الإقلال، فكتب له إلى أبي إبراهيم والي الضيعة أن يدفع له خمسين قفيزاً من زيت، فلما وصل إلى أبي إبراهيم بالكتاب، ضجر على الرجل وقال: إنا لم نعصر بعد، ليس لدي ما اعطيك، فرجع الرجل إليه فأعلمه، فكتب إليه: أن يدفع له مائة قفيز، فزاد ضجره، وقال له: اذهب بسلام، فرجع إليه فأعلمه، فكتب إليه: ادفع له مائة قفيز، فو الله، لئن رجع إلي لأدفعن إليه غلة العام أجمع، فقام بدفع مائة قفيز إلى الرجل[٤].

(١) المالكي، رياض النفوس، ١/١٨٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١/١٢٠.
(٢) الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٢٥؛ عياض، تراجم أغلبية، ص٢٠٧.
(٣) المالكي: رياض النفوس، ١/٤٧٧–٤٧٨؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢/١٦٣.
(٤) عياض، تراجم أغلبية، ص٢١٨؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢/١٦٧.

يتضح مما سبق أن الفقهاء والقضاة ساهموا في تحقيق بعض العدالة من خلال دورهم البارز في توجيه حكام الأغالبة نحو أهمية الاهتمام بشؤون المجتمع، ويتضمن هذا الدور تعزيز الوعي بأهمية مساعدة المحتاجين وتقديم الصدقات لأهالي الكور والمناطق الفقيرة، كما سعى الفقهاء والقضاة إلى المطالبة باسترجاع حقوق الأفراد التي تم انتزاعها قسراً، ومحاسبة أولئك الذين يرتكبون جرائم القتل بغير حق، سواء كانوا من الولاة أو الحكام أو من عامة الناس، إن هذا التوجه يعكس التزام الفقهاء والقضاة بمبادئ العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، مما يسهم في تعزيز الاستقرار الاجتماعي، ناهيك عن احترام الامراء الاغالبة واستجابتهم لتحقيق سياسة الاعتدال.

ثانياً- سياسة الاعتدال في الحياة الدينية:

عاشت في داخل الدولة الأغلبية العديد من الديانات المختلفة، فضلاً عن المذاهب الإسلامية المتعددة الاتجاهات والانتماءات، ناهيك عن الحرية الممنوحة لهم في العمل وممارسة طقوسهم، وكذلك الاندماج في المجتمع، الامر الذي يظهر السياسات المعتدلة لأمراء دولة الأغالبة، ويمكن ملاحظة ذلك في الجوانب الأتية:

أ . التعامل مع معتقدي الديانات السماوية:

كان التنوع الديني جزءً من الحياة العامة في دولة الأغالبة، وقد سمحت هذه الدولة للديانات بممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية دون التعرض لهم بإذى او منعهم من ممارستها، ومن بين تلك الديانات.

١. الديانة اليهودية: عاش اليهود في إفريقية، وقد دخلوها منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وقد أشار ابن حوقل إلى دفعهم للضرائب، كما أنهم لم يتضايقوا من معايشتهم للمسلمين، وعلى الرغم من قلتهم العددية الا أنهم استطاعوا أن يحرزوا لهم نفوذا كبيرا تمثل في وجود سوق خاص بهم عرف بـ (سوق اليهود) لبيع منتوجاتهم(١).

وتعامل امراء الاغالبة مع اليهود معاملة حسنة وتركوا لهم حرية العقيدة، حيث كانت لهم أحياء خاصة في القيروان عرفت بـ (حي خيبر)، يمارسون شعائرهم ومعتقداتهم الدينية فيها، دون التدخل بهم أو المساس بهم بسوء، لكن هؤلاء استغلوا المعاملة الحسنة التي تركتها لهم السلطة الحاكمة، فأخذ يهود القيروان التعامل بالربا وهي جزء من طريقهم في العمل التجاري، إذ لا يوجد ضابط عقائدي أو حكم شرعي يمنعهم من ممارسته وقد أثروا ثراء فاحشاً، حتى أن بعض المسلمين كانوا يقترضون منهم اموالاً لأسباب الحاجة(٢)، لذلك حرص قضاة القيروان من أمثال عبد الله بن طالب على تميزهم عن غيرهم وجعل على أكتاف اليهود رقاعاً بيضاء، في كل رقعه صورة (قرد) وعلى أبواب دورهم ألواحاً مسمرة في الأبواب مصوراً فيها قردة، ومنع المسلمين من أقامه تعامل معهم خارج دائرة الحلال، وكل ذلك رغبة منه في الحد من نفوذهم وسطوتهم، إضافة الى تقليص تعاملهم الربوي لاسيما مع المسلمين(٣).

---

(١) ابن حوقل، صورة الارض، ص٧٢؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ٣٣/٢.

(٢) الجنحاني، القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة العربية، ص١٣٧؛ رضوان، مدينة القيروان في عهد الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٣) المالكي، رياض النفوس، ٤٧٦/١-٤٧٧.

وكان ايضاً يوجد يهود بسوسة وبسائر مدن الساحل وُقراه عدد من اليهود، وهم يرجعون بأصولهم الى بعض القبائل البربرية المتهودة او المهاجرين الى إفريقية بعد خراب بيت المقدس في عهد الرومان في القرن الثاني من الميلاد وسريعاً ما تعربوا بعد الفتح وامتزجوا بأهل البلاد، وساهموا في التجارة والصناعة، وربما اختصوا بصياغة الحلي، ومن أفرادهم من كان يتقبل مُكوس الاسواق وشتى المهن مثل العمل بأفران الجير والجبس وتجفيف ماء البحر ليصير ملحاً وغير ذلك(١).

كذلك عاش اليهود في صقلية قبل الفتح الاسلامي إلا أن عددهم لم يكن بالكثير حينئذ(٢)، وبعد دخول المسلمين للجزيرة ازداد عدد اليهود فيها، بسبب المعاملة الحسنة من طرف الفاتحين الجدد ولذلك فقد تخلصوا من سيطرة القسطنطينية وضرائبها الباهظة ويخبرنا الرحالة ابن حوقل بأن لليهود في مدينة بلرم حارة خاصة بهم تسمي بحارة اليهود، وكانوا يمتهنون التجارة في أغلب أحوالهم، كما كانت لهم صلات بيهود المشرق، خاصة مع يهود فلسطين(٣)، وقد ترك لهم الاغالبة حريتهم الدينية، حيث كانوا يتكلمون بالعبرية، ويتكلم بعضهم العربية أيضاً(٤)، وفي ظل الحكم الاغلبي في صقلية عاش اليهود عيشة هنية منعمين بالحرية وبموفور التقدير الاحترام، ولم يكرهوا على شيء، إلا أن يدفعوا الجزية لحمايتهم من الأعداء، وكف الأذى عنهم، والقيام بمحاربة الأعداء دونهم ولم تكن الجزية بالقدر الذي يدفع الإنسان إلى تغيير دينه تهربا منها، ولم تكن تفرض إلا على القادرين عليها، فلم يكن يدفعها الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان، كما أسلفنا، وكانت الجزية التي جباها المسلمون أقل مما كان يُجبيه الفاتحون قبلهم بكثير(٥)، ومن ثم كان أثر الفتح العربي الاسلامي تخفيف الأعباء المالية المفروضة على أهل البلاد المفتوحة، وليس في تاريخ الإسلام ما يدل على أن الجزية كانت من عوامل الإكراه على الإسلام(٦).

(١) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٥٣/٢.
(٢) عباس، العرب في صقلية، ص٣٨.
(٣) صورة الأرض، ص١١٦.
(٤) كرد، الإسلام والحضارة العربية، ٢٧٣/١.
(٥) محمود، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص٢١.
(٦) عويس، الحضارة الإسلامية، ص١٠٦.

٢ . **الديانة النصرانية:** شكلت الديانة النصرانية من خلال النصارى جزءاً من الديانات في إفريقية، فقد امتازت مدينة القيروان بوجود عدد واضح من النصارى[١]، حيث أشار اليعقوبي على بقائهم في بعض المناطق من إفريقية[٢]، فقد اختصوا بأعمال من أهمها ضرب السكة، حيث يذكر أن زيادة الله الثالث (٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٩م) كتب اسم أحدهم ويدعى (خطاباً) على الدنانير والدراهم واختصوا بصناعة السفن والنقش على الحجر[٣].

وكانت هناك عناصر نصرانية سكنت مدينة سوسة، وهم ممن كان يقطن سوسة قبل الفتح، وهم أقلية استمروا على السكنى بها بعد أن عمرها الاغالبة، بدليل انه كان يوجد بداخل المدينة شارع يعرف (بزقاق الروم) غير بعيد من الجامع الكبير، والمقصود هنا بالروم، ابناء البيزنطيين وبقايا الرومان الذين لم يفارقوا البلاد واختاروا البقاء تحت حكم عرب إفريقية، نذكر من بينهم العابد المرابط (أبا الغصن نفيس) الذي كان أبوه نصرانياً واسلم وكان يرتزق من صنع الغرابيل في سوسة، وهؤلاء الروم الذميون كانوا يتعاطون التجارة في الحبوب وفي الزيت والخمر مع بلاد الافرنج، أو أنهم يحترفون بصناعات يدوية تقليدية ورثوها عن أسلافهم[٤].

كذلك عاشت النصرانية في صقلية بشكل واضح لأنهم سكان البلاد الأصليون، وقد وفدوا الى الجزيرة من مناطق مختلفة، وهم السيقان والصقل والأليمانيون، ويبدوا أن السيقان هم السكان الأصليون الذين نشأوا على أرض صقلية، على أن بعض الروايات ترى أنهم قد أتو من اسبانيا[٥].

وبعد فتح المسلمين لصقلية دخل الكثير من النصارى إلى الدين الإسلامي وبقي البعض على دينه وقبل بدفع الجزية، وهناك بعض المدن قامت بعقد معاهدات بين أهلها والمسلمين تقضي بعدم الاعتداء من الطرفين على أن يدفع النصارى ما عرف بمال الهدنة[٦]، وكان السكان النصارى في الجزيرة يمثلون

(١) ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ٣٤/١.
(٢) البلدان، ص١٨٧-١٩٠.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ١٤٣/١؛ الكعاك، المجتمع التونسي على عهد الاغالبة، ص١١.
(٤) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٥٢/٢-٥٣.
(٥) فوزي، الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس هجري، ص٣٩.
(٦) حميداتو، أثر الحضارة العربية الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا، ص٦٢.

ما يقرب من نصف سكانها، وعاملهم الولاة المسلمون ونوابهم بمنتهي العدل والتسامح طبقاً لتعاليم الإسلام فكان الثري يدفع جزية سنوياً للدولة (٤٨) ديناراً، والفرد في الطبقة الوسطي يدفع (٢٤) ديناراً، بينما يدفع من يكسب عيشه بعرقه (١٢) ديناراً فحسب، وكان الرهبان والقسس والنساء والأطفال معفيون من الضرائب[١]، وقد تمتع النصارى في ظل الحكم الاسلامي بقدر كبير من التسامح والحرية، وفي هذا الشأن يقول غوستاف لوبون (سمح العرب في أيام سلطانهم للنصارى بالمحافظة على قوانينهم وعاداتهم وحرياتهم الدينية فروى الراهب الدومنيكي، وكان رئيساً لدير القديسة كاترين في الروم، أن القساوسة كانوا أحراراً في الخروج لابسين حللهم الدينية ليناولوا المرضى طقوس الدين)[٢]، ويذكر لوبون أيضاً (أنه كان ينصب في الحفلات العامة بمسينا رايتان: إسلامية وعليها برج أسود في حقل أخضر والأخرى نصرانية وعليها صورة صليب مذهب في حقل أحمر، ولم يمس العرب الكنائس القائمة في صقلية أثناء فتحهم لها)[٣]، ومن مظاهر الاعتدال الاجتماعي مصاهرة المسلمين للنصارى في صقلية، حيث يحمل الجيل الذي نشأه من هذا الزواج اسم (بولاني) وقد أمتاز هذا الجيل بمعرفته لغات مختلفة، مثل العربية والفرنسية والإيطالية[٤]، ولم يكن ابن حوقل راضياً عن زواج المسلمين من نصرانيات، وذلك لاحتوائه على العديد من الشروط المعقدة، فيذكر على سبيل السخط المشعمذون (المشعوذون)، أكثر أهل حصونهم وباديتهم وضياعهم، رأيهم التزوج إلى النصارى، على أن ما كان بينهم من ولد ألحق بأبيه من المشعوذين، وما كانت من أنثى فنصرانية مع أمها[٥]، وكان أهل الذمة من النصارى يتمتعون عادة بممارسة حق الملكية بالكامل، وكانت الشريعة الاسلامية تحميهم وتحمى ممتلكاتهم بالأحكام الجنائية نفسها التي تطبق على المسلمين، وكان المسلمون يمنعون أهل الذمة من أن يتكلموا دون تبجيل عن القرآن أو عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أو عن الاسلام وأن لا يتفوهوا بألفاظ بذيئة مع المسلمات، وألا يسبوا الجند، وألا يحاولوا تبشير المسلمين، وأن يحترموا ممتلكاتهم[٦]، وكان المسلمون يفرضون على الذميين دفع الجزية والخراج، فالجزية خاصة بالأشخاص أما الخراج فكان على العقارات الثابتة، وكانت الجزية تلغى على من يعتنق الإسلام أما الخراج فكان يستمر رغم اعتناق المالك للإسلام أو انتقال ملكية الارض الى

(١) ضيف، عصر الدول والامارات، ص٣٥٠.

(٢) حضارة العرب، ص٣٢٠.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

(٤) غانم، تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية، ص١٠٤.

(٥) صورة الأرض، ص١٢٣-١٢٤.

(٦) آماري، تاريخ مسلمي صقلية، ٥٢٩/١.

مسلم[١]، وكان أهل الذمة يمارسون طقوسهم الدينية في أماكن العبادة بحرية تامة، ولكن كان يحظر إبراز الصلبان أمام عامة الناس وقراءة الانجيل بصوت عال يسمعه المسلمون والحديث عن المسيح معهم ودق النواقيس والصنوج، وكان المسلمون لا يتدخلون من قريب أو بعيد في شؤون العقيدة والطقوس والصلوات وكانوا يحمون المواطنين النصارى من أي طائفة أخرى[٢].

ب- المذاهب الإسلامية:

شهد عصر دولة الأغالبة تنوعاً واضحاً من المذاهب الإسلامية داخل المجتمع في إفريقية، ويبدو أن سياسة الاعتدال كانت هي السائدة، بدليل عدم فرض مذهب مميز على مذهب أخر او اجبارهم على توجه، ناهيك عن عدم وجود صراعات ومواجهات بارزة بين تلك الفرق المختلفة، وفيما يلي أبرز تلك المذاهب.

أولاً: المذهب الحنفي: يعتبر المذهب الحنفي[٣]، أسبق المذاهب في الدخول إلى القيروان بعد أن كان مذهب السلف[٤]، هو السائد، وأصبح المذهب الحنفي الغالب على أهلها قبل دخول المذهب المالكي، باعتباره مذهب الدولة الرسمي، ثم ضعف عندما أقبل الناس على مذهب مالك وأول من أدخل مذهب أبي حنيفة إلى القيروان عبد الله بن فروخ (١١٥-١٧٦هـ/٧٣٣-٧٩٢م)[٥]، الذي دون عن أبي حنيفة نحو عشرة آلاف مسألة قبل أن يُصنف أبو حنيفة كتبه، ودخل بها

---

(١) المرجع نفسه، ٥٣٠/١.

(٢) آماري، تاريخ مسلمي صقلية، ٥٣١/١-٥٣٢.

(٣) المذهب الحنفي: ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠هـ/٧٠٠-٧٦٠م)، ولد بالكوفة، وعرف عنه اجتهاده في الفقه، لذلك عرف هو وأتباعه بأصحاب الرأي، كما استعملوا القياس في حالة غياب النصوص ، ينظر: ابو زهرة، أبو حنيفة حياته وعصره وآراءه وفقهه، ص٢٢.

(٤) مذهب السلف: كان الفقهاء في القرن الأول الهجري يعتمدون على اجتهادات الصحابة والتابعين، إلى جانب الكتاب والسنة اللذين لورعوا في أطراف البلاد الإسلامية وتمركزوا لاسيما في المدينة المنورة والشام والعراق ومصر، وهم الذين نقلوا عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وعن الخلفاء الراشدين ونقل عنهم التابعون، وهذا قبل أن تظهر الاختلافات التي أذات القيام المدارس والمذاهب الفقهية ويظهر الأئمة المجتهدون. ينظر: ساهي، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية بالمغرب الإسلامي، ص١٠٦.

(٥) عبد الله بن فروخ، من فقهاء القيروان، ولد سنة (١١٠هـ/٧٢٨م)، جمع بين العلم والورع، رحل للمشرق ولقي أعلاماً كمالك بن أنس وأبي حنيفة والثوري وغيرهم، رجع إلى القيروان وانتفع به الكثير من الناس، تولى قضاء القيروان، توفى في مصر سنة (١٧٦هـ/٧٩٢م). ينظر: المالكي، رياض النفوس، ١٧٦/١.

القيروان، وسمعها منه الناس[١]، وقد ساعد على انتشار هذا المذهب أن أمراء بني الأغلب تبنوه بالرغم من أن سياستهم تقوم على تبني كل المذاهب الفكرية وتشجيعها، وقد كان للمذهب الحنفي مكانة خاصة عندهم ولقي انتشاره تشجيعاً منهم، بل يمكن القول أنهم هم الذين أرسوا قواعده في إفريقية[٢].

ثانياً: المذهب المالكي: بدأ انتقال مذهب مالك بن أنس إلى إفريقية عن طريق الفقيه علي بن زياد[٣]، فهو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان الثوري[٤]، المغرب، والراجح أن ذلك كان بعد سنة (١٤٤هـ/٧٦١م) بقليل[٥]، والواقع أن مذهب مالك ساد بلاد المغرب الإسلامي وخاصة إفريقية، عن طريق تلامذة الإمام مالك الذين هاجروا إليه لطلب العلم، فكان إقبال أهل إفريقية والمغرب على هذا المذهب كبيراً مما أدى لانتشاره وظهوره على المذاهب الأخرى[٦]، ونشير في هذا الصدد إلى بعض العوامل التي كانت وراء انتشار المذهب المالكي في إفريقية وأهمها الرحلة في طلب العلم، التي كانت معظمها إلى الحجاز، وهذا الميل إلى الحجاز يفسره ابن خلدون بكون البداوة كانت غالبة عليهم والحجاز أنسب لبداوتهم، فأخذوا الكثير عن شيوخها فقهائها[٧]، بالإضافة إلى شخصية مالك بن أنس[٨]، نفسه بما عرف عنه من كريم السجايا والخصال الحميدة، والتعلق الشديد بالسنة والأثر، مما دفع المغاربة إلى الوفود عليه والانقياد لمذهبه، والاقتناع بأنه أولى بالاقتداء

(١) شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ٩١/١.

(٢) المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ص٦٥.

(٣) علي بن زياد العبسي التونسي، يكنى أبو الحسن، كان ثقة مأموناً، متعبداً، بارعاً في الفقه، رحل إلى المشرق ومصر والشام وسمع عن الكثير من العلماء من بينهم مالك والثوري وابن لهيعة، ولم يكن في عصر إفريقية مثلة. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٢٣٤/١.

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، يكنى أبو عبد الله، ولد في سنة (٩٧هـ/٧١٦م) في صحراء أثير بالكوفة، وعاش في بيت علم وورع وعبادة. ينظر: ابن خلكان، وفيان الأعيان، ٣٨٦/٢.

(٥) المالكي، رياض النفوس، ٢٣٤/١-٢٣٥.

(٦) شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ٩٤/١-٩٥.

(٧) المقدمة، ص٤٤٩؛ شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ٩٤/١.

(٨) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، يكنى أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده سنة (٩٣هـ/٧١٢م)، كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، له كتاب الموطأ ورسالة في الوعظ وكتاب المسائل ورسالة في الرد على القدرية وتفسير غريب القرآن، توفى في المدينة سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م). ينظر: الزركلي، الأعلام، ٢٥٧/٥.

والإتباع، وعامل آخر هو ملاءمة مذهبه لطبيعة المغاربة، ذلك أن المذهب المالكي مذهب عملي بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم[١].

ثالثاً: المذهب المعتزلي: يعد المذهب المعتزلي من المذاهب الإسلامية التي دخلت إفريقية، وعاشت في دولة الأغالبة، ويعود الفضل بدخول إلى الفقيه واصل بن عطاء[٢]، وانه ازدهر في أفريقيا بصورة عامة أكثر مما ازدهر بالقيروان حصن السنة[٣]، وقد أيد بعض أمراء الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى المعتزلة، حيث كانت المناظرات هي سمة ذلك العصر لفرض أراءهم وأصولهم ودارت هذه المناظرات حول أفعال العباد وعلاقاتها بالقدر، الامر الذي يدل على عدم تعصب الأغالبة مذهبياً[٤]، وأبرز ما خاضوا فيه من الصفات هي مسألة خلق القرآن[٥]، فتصدت لهم المالكية بقوة، وأن بعض الفقهاء واجهوا هذا المذهب لاختلاف الافكار معهم، أمثال اسد بن فرات، فقال أسد: ويح أهل البدع هلكت هوالكهم يزعمون أن الله خلق كلاماً يقول ذلك الكلام المخلوق انني أنا الله، وقصد بذلك المعتزلة، إلا أن أمراء الأغالبة لم تسجل لهم مواجهة مذهبيه واضحه[٦]، وكانت المالكية لا تصلي على جنائز من أتهم بالاعتزال، ولما تولى سحنون قضاء (٢٣٤هـ/٨٤٨م) القيروان شرد المعتزلة وأهل البدع عن جامعها، ولصرامته رفض حاشية الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب الصلاة على جنازته لأنهم كانوا معتزلة، وكان خروجهم طاعة للأمير، واتهمتهم الإباضية بالضلال وقاتلتهم وقتلت رئيسهم بل

(١) المالكي، الشامل في فروع المالكية، ٥/١؛ شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، ص١١٩.

(٢) واصل بن عطاء البصري الغزالي، يكنى أبو حذيفة، ولد سنة (٨٠هـ/٦٩٩م)، مولى بني مخزوم، لقب بالغزالي لأنه كان يدور في سوق الغزل ليتصدق على النساء اللواتي يبعن الغزل، وهو راس المعتزلة وكبيرهم ورئيسهم وأولهم، توفى سنة (١٣١هـ/٧٤٩م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٤٥/٢٧.

(٣) الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٤١٠؛ بدوي، مذاهب الإسلاميين، ص٨١.

(٤) شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ١٠٠/١-١٠١.

(٥) ظهر القول بخلق القرآن في القرن الثاني (الثامن الميلادي)، وأبرز من تكلم بها هم المعتزلة، بعدما تأثروا بالفلسفة اليونانية والمنطق، مؤكدين أن القرآن مخلوق وليس أزلياً، كان الهدف من هذا القول الحفاظ على فكرة التوحيد المطلق، حيث رأوا أن القول بأزلية القرآن قد تؤدي إلى الاعتقاد بوجود شيء قديم غير الله، مما يتعارض مع مفهوم التوحيد، وقد بلغ هذا الجدال ذروته في عهد الخليفة المأمون الذي أيد المعتزلة وفرض القول بخلق القرآن. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٧٢/٥؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٧/١٠.

(٦) المالكي، رياض النفوس، ٢٦٤/١-٢٦٥؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ١٨/٢.

أفنت معظمهم، و ظلت المعتزلة في إفريقية أقلية تدافع عن أراءها أمام جمهور المالكية والسنة عموما طوال حكم بني الأغلب[١].

رابعاً: المذهب الصوفي[٢]: دخل الزهد لإفريقية في فترة مبكرة أي منذ عهد الصحابة و التابعين ثم أخذت هذه الحركة في الاتساع وقد كان هؤلاء الزهاد والعباد يقيمون في الحصون والرباطات ومن أبرزهم البهلول بن راشد، ومن الصوفية كان من أبناء الأسر الحاكمة أبو عقال بن غلبون (ت٢٩١هـ/٩٠٣م)[٣]، الذي ينتمي الى الأسرة الأغلبية، وكان في سابق عهده من أهل المجون، ثم تاب وانكب على العبادة والزهد حتى أصبح من أشهر زهاد إفريقية وعبادها، كذلك لما رأى الامام سحنون واصل بن عطاء الله الحمي في جامع سوسة يصلي والامام يخطب أمره بطلب العلم فامتثل لأمره عشرة سنين لتلقي العلم عنه تجنبا للوقوع في المخالفات الشرعية[٤].

خامساً: المذهب الثوري: ومن المذاهب التي عرفت في إفريقية عهد الأغالبة مذهب سفيان الثوري، وقد سمع بعض من فقهاء إفريقية عن هذا الامام كعبد الله بن غانم والبهلول بن راشد وعبد الله بن فروخ، حيث سمع البهلول جامع سفيان الثوري الصغير من عنبسة بن خارجة[٥]، والجامع الكبير من علي بن زياد، ورغم سماع عدد عن هذا المذهب الا أنه لم يلقى الانتشار بإفريقية لقلة أتباعه، وهناك من يرجح الاندثار الى اختصاصه في الحديث أكثر من الفقه[٦].

(١) القيرواني، الجامع في السنن، ص١٢٦؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٨٧/٢ –٨٨.

(٢) بدأ لفظ الصوفية يظهر في أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، وقيل إن اول من بنى دويرة للصوفية في البصرة هو عبد الواحد بن زيد وهو من أصحاب الحسن البصري، وأن اول من عرف باسم صوفي في الإسلام أبو هاشم الصوفي المتوفى في القرن الثاني. ينظر: قاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص٧٤٥.

(٣) غلبون بن الحسن بن غلبون، يكنى أبو عقال، كان من الحفاظ والفصحاء والادباء، نشأ بالقيروان، في رفاهية عظيمة، لأنه كان من بني الأغلب. ينظر: الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢١٥/٢.

(٤) المالكي، رياض النفوس، ٥٢٧/١–٥٢٨؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢١٥/٢؛ شهرة، الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الاغالبة (١٨٤–٢٩٦هـ)، ص٨١.

(٥) عنبسة بن خارجة الغافقي، يكنى أبو خارجة، كان فقيهاً عالماً، رحل إلى المشرق، واخذ من كبار المحدثين والفقهاء، وبعدها عاد إلى إفريقية بعلم غزير، وادخل إلى القيروان الجامع الصغير لسفيان الثوري وسمعه منه العديد من الفقهاء والعلماء. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٢٤١/١.

(٦) المالكي، رياض النفوس، ٢٠١/١؛ بوعلام، الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية (١٨٤–٢٩٦هـ)، ص٨٨.

سادساً: المذاهب الأخرى: دخلت في إفريقية مذاهب أخرى، وتواجدت بشكل قليل في عهد الأغالبة، مثل، مذهب أبي عمر الأوزاعي (ت١٥٧هـ/٧٧٤م)[١]، وقد روى عنه بعض أهل القيروان[٢]، ومذهب داود بن علي الأصبهاني الظاهري (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م)[٣]، الذي أدخله أبو جعفر بن خيرون[٤][٥]، أما مذهب محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)[٦]، فقد كان حظه بالقيروان أكثر من سابقيه حيث مال إليه مجموعة من أهلها، في حين صنف بعض علماء القيروان في الرد على مذهب الشافعي كتباً منها: كتاب الرد على الشافعي لمحمد بن سحنون[٧].

أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال تنوع المذاهب الإسلامية في عهد الاغالبة:

١. أن استقرار دولة الاغالبة وانفتاحها وسياستها المعتدلة، أتاح المجال لظهور العديد من المذاهب الإسلامية، وهذا الانفتاح ساهم في تعزيز الثقافة الإسلامية في المنطقة، حيث تفاعل مختلف المذاهب مع بعضها بعض.

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، يكنى أبو عمرو من قبيلة الأوزاع، ولد في بعلبك سنة (٨٨هـ/٧٠٧م)، ونشأ في البقاع، وهو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين، كان الأوزاعي عظيم الشأن بالشام، وكان أمره فيهم أعز من أمر السلطان. ينظر: الزركلي، الاعلام، ٣٢٠/٣.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ٢٤٧/١، ٣٠١، ٣٨٦؛ عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٧٣/١.

(٣) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الملقب بالظاهري، ولد في الكوفة سنة (٢٠١هـ/٨١٧م)، وسكن بغداد، وهو أحد الائمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنه وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس، وهو أول من جهر بهذا القول. ينظر: الزركلي، الاعلام، ٣٣٣/٢.

(٤) محمد بن محمد بن خيرون المعافري، يكنى ابي جعفر، الاندلسي المنشأ، قيرواني القرار، رحل إلى المشرق ومصر لطلب العلم، وعاد إلى القيروان وسمع عن فقهائها. ينظر: المالكي، رياض النفوس ١٣٥/٢.

(٥) محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ٢٦٤/٢، شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ٩٠/١.

(٦) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الشافعي، مؤسس المذهب الشافعي، ينتسب إلى قبيلة قريش، ولد في مدينة عسقلان، وقيل في اليمن، سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م)، نشأ في بيت فقير، وكان يتيم الاب، وحرصت امه على تربيته، وبعدها رحل إلى الحجاز لطلب العلم، وسمع عن مالك بن أنس والكثير من الفقهاء والعلماء، وبعد الحصيلة العلمية الطويلة، رحل إلى مصر واستقر بها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٢٣٩٣/٦ وما بعدها.

(٧) المالكي، رياض النفوس، ٤٤٣/١؛ عياض، ترتيب المدارك: ٤٢٥/١؛ شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ٩٠/١.

٢. سمحت دولة الأغالبة إلى المذاهب الإسلامية السائدة في تلك الفترة بممارسة معتقداتهم الدينية والعلمية، فضلاً عن تبادل الأفكار والنقاشات الفكرية.

٣. تمتع امراء الدولة الأغلبية بعلاقات وصلات مع العلماء والمؤسسين للمذاهب الإسلامية، وأن هذه العلاقات ساهمت في تعزيز العلم والدين في المنطقة، فضلاً عن دورها الكبير في نشر الإسلام وتعاليمه.

٤. لم يتدخل أمراء الأغالبة في شؤون بعض المذاهب الإسلامية، ولم يمنعوا انتشار أفكارها، بل على العكس، فقد شجعت الدولة على تعدد المذاهب الإسلامية ودعم التنوع الفكري.

٥. عَدُّ كثرة المذاهب الإسلامية في عهد الأغالبة دليلاً على التسامح والاعتدال الذي اتسمت به الدولة تجاه التنوع الفكري والديني، فقد ساهمت هذه البيئة المتسامحة في تعزيز الحوار بين المذاهب المختلفة، مما أتاح للأفكار والمعتقدات أن تتفاعل وتزدهر.

٦. على الرغم من كثرة المذاهب الإسلامية في عهد الأغالبة، إلا أنها لم تؤدي إلى صراعات فكرية مذهبية واضحة.

٧. اكتسبت إفريقية مكانة مرموقة كوجهة علمية، جاذبة للعلماء وطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، سواء من المناطق المجاورة أو البعيدة، وقد تجلى هذا الاهتمام في الإقبال المتزايد على المؤسسات التعليمية والثقافية في المنطقة، حيث سعى العديد من الطلاب والعلماء إلى الاستفادة من المناهج الدراسية المتنوعة والمتقدمة التي قدمتها المدارس الدينية والمراكز الثقافية في إفريقية في عهد الأغالبة.

ج- المناظرات بين المذاهب الإسلامية:

أتيح في عهد الامراء الاغالبة الحرية في البحث في المسائل المذهبية، وقيام المناظرات[١]، والمساجلات والمجادلات، حول مسائل العلم والفقه والادب بين المذاهب الإسلامية، وكانت تحديداً تحت أشراف الامراء الاغالبة، ابرز تلك المناظرات:

(١) يرد لفظ المناظرة في معاجم اللغة العربية إلى مصدر على وزن مفاعلة فعله ناظر، وهو من أصل ثلاثي مادته هي النون والضاد والراء، ووزنه مفاعلة يدل على التشارك بين طرفين أو أكثر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٨٣/٣.

فمن أوائل المناظرات تلك التي جرت بين الفقيه المالكي المشهور أسد بن الفرات والفقيه الحنفي سليمان بن ابي عصفور المعروف بالفراء[١]، وكانت احداث هذه المناظرة ذلك ان أسد كان يحدث يوما بحديث رؤية الله عز وجل يوم القيامة، فأنكر سليمان الأمر مما أدى إلى غضب أسد بن الفرات، لكن المناظرة استمرت بينهم من دون مشاكل واضحة[٢].

ومن المناظرات كذلك التي تمت بإشراف أمراء اغالبة هي تلك المناظرة التي شارك فيها عبد الله بن أبي حسان، وذلك في عصر الأمير زيادة الله الأول بن الاغلب، حيث زار عبد الله بن ابي حسان[٣]، الأمير في بلاطه فوجد عنده الفقيه الحنفي أبو محرز بن عبد الله والمالكي اسد بن الفرات يتناظران حول موضوع تحريم النبيذ[٤].

ومن المناظرات التي جرت بين الفقيه المالكي موسى بن معاوية الصمادحي[٥]، والفقيه عبد الله بن أبي جواد[٦]، فأثيرت بينهما مسألة خلق القرآن، فقال، موسى: سمعت جماعة من أهل العلم يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، فقال له ابن جواد: لقد أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، لكن رفض موسى بن معاوية الرد عليه واكتفى بتقديم حجة لإثبات رأيه[٧].

---

(١) سليمان بن أبي عصفور، من أهل العراق، معتزلي المذهب، وكان من كبار علماء القيروان ومشاهيرهم، عرفة عنه في مسألة خلق القرآن، وكانت له مناظرة مع أسد بن الفرات، ينظر، المالكي، رياض النفوس، ٢٦٥/١.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ٢٦٤/١-٢٦٥.

(٣) عبد الله بن حسان اليحصبي، من أهل إفريقية، سكن القيروان بحارة يحصب المنسوبة إليهم، كان على المذهب المالكي، وكان من علماء القيروان وإشرافها، وله باع طويل في المناظرات الدينية والعلمية. ينظر: عياض، تراجم أغلبية، ص٧٠.

(٤) المالكي، رياض النفوس، ٢٨٨/١، عياض، تراجم أغلبية، ص٧٥-٧٦.

(٥) موسى بن معاوية الصمادحي، يكنى أبي جعفر، من أهل إفريقية، سكن القيروان، وكان على مذهب مالك، كان عالماً بالفقه راوياً للحديث. ينظر: الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٥١/٢.

(٦) عبد الله بن أبي جواد، من أعلام البارزة للمعتزلة في القيروان، وكان على مذهب الكوفيين، وهو صهر أسد بن الفرات، كان يقول بخلق القرآن، تولى القضاء في عهد الأمير محمد بن الأغلب، توفى سنة (٢٣٤هـ/٨٤٩م). ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ١٠٠/١.

(٧) الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٥١/٢.

ومن المناظرات العلمية المدوية، والتي دارت حول مسألة خلق القرآن تلك التي خاضها الفقيه المالكي المشهور سعيد بن الحداد[١]، مع أحد فقهاء المعتزلة وهو القاضي عبد الله بن الأشجّ قاضي الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني، وهي مناظرة عميقة الأثر، دلت على قدرة جدلية منطقية كبيرة لدى سعيد بن الحداد، فقد تصدى لابن الأشج وللأمير معاً، ووضح لهما خلال تلك المناظرة بأدلة نقلية وعقلية منطقية استحالة أن يكون القرآن مخلوقاً، ولم يكن أمام الأمير إلا أن يسلم بهزيمته وهزيمة قاضيه، غير أنه قال له أخيراً: أنت لا تضطرني إلى مذهبك[٢].

وكان ولمحمد بن سحنون[٣]، مناظرة مع أحد المعتزلة في مجلس أحد وزراء الأغالبة الذين لا يميلون إلى رأي المعتزلة ويدعى علي ابن حميد[٤]، وكان ذلك المعتزلي المدعو بأبي سليمان النحوي[٥]، قد قدم من المشرق، وكان يقول بخلق القرآن، فطلب الوزير من محمد بن سحنون أن يناظر هذا المعتزلي، فكان مما قاله له ابن سحنون: (تقول أيها الشيخ أو تسمع؟ فقال له الشيخ: قل يأبني، فقال محمد: أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه؟ فسكت الشيخ ولم يعطي جواباً، ومضى وقت طويل ولم يأت بشيء، فقال له محمد: كم سنة أنت عليك أيها الشيخ؟ فقال له: ثمانون سنة، فقال ابن سحنون للوزير ابن حميد: قد اختلف أهل العلم في الصلاة على الميت بعد سنة من يوم موته، ثم استمرت المناظرة بينهم من دون فرض للراي وبكل مقبولية)[٦].

---

(١) سعيد بن محمد الغساني، يكنى أبي عثمان، من أهل إفريقية، سكن القيروان، وكان على مذهب مالك، مناظر قوي الحجة في علوم الدين واللغة، كان كثير الرد على أهل البدع والمخالفين للسنة، واشتهر في جدلة. ينظر: عياض، تراجم أغلبية، ص٣٥١.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ٢/٧٠-٧٢.

(٣) محمد بن سعيد التنوخي، من أهل إفريقية، ولد سنة (٢٠٢هـ/٨١٨م)، سكن القيروان، كان إماماً ثقة عالماً بالمذهب المالكي، لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، توفى سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م). ينظر: المالكي، رياض النفوس، ١/٤٤٣.

(٤) علي بن حميد التميمي، ولاه زيادة الأول بن إبراهيم بن الاغلب الوزارة في عهد، كان يملك ثروة من أعظم ثروات القيروان، كان قد كسب جزءاً منها من تجارة العاج، ينظر، الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٥) محمد المؤدب الكولذاني، يكنى أبو سليمان، كان معتزلي المذهب، رحل من المشرق إلى إفريقية في أيام زيادة الله الأول، سكن القيروان، وكان يقول بخلق القرآن، وكثير المناظرات مع المذاهب الأخرى. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ١/٤٤٩.

(٦) المالكي، رياض النفوس، ١/٤٤٨-٤٤٩؛ الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢/١٣٤.

كذلك روى أن الأمير الاغلبي محمد الثاني بن أحمد بن محمد (٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٥م)، وجه في طلب محمد بن سحنون للمناظرة، وعندما قدم عليه، سأله الأمير عن قوله في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ففهم محمد بن سحنون المغزى الذي يرمي إليه الأمير، بحكم كونه معتزلي، أي أنه عرف مقصد الأمير الذي يريد أن يحمله علي معتقده في مرتكب الكبيرة، وهي إحدى الأصول الخمسة التي يقوم عليها المذهب الاعتزالي فكان من جواب محمد بن سحنون له: (أصلح الله الأمير، ما أقول ما قالت الإباضية ولا ما قالت المرجئة، قال: وما قالت؟ قال: قالت الإباضية: إن من أذنب ذنباً فهو من أهل النار، وقالت المرجئة: لا تضر الذنوب مع التوحيد، أما يزيد عظيماً جسيماً، ويفعل الله في خلقه ما أحب ثم انصرف)[١]. ويبدو أن بعض الامراء ممن اختاروا مذهب المعتزلة، وقد تأثروا فيه، وكان لهذا الامر دور في توجههم نحو سياسة الاعتدال.

ولأبي العباس عبد الله بن طالب مناظرة مع الفقيه الحنفي ابن عبدون[٢]، وكانت هذه المناظرة تقع على شكل مجلس تحقيق، خاصة وأن أبي العباس قد عزل من منصب القضاء فعقدت له هذه المناظرة لمراجعة الأحكام التي قضى بها وهذا بعد عدم رضا الأمير ابراهيم الثاني، فولى القضاء لابن عبدون هذا الأخير الذي كان يكن العداء للمالكية، فأراد من خلال هذه المناظرة أن يشهر بأبي العباس أمام الناس، فطلب العديد من الفقهاء الحضور لهذه المناظرة أمثال، حمديس القطان[٣]، وسعيد بن الحداد وسهل بن عبد الله القيرواني[٤]، وعبد الجبار بن خالد السرتي وغيرهم من الفقهاء المالكية والحنفية، وعلى اعتبار أن أبي طالب كانت حجته أضعف في تلك المناظرة إلا أن الأمير ابراهيم بن أحمد، شجع على متابعتها في يوم آخر هذا بعد ملاحظته التقليل من شأن أبي طالب أمام الحاضرين، فقرر الفقيه سعيد

(١) المالكي، رياض النفوس، ٤٤٣/١؛ عياض، تراجم أغلبية، ص١٨١.

(٢) محمد بن عبد الله بن عبدون، يكنى أبو العباس، من قبيلة القحطانية، كان حافظاً لمذهب أبي حنيفة، وسبق له إن عمل كاتباً للشروط والوثائق وكان أهل العراق به يثنون وبمكانته يفخرون. ينظر: منصف جودة البرعصي، القضاء في إفريقية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الأغالبة (٢١-٢٩٦هـ)، ص٤٢.

(٣) حمديس القطان، ويكنى أبو جعفر، يرجع نسبة إلى أبي موسى الاشعري، من أهل القيروان، كان من أشهر علماء عصره، كان مالكي المذهب. ينظر: الدباغ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ٢٠١/٢.

(٤) سهل بن عبد الله بن سهل، يكنى بأبي زيد، من أهل القيروان، وكان عالماً وفقيهاً ثقة، وكان كثير المال فعلاً للخير، بني قصر الرباط على البحر بسوسة. ينظر: عياض، تراجم أغلبية، ص٣١٢.

بن الحداد مساعدة ابن طالب فسأله عدة أسئلة حول تقديم الصدقة للهاشميين، أجاب بن طالب عن جميع الأسئلة بحجج مقنعة مما أدى إلى غضب الأمير ابراهيم بن الأغلب على ابن عبدون[1].

يتجلى من السابق أن الدولة الأغلبية اتسمت بنهج تسامحي تجاه التعددية المذهبية والفكرية في الإطار الإسلامي، فقد أتاحت هذه الدولة الفرصة لمختلف المذاهب والتيارات الإسلامية لممارسة معتقداتها الدينية وأنشطتها العلمية بحرية نسبية، ومما يجدر ذكره أن غالبية هذه الممارسات كانت تتم تحت إشراف مباشر من أمراء الأغالبة وبعلمهم، وإن هذا النمط من الحكم يشير بوضوح إلى اتباع الدولة الأغلبية لسياسة الاعتدال في إدارة شؤونها الداخلية، لا سيما فيما يتعلق بالتعامل مع التنوع المذهبي والفكري، وأن هذا النهج المعتدل قد ساهم في تحقيق قدر من الاستقرار السياسي والاجتماعي في الدولة، مما مكّنها من الازدهار في مجالات متعددة.

ثالثاً- سياسة الاعتدال في الحياة الاقتصادية:

أظهر الأغالبة اهتماماً كبيراً بتحقيق سياسة الاعتدال في الحياة الاقتصادية، في جميع الجوانب الزراعية والصناعية والتجارية، وأن هذه السياسة تجلت بوضوح في مختلف الأسواق الموجودة داخل الدولة، بحيث لم تقتصر على سوق واحد أو مدينة واحدة:

لقد تنوعت وتعددت الأسواق في مدن إفريقية زمن الأغالبة، مما يظهر الاهتمام المتساوي بأغلب المناطق، ففي مدينة القيروان كان هناك نوعين من الأسواق النوع الأول هي الأسواق اليومية الموجودة بصفة دائمة وتضم الدكاكين والحوانيت التي تحوي كافة أنواع السلع والبضائع ويتوافد عليها الناس بشكل يومي، ويبدو من وصف تنظيم هذه الأسواق أنها قد أخذت بنمط التنظيم المتبع في أسواق بغداد والذي يقوم على التقسيم المكاني لأصحاب الحرف وأنواع البضائع المعروضة وهو ما يمكن تعريفه بالأسواق المتخصصة، بحيث أن أهل كل تجارة من التجارات خصصت لهم شوارع لا تخلط بها تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غيرة، لذلك يذكر أن سوق القيروان كان مقسما الأبواب ودروب منها باب سوق العطارين الذي يضم كافة أنواع العطارة وسوق الرهادنة[2]، وسوق البرازين وسوق الصرافين وسوق الكتانيين وسوق

(١) عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٢٣٢/٤؛ الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ١٦٩/٢.

(٢) الرهادنة هم باعة الأمتعة القديمة. ينظر: الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٣٨/٢.

الغزل وسوق السراجين وسوق الوراقين لبيع الرقق الجلدية وأدوات الكتابة[١]، وسوق الصباغين الصباغة الأقمشة والملابس، وسوق الصيارفة والسماسرة وهو خاص بالعمليات المالية من إبداع وتحويل[٢]، وسوق الرماحين وسوق الجزارين أو اللحامين والذي يوصف بأنه كان كبيرا جدا ليستوعب عدد الجاموس والأبقار والأغنام التي تذبح، حيث ذكر أنه في أحد أيام عاشوراء ذبح في هذا السوق قرابة تسعمائة وخمسين رأساً من الأبقار[٣].

أما النوع الثاني من الأسواق فكانت أسواق دورية أو مؤقتة، حيث تقام في أيام محددة من كل أسبوع مثل سوق الخميس وسوق الأحد الذي يشار إلى أنه كان يقع غرب القيروان ويوصف بأنه كبير تباع فيه الأقمشة والفخار[٤]، فضلاً عن الأسواق الأسبوعية تذكر لنا بعض المصادر أن هنالك أسواقاً موسمية قد تستمر لبضعة أسابيع أو أكثر فمنها ما يستمر لمدة عشرين يوما ومنها ما زاد على ذلك حيث كان كثير من التجار المسافرين للخارج أثناء الصيف يمكثون في فصل الشتاء في القيروان ليبيعوا بضائعهم وقت فراغهم[٥].

اهتم ولاة إفريقية قبل العصر الأغلبي بتنظيم أسواق القيروان للتغلب على مشكلة تكدس وازدحام الناس بالأسواق، وهو ما يوضحه لنا الرقيق القيرواني عند حديثه عن والي إفريقية يزيد بن حاتم المهلبي في زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي أمر بترتيب أسواق القيروان وذلك بوضع كل صنعة من الصناعات في مكان معلوم وجعل الدكاكين صفاً متصلاً بعضها ببعض يقابله صف مثله، وجعل لكل سوق مكاناً خاصاً مستقلاً وعين عريفاً[٦]، لكل صنف اختاره من بين وجوه تلك الصناعة[٧].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) مبارك، التطور الاقتصادي لولاية إفريقية في عهد الأغالبة، ص ١٣٥.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ١٩٩/٢.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٢٥-٢٢٦؛ حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٢١٦.

(٥) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٦) العريف أو الأمين هو الذي يشرف على سير حرفته، ويقاوم ما يطرقها من الغش، ويسهر على حسن العلاقات بين أصحاب الحرف والصناعات وعمالهم واعوانهم، كما يحرس على ضمان حقوق الأجير. ينظر: عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ٥٨/١.

(٧) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٣٩.

هذا الاهتمام بتنظيم الأسواق ازداد في زمن الأغالبة الذين أحدثوا تنظيماً جديد الأسواق القيروان وذلك لمواكبة حركة الازدهار التجاري التي شهدتها المدينة، فيذكر أن زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب أنشأ حوانيت جديدة للرهادنة باعة الأمتعة القديمة والخياطين والكتانيين، ونقل الناس من أسواقهم إليها وأخذوا بسكناها وعمارتها(١)، ومن المؤكد أن هذه الحوانيت الجديدة والتي عرفت لاحقاً بالمصادر باسم القيساريات أو القيسارية التي تشبه السوق المركزي الحديث كانت ملكاً الدولة التي تكلفت في بنائها وكانت على قدر عالي من التنظيم والانضباط بخلاف الأسواق العادية وأنها كانت مخصصة على ما يبدو لبيع الأثواب والمنسوجات الكتانية والحريرية(٢).

وإلى جانب أسواق القيروان كانت مدينة قابس تزخر بأسواقها في عصر الأغالبة، وهو ما أشار إليه الإدريسي بقوله وبقابس أسواق وعمارات وتجارات وبضاعات(٣) وكانت تقع الأسواق في ربض المدينة(٤) ويعرض فيها أصناف البضائع من الفواكه والزيت والزيتون والصوف والحرير والجلود التي تدبغ وتصدر إلى سائر البلاد(٥)، وكانت هذا المدينة تتميز عن القيروان بمختلف أصناف الفاكهة وبعرض المنسوجات الحريرية الرفيعة الشأن(٦)، وهذا يدل على وجود دعم من الامراء بهذا الأسواق والصناعات.

ويبدوا أن الأغالبة اهتموا ايضاً بأسواق مدينة صفاقس(٧)، حيث أشتهرت في عهدهم بكثرة أسواقها، وكان الزيت والزيتون من أهم السلع التجارية المعروضة بوفرة(٨)، كما حفلت تونس بكثرة أسواقه(٩)، وكان يعرض في أسواق تونس الخزف الجيد، فضلاً عن الفواكه،

(١) المالكي، رياض النفوس، ٢٨٠/١.
(٢) حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٢١٥.
(٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٢٧٩/١.
(٤) التجاني، رحلة التجاني، ص٨٧.
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٢.
(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٨٩/٤.
(٧) مدينة بإفريقية، بينها وبين قفصة ثلاثة أيام، وهي مدينة قديمة عامرة، لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها سور حجارة وعلى أبوابها صفائح حديد منيعة، وعلى أسوارها محارس للرباط، وشرب أهلها من المواجل، ويجلب إليها من قابس نفيس الفواكه، ويصاد بها من السمك ما يعظم خطره. ينظر: الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٦٥.
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٢؛ البغدادي، مراصد الاطلاع بأسماء الأمكنة والبقاع، ٧١٧/٢.
(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٦٢/٢.

حيث يذكر (بتونس الفواكه التي لا نظير لها كاللوز والرمان والتين والعنب، إلى جانب الثياب الحريرية)[١].

كذلك اشتهرت مدينة قفصة بأسواقها العامرة[٢]، في عصر حكم الأغالبة مما يدل على اهتمامهم، حيث كان يعرض فيها أنواعا مختلفة من المنتجات الزراعية من الفواكه كالتين والعنب والتفاح فضلاً عن شهرتها بالفستق الذي نال إعجاب ياقوت الحموي حيث يقول: (وهي أكثر بلاد إفريقية فستقاً ومنها يحمل إلى جميع نواحي إفريقية والأندلس وسجلماسة)[٣]، فضلاً عن ذلك اشتهرت أيضاً بمنسوجاتها الصوفية وصناعتها الخزفية والزجاجية[٤].

ووصل الاهتمام الأغلبي وفق ما يبدوا إلى مدينة سوسة حيث وصف أسواقها بأنها حسنة وفي هذا يقول ابن حوقل عنها: (أسواق حسنة وفنادق وحمامات، وضياع جمة ووجوه جمة ووجه من الجباية عزير وغلات واسعة)[٥]، وقد اشتهرت بالمنسوجات الفاخرة حيث كانت تعرض فيها الثياب السوسية الرفيعة[٦]، كما كان يعرض بأسواق سوسة الفواكه والتمر واللحوم السوسية الطيبة اللذيذة التي تميزت برخص أسعارها[٧]، وقد انتعشت الحياة الاقتصادية فيها، ربما كان ذلك بدعم الأغالبة، ويحدثنا عنها ابن حوقل بقوله: (أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح متوسطة وفيها رخص وخصب موصوف كذلك من السلع التجارية المعروضة بأسواقها أيضا القمح والشعير والغنم والصوف والماشية)[٨].

كما حفلت مدينة طرابلس بتطور الحياة الاقتصادية من خلال الأسواق الجامعة[٩]، فيقول عنها ابن حوقل: (صالحة الأسواق وكان لها في ربضها أسواق كثيرة، وكان يعرض في أسواق طرابلس الفواكه

(١) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ٣٤٠/٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٦١/٢؛ الزهري، الجغرافية، ص١٠٩.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٢٧٧/١-٢٧٨.

(٣) معجم البلدان، ٣٨٢/٣.

(٤) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٥٤.

(٥) صورة الأرض، ص٧٤-٧٥.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٨٢/٣.

(٧) البكري، المسالك والممالك، ٢٠٧/٢.

(٨) صورة الأرض، ص٧٧-٧٨.

(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٥/٤.

الطيبة اللذيذة كالخوخ والكمثرى فضلا عن الكحل الأسود والأبيض إلى جانب المنتجات الصوفية الراقية)[1].

ومن السياسات الاقتصادية التي تحقق نوعاً من الاعتدال من خلال محاربة الربا، حيث يبدوا أن الأغالبة دعموا القضاة في مواجهة هذا الظاهرة، فقد قام القاضي عبد الله بن طالب بمعارضة قوية لما رأى بعض التجار وأصحاب الأموال يتعاملون بالربا ويقرضون المحتاجين بالفائدة الأمر الذي أدى إلى انتشار الفقر والفساد، وتدهور الأحوال الاقتصادية ووقوع الظلم على الفقراء الذين يلجؤون مضطرين إلى الاقتراض بالفوائد مما زاد من سوء أوضاعهم، ومن ثم تصدى القاضي عبد الله بن طالب لهذه الفئة من التجار التي أفسدت الحياة الاقتصادية في الإمارة الأغلبية عامة، وفي مجتمع السوق خاصة، ولعل تدهور الأوضاع الاقتصادية كان السبب في تكليف وتفويض الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني للقاصي ابن طالب لمواجهة هذه الأزمة الاقتصادية بالقضاء على ظاهرة التعامل بالربا والفائدة، وفي هذا الصدد يبين لنا المالكي هذا الأمر بجلاء حيث يقول: (إن إبراهيم الثاني الأغلبي قد فوض إلى ابن طالب أمر النظر في الولاة والحياة والقصاص والعزل، كما أمر بقطع المنكر من القيروان)، فقام بالأمر أحسن قيام، وأجبر الصيارفة قبل البدء في ممارسة نشاطهم المالي على دراسة كتاب الصرف على أحد تلاميذ سحنون[2]، وهكذا فقد سلك ابن طالب مسلكين في مواجهة ظاهرة الربا:

أحدهما: مسلك قائم على الشدة والعقاب من خلال تطبيق القانون على من يتعامل بالربا.

و**ثانيهما:** مسلك تعليمي من خلال توضيح حقيقة النظام المالي في الإسلام الذي ينهى عن الربا.

كذلك فقد كانت بعض شرائح مجتمع الأغالبة من شدة الأزمات الاقتصادية تتدخل لدى الأمير الأغلبي لتولية أحد القضاة الذين يستبشرون به لورعه وتقواه حيث كان بمجرد ان يتولى يرفع الله عنهم الوباء والأزمات حسب اعتقادهم، وهو ما وقع مع القاضي عبد الله بن طالب الذي تولى القضاء مرتين وكانت ولايته بأمر من الأمير إبراهيم الثاني لما رأى ميل نفوس الناس له ومحبتهم له لعدله وسماحته وعقله وحسن سيرته وعلمه واستبشارهم بحسن أيامه لرخص السعر، وارتفاع الوباء أيامه[3]، وبناءاً على مشورة بعض الفقهاء الذين ذكر بعضهم للأمير بأحقية ابن طالب لهذا

(١) صورة الأرض، ص٧١.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ١/٤٧٦-٤٧٧.

(٣) عياض، تراجم أغلبية، ص٢١٠.

المنصب، وذلك لورعه وقيامه بمهمة صاحب الصلاة حق القيام، ومن ثم فقيامه بما هو أدنى من الصلاة أولى به[١]، وهكذا فقد كان للظروف الاقتصادية السيئة من سنة (٢٦٦-٢٧٩هـ/٨٨٠-٨٩٢م) وما ترتب عليها من غلاء وقحط بإفريقية في ذلك الوقت. نصيب وافر في تولي ابن طالب القضاء، فضلاً عن تدخل الناس وإلحاحهم على الأمير بتولية ابن طالب لاستبشارهم به، ومن ثم فقد أجاب الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي طلب الناس بتولية ابن طالب في هذا التوقيت كمحاولة تحقيق العدالة وتحقيق الواقع الاقتصادي[٢].

وربما دعم امراء الأغالبة العدل من خلال تشجيع فئات المجتمع الغنية لرفع البؤس عن بعض الأسر المحتاجة لا سيما مع ارتفاع الأسعار في وقت الأزمات ومن هذه الفئات فئة الفقراء، الذين كانوا يمثلون فئة ليست بالصغيرة في الولاية الأغلبية نتيجة لما كانت تعانيه البلاد من حروب متلاحقة أدت إلى سنوات من والغلاء الذي كان يتفاقم أوقات الجفاف، حيث كان أهل القرى ينزحون إلى المدن في سنوات القحط بحثا عن العمل[٣]، فهذا أبو خالد عبد الخالق[٤]، من سكان القرن بضواحي القيروان جاء إلى زوجته المريضة بلحم بقر وغنم مع خبز نقي من السوق، ولكنه عندما اتجه إلى المسجد شاهد رجلاً من أهل البادية وأثر البؤس عليه، ومعه أطفال وهو يقضم الشعير كما تقضم الدواب، فدفع بالطعام إلى الشيخ البدوي[٥].

ومن ملامح الاعتدال التي يمكن أن تشاهد في الحياة الاقتصادية بوضوح هو مشاركة كل الطبقات بالعمل الزراعي والصناعي والتجاري داخل السوق من دون تمييز لأحد وفق ما يبدو، إذ كان بعض صغار التجار في الأسواق كانوا من العلماء والفقهاء وكانت لهم حوانيت تبيع المنتجات المختلفة من الكتان والطعام[٦]، مثل الفقيه عبد الله بن فروخ الذي امتلك حانوتا بالسوق[٧]، كذلك ممن شارك في

(١) عياض، ترتيب المدارك، ٤٨٢/١.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ٤٧٦/١.

(٣) الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ١٩٤/١.

(٤) عبد الخالق بن عبد الله، يكنى أبو خالد، ويعرف بالقتاب، كان من طبقة المجتهدين في العبادة، وكان من أصحاب البهلول، كثير المعروف، قليل الهيبة للملوك. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٣٢٤/١.

(٥) أبو العرب، تاريخ علماء إفريقية، ص٢١٠.

(٦) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٣١.

(٧) المالكي، رياض النفوس، ١٨٧/١.

التجارة بالأسواق الفقيه عون بن يوسف الخزاعي[١]، الذي يقال أنه كان يبيع الكتان في حانوته[٢]، أيضاً شارك الأثرياء منهم في التجارة بالسوق مثل عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور[٣]، الذي كان يمتلك ألف دينار فتصدق بها حتى لم يبق منها إلا خمسة دنانير، فتاجر بها إلى أن عادت ألفا[٤].

كما شاركت فئة الزهاد والصوفية في العمل بالسوق ومن ذلك قيام الزاهد أبو عبد الرحيم المستجاب[٥]، الدعوة بالتجارة في سوق البزازين في القيروان[٦]، أما عامة الناس فتنوعت تجارتهم فمنهم من احترف صيد الأسماك وبيعها في الأسواق[٧]، حيث أبعدت أسواقهم عن طريق العامة لما تصدره من رائحة[٨]، وكان من جملة من عمل في الأسواق بعض العمال الذين تسمع عنهم من خلال المصادر، وكان بعضهم من جنسيات غير إفريقية كالرجل العراقي الذي ذكره أبو العرب تميم عند ذكره لسوق البزازين حيث ذكر أن رجلاً من أهل العراق عمل بهذا السوق[٩]، فضلاً عن عمل الرقيق في الحياة الاقتصادية فكانوا القوة المنتجة الأولى في شتى ضروب النشاط الاقتصادي داخل المدن الإفريقية زمن الأغالبة، وكان من جملة أعمالهم العمل في دكاكين التجارة وفيما تحتاج إليه القوافل التجارية من أعمال وحراسة حال دخولها إلى السوق وخروجها منه[١٠]، ناهيك عن العاملين في الزراعة والصناعة والتجارة من أهل الذمة، فقد مارسوا اليهود الحياة الاقتصادية في أغلب المدن الافريقية بحرية تامة، وكان عددهم كبيراً حتى أن وجد لهم سوق خاص في القيروان عرف بـ (سوق اليهود) وعمل عدد منهم بالصرافة،

(١) عون بن يوسف الخزاعي، يكنى أبو محمد، كان رجلاً صالحاً ثقة مأموناً، عرف عنه بتجارة الكتان في سوق القيروان. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٣٨٥/١.

(٢) عياض، تراجم أغلبية، ص١٣٨.

(٣) عبد الله بن أبي هاشم مسرور الفقيه، يكنى أبو محمد التجيبي، يعرف أيضاً بأبن الحجام، كان مشهوراً وأوصافه جميلة، وهو أحد الائمة، مهاب في نفسه لا يكاد أحد ينطق في مجلسه بغير صواب. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٤٢٢/٢.

(٤) الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٣٤٤/٢.

(٥) عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد، يكنى أبو محمد، ويعرف بعبد الرحيم المستجاب، وكان أول تاجراً في سوق البزازين في القيروان. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٤٢١/١.

(٦) المالكي، رياض النفوس، ٤٢١/١.

(٧) الاندلسي، أحكام السوق، ص١٢١.

(٨) ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ص٩٧.

(٩) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص١٢١.

(١٠) الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي – الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١١٥.

وبرعوا ايضاً بنسج الحرير وتطعيمه بالمعادن النفيسة[١]، كما عمل النصارى الذين استقروا في البلاد بعد الفتح الإسلامي في الزراعة في القرى التي كانوا يقطنون فيها قبل الفتح[٢]، كما عمل عدد من النصارى بالتجارة في القيروان وعرفت تجارتهم بـ (تجارة العطارة)[٣]، هذا التنوع في القوى العاملة في الحياة الاقتصادية يعكس سياسة الأغالبة في معاملة الجميع بتوازن وعدل، دون تمييز بين الطبقات المجتمع.

ولغرض انصاف الناس وتحقيق العدالة ومحاسبة المتلاعبين في الحياة الاقتصادية، أهتم الأغالبة كثيراً بوظيفة المحتسب[٤]، فقد أنشأت في إفريقية كنظام مستقل في عصر الأغالبة، وكان تقليد المحتسب في أول عهدهم من حق الأمراء، في حين كان دور القاضي يقتصر على ترشيح ذوى الكفاءة وتزكيتهم عند الأمراء[٥]، وظل الحال على هذا الأمر حتى تولى سحنون بن سعيد قضاء إفريقية (٢٣٤هـ-٢٤٠/٨٤٨-٨٥٢م) فباشر شؤون القضاء والحسبة معاً[٦]، وهو بذلك أول قضاة إفريقية في عهد الأغالبة الذين نظروا في الحسبة وشؤون الأسواق، ثم احتفظ سحنون بعد ذلك لنفسه بالقضاء وعين للحسبة أمناء أو محتسبين، حيث فصل الحسبة عن القضاء وأفردها بعمال مستقلين[٧]، وعين سحنون حبيب بن نصر[٨][٩]، كأول صاحب سوق في سنة (٢٣٦هـ/٨٩٧م)[١٠]، وقد أدخل سحنون نظاماً صارما للحسبة بإفريقية، إذ أرسل أمناء إلى البوادي

(١) الشرقي، الحياة الاقتصادية في عهد الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، ص٧٢-٧٣.

(٢) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص١٧.

(٣) المالكي، رياض النفوس، ٢٠٦/١؛ عياض، تراجم أغلبية، ص٢٤٧.

(٤) ترجع نشأة الحسبة إلى عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، والحسبة وظيفة دينية أساسها الامر بالمعروف إذا ظهر تركة والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وغرضها الإصلاح بين الناس الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣٤٩.

(٥) لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ص٤٢.

(٦) التميمي، تاريخ قضاة القيروان، ٢٦/٢؛ لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ص٤٠-٤١.

(٧) لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ص٤١-٤٢.

(٨) حبيب بن نصر بن سهل التميمي، يكنى أبا نصر، ولد سنة (٢٠١هـ/٨١٧م)، كان من أصحاب سحنون، توفى سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م). ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ٣٣٦/١.

(٩) المالكي، رياض النفوس، ٣٤٥/١ وما بعدها.

(١٠) الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ١٩٨/٢-١٩٩.

ليراقبوا صناعاتهم وتجارتهم وسير حياتهم[١]، وقد حرص قضاة إفريقية في عهد الأغالبة على اختيار المحتسبين ممن يتصفون بالدين[٢]، وأن دل على ذلك من شيء فهو يدل على أن القاضي عبد الله بن طالب ولى محمد عبد الله بن الوليد على أسواق القيروان وموازينها وكان فقيها متديناً وثقة[٣]، وقد عرف المحتسب في إفريقية باسم والي السوق او صاحب السوق[٤]، وترجع هذه التسمية إلى عمله، حيث إن أغلب أعمال متولي الحسبة تتعلق بإشرافه على السوق لمنع الاحتكار والغش والتدليس ومتابعة أصحاب الحرف، ومراقبة الأسواق وما فيها من تجارات وصناعات، ومنع مضايقة الناس في الطرقات ومراقبة الغش والتدليس في سائر الأمور[٥].

لقد كان المحتسب يبدأ جولته في الأسواق بتفقد نظامها من حيث ترتيبها ومواضعها المخصصة، ويمنع بروز الحوانيت حتى لا يعوق ذلك نظام المرور، ويطلب من أعوانه الانتشار بالأسواق المراقبة أصحاب التجارات والكشف عن موازينهم ومكاييلهم وأن يختبرونها إذا استرابوا فيها بما معهم من المكاييل والموازين المعتمدة[٦]، كما طارد بحزم منكرات الأسواق مثل بيع الخمور وسائر المبيعات المغشوشة، وتصدى الظاهرة الربا مثلما فعل عبد الله بن أبي طالب قاضي القيروان الذي منع من التعامل بها. كما حارب الغش والتلاعب بالأسعار في الأسواق، وتشدد في معامله أهل الذمة لمزاولتهم بعض هذه المنكرات ونحوها، وأجبر الصيارفة قبل البدء في ممارسة نشاطهم المالي على دراسة كتاب الصرف على أحد تلاميذ سحنون[٧]، وجعل على كل صنعة عريفاً اختاره المحتسب من بين وجوه تلك الصنعة[٨].

ولم تخضع أسواق الحرفيين بإفريقية لمنع الغش والتدليس فحسب، بل راقب المحتسب آداب الصناع وسلوكهم ونهاهم عن المنكر بمختلف أنواعه، ومن ذلك أن سوق الغزل كان يختلط فيه الرجال بالنساء، وكان بعض عديمي الخلق من السماسرة يحدثون النساء بما لا يحل لهم، ومن ثم كان على المحتسب

(١) عياض، تراجم أغلبية، ص١٠٤.
(٢) المصدر نفسة ، ص٣٧٧-٣٧٨.
(٣) المصدر نفسة ، ص٣١٧.
(٤) الاندلسي، أحكام السوق، ص٤٧-٤٩.
(٥) فرغلي، تونس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة الأغالبة، ص٢٢٠.
(٦) مبارك، التطور الاقتصادي لولاية إفريقية في عهد الأغالبة، ص١٤٢؛ لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ص٣٥.
(٧) المالكي، رياض النفوس، ١/٤٧٦-٤٧٧.
(٨) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١٢.

والأمناء أن يختاروا ثقاة السماسرة ويمنعوا كل من تحوم حوله الشبهات من الدخول إلى الأسواق المختلطة، ويخصصوا للنساء موضعاً مستتراً يقضين فيه حوائجهن بحيث لا يخالطهن من هو مشكوك فيه من الرجال[١]، كما منع المحتسب أي صانع يفتح حانوتاً في شارع قبالة دار رجل، وكان أحمد بن أبي سليمان داود[٢] (ت٢٩١هـ/٩٠٤م) قد أفتى بذلك، الأمر الذي جعل المحتسب يشدد على ذلك كي لا يضايقوا السكان[٣].

ونظراً لخطورة منصب المحتسب أو والي السوق أو صاحب السوق فقد خصص الفقهاء كتابات خاصة بالحسبة والمحتسبين وصاغوا فيها ما يجب على المحتسب أن يراعيه حرصاً على ازدهار مجتمع السوق ومنع الأزمات فيه التي بدورها تتسبب في أزمات اقتصادية للدولة بكاملها، فابن الأخوة يحدد للمحتسب ما يجب أن يقوم به بقوله: (أن يكون ملازماً للأسواق، يركب في كل وقت، ويدور على السوقة والباعة ويكشف الدكاكين والطرقات ويتفقد الموازين والأرطال، ويتفقد معايشهم وأطعمتهم وما يغشونه)[٤]، وهكذا فقد حدد ابن الأخوة للمحتسب حدود عمله الخاصة بالإشراف على المخالفات الخاصة بالأوزان والمقاييس والأسواق والمصانع وأنواع الطعام والبضائع المصنوعة وأصناف الحرف[٥].

أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال سياسة الاعتدال الحياة الاقتصادية:

١. أن سياسة المعتدلة التي اتبعها الأغالبة في الحياة الاقتصادية، تُعد جزءًا من سياستهم العادلة والواعية تجاه إدارة الدولة وتنميتها، فبدلاً من التركيز على مدينة معينة فقط، عمل الأغالبة على توزيع التنمية الاقتصادية بشكل متوازن بين مختلف المدن.

٢. على الرغم من جهود الولاة السابقين في تنظيم وتطويرها الحياة الاقتصادية، إلا أن عهد الأغالبة شهد ازدهاراً وتطوراً كبيراً في هذا المجال، حيث أن سياسة الأغالبة في تطوير الحياة الاقتصادية كانت متزنة وعادلة، استهدفت تحقيق فوائد عامة للسكان، تضمنت من خلالها تخفيض الضرائب على الحوانيت،

(١) الونشريسي، المعيار المعرب، ٥٠٠/٢.

(٢) أحمد بن أبي سليمان دواد الصواف الربعي الفقيه، ولد في إفريقية سنة (٢٠٤هـ/٨٢٠م) وكان حكيماً ينطق في بالحكمة، توفى سنة (٢٩١هـ/٩٠٤م). ينظر: المالكي، رياض النفوس، ٥٠٥/١.

(٣) الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ٢١٣/٢.

(٤) معالم القربة في طلب الحسبة، ص٢٦.

(٥) مبارك، التطور الاقتصادي لولاية إفريقية في عهد الأغالبة، ص١٤٢.

مما أسهم هذ الامر في تشجيع التجارة وزيادة النشاط الاقتصادي، كما اهتمت بتقليل الزخم والازدحام الذي كان يعيق حركة التجارة، مما ساعد على تحسين الأداء الاقتصادي ورضا المواطنين، حيث اعتبرت هذه السياسات دليلاً على فهم الأغالبة لأهمية الأسواق كمحرك للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، مما يعكس توجهًا معتدلاً يسعى لخدمة المجتمع بشكل عام.

٣ . أن سياسة الاعتدال التي اتبعها الأغالبة ساهمت بشكل كبير في بناء مجتمع متجانس ومتعدد الثقافات، مما جعل الأسواق الأغلبية مكانًا مزدهرًا وعادلًا لجميع الأفراد، حيث كان الجميع يتمتع بفرص متساوية في العمل بغض النظر عن العرق أو الجنس، فضلاً عن التنوع في القوى العاملة أدى إلى ازدهار الأنشطة التجارية والصناعية والحرفية، وكذلك تبادل الخبرات بين الأفراد من خلفيات مختلفة ساهم في تحسين جودة المنتجات والخدمات.

٤. بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الأمراء في تنظيم الحياة الاقتصادية وتطويرها، إلا أن القضاء كان هو الجهة التي ضمنت تطبيق القوانين والعدالة في هذه الأسواق، حيث كانوا يشرفون على عمليات البيع والشراء للتأكد من عدم وجود غش أو تلاعب في الأوزان والأسعار، وكانوا أيضاً يفصلون في النزاعات بين التجار أو بين التجار والزبائن، مما ساعد في حفظ الحقوق وتحقيق العدالة، فضلاً عن مراقبتهم جودة السلع والأسعار، وضمان عدم استغلال الناس، خصوصاً في أوقات الأزمات.

الخاتمـــــــة

الخاتمة

توصل البحث في سياسة الاعتدال في تاريخ دولة الأغالبة إلى نتائج عديدة أبرزها:

١. تضمن مفهوم الاعتدال معاني متعددة لها أهمية في تحقيق الاستقرار والتوازن في المجتمع، ومن بين تلك المفاهيم، العدل والإنصاف والوسطية والاتزان والمساواة وغيرها، وان هذا المفاهيم تساهم بشكل كبير في تحقيق التوازن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي، وذلك عندما تتبنى الأنظمة السياسية هذه المبادئ، حتى لو كان ذلك بشكل نسبي، فإنها تعزز الاستقرار.

٢ . قدم القرآن الكريم سياسية الاعتدال كمبدأ أساسي في الحياة الإسلامية، ويشمل ذلك جوانب متعددة من الحياة الفردية والاجتماعية، حيث يدعو إلى الحوار والمفاوضات السلمية لحل الخلافات، مما يسهم في تعزيز السلم الأهلي، ويدعو ايضاً إلى المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين، ويشجع على التعايش السلمي والتسامح بين الجميع، مما يعزز الوحدة ويقلل من التفرقة والتمييز، فضلاً عن أن القرآن الكريم يحذر من الفساد في الأرض ويحث على الالتزام بالقسط والإنصاف في جميع المعاملات، ويؤكد على ضرورة حكم الناس بالحق، ويشدد على عدم الظلم أو التعسف في اتخاذ القرارات، بغض النظر عن مواقف الأطراف المعنية.

٣. أن العديد من الأحاديث النبوية الشريفة أشارت إلى الاعتدال في الرسالة الاسلامية، فالإسلام يعتبر دين السماحة واليسر والعدل، كما انه ينهي عن التعمق والتشدد ويأمر بالقصد والسداد، ويعزز الاخذ بالوسط في جميع الأمور، كما أن الأحاديث النبوية الشريفة تعزز مفهوم الاخوة والرحمة بين المسلمين وغيرهم، وهذا أسهم في بناء مجتمع متسامح ومتعاون يدعم بعضه بعض، ويعمل على تحقيق الاعتدال والرفاهية للجميع.

٤ . أظهرت الدراسة الجذور التاريخية للاعتدال في الإسلام، حيث كانت عميقة ومتأصلة في زمن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، الذي دعا إلى الاعتدال في جميع جوانب الحياة، وقد استمرت هذه السياسة في عهده وعهد بعض الخلفاء الراشدين، مثل الامام علي (عليه السلام) والامام الحسن (عليه السلام)، أما عصر الخلافة الاموية فقد كان اغلب خلفائها غير معتدلين، وكانت ابرز قرارتهم السياسة قوية اتجاه العامة والخاصة، إلا أن بعض الخلفاء منهم سجلت لهم مواقف يمكن القول عنها أنها معتدلة، مثل الخليفة عمر بن عبد العزيز، أما عصر الخلافة العباسية فهي لا تختلف في قراراتها عن الخلافة

الاموية، بل كانت تشبهها في اغلب الإجراءات والقرارات التي اتخذتها اتجاه المعارضين لحكمهم، إلا أن هناك مواقف معتدلة حسبت لصالح بعض الخلفاء، مثل الخليفة المهدي العباسي.

٥ . لعبت الاضطرابات السياسية والمذهبية دورها في تحقيق سياسة الاعتدال، نتيجة للسياسات القمعية التي اتبعها الولاة والقادة الذين كانت ترسلهم الخلافة العباسية، ولهذه السياسات أثرها في تدهور الأوضاع في البلاد، مما دفع أهل إفريقية إلى مقاومة هؤلاء الولاة والمطالبة بتغييرهم، وكان هناك توجه عام نحو والي عادل يحترم حقوقهم ويعمل على تحقيق الاستقرار والاعتدال.

٦ . أظهرت الدراسة أن السياسة الداخلية في عهد الأغالبة امتازت بتنوع استراتيجيات التعامل مع الثورات والتمردات، فقد سعى بعض الأمراء إلى استعادة السلام من خلال تقديم تنازلات أو حلول وسط، كان هذا النهج يعبر عن رغبتهم في تجنب إراقة الدماء ومحاولة الحفاظ على استقرار الدولة، وعلى الرغم من جهود امراء الأغالبة وسياستهم الوسطية من خلال وضع الحلول السلمية لبعض الثورات والعصيان، إلا أن هؤلاء الثوار أبدوا إصراراً على مواصلة مقاومتهم ضد الأغالبة، كان هدفهم الاساسي هو التمرد على النظام القائم وتغيير أسس الحكم، مما استدعى ضرورة اتخاذ الأغالبة تدابير حاسمة للتصدي لهذه التمردات، وذلك حفاظاً على استقرار وأمن الدولة، ومع ذلك، لا يمكن القول إن جميع الأمراء اتبعوا سياسة متوازنة، فقد استخدم بعضهم القوة والحزم في التعامل مع الحركات الثورية، متجاهلين الفرص المتاحة للحلول السلمية.

٧ . اتخاذ الفقهاء والقضاة مواقفاً سياسية معتدلة، حيث امتنعوا عن تأييد الحركات الثورية التي كانت تسعى إلى إسقاط الدولة، وفي نفس الوقت لم يقفوا مع الدولة، وعد ذلك جهداً للحفاظ على استقرار الدولة وحمايتها من التداعيات السلبية للصراعات الداخلية، فقد برز دور الفقهاء والقضاة كوسطاء في هذه الصراعات، حيث اتخذوا موقفاً أستباقياً تجاه الثوار، وعملوا على منعهم من اتخاذ إجراءات عدائية، ودعوا إلى حل الخلافات مع السلطة الحاكمة بوسائل سلمية، بعيداً عن التدخل المباشر في الشؤون السياسية.

٨ . أظهرت الدارسة رغبة الأغالبة في إقامة علاقات معتدلة ووطيدة مع العديد من الدول، كان الهدف من هذه العلاقات هو الحفاظ على السلم الخارجي، مما يعكس حرصهم على تحقيق الاستقرار وتعزيز التعاون السياسي في كل الأصعدة، فقد حظيت العلاقات الاقتصادية التي أقامها معظم أمراء الأغالبة باهتمام كبير، ويتجلى ذلك من خلال حركة التبادل التجاري النشطة التي شهدتها تلك الفترة بين الدولة الأغلبية وهذه الدول، وقد ساهمت هذه العلاقات في تعزيز الروابط الاقتصادية بينهم، مما أثرى التجربة

الحضارية في المنطقة، وأما على الصعيد الثقافي، تعكس سياسة الاعتدال أهمية التبادل العلمي والثقافي بين الدول، حيث شهدت فترات تاريخية عديدة رحلات علمية بين الدولة الأغلبية ومختلف الدول، ناهيك عن العلاقات في الجوانب الفنية والمعمارية (الحضارية).

٩ .يتضح الاعتدال من خلال ما ضمت إفريقية في عهد الأغالبة من مجموعات متنوعة من الاجناس والاعراق، شملت هذه الفئات العرب، والبربر، والافارقة، والروم، وغيرهم، ومن خلال ذلك اتبع امراء الأغالبة سياسة منفتحة وتسامحيه تجاه مختلف الفئات، حيث سمحوا للجميع بالعيش والازدهار، دون تمييز على أساس العرق أو الدين، وعُومل الجميع بشكل متساوي في معظم جوانب الحياة، سواء في المجالات الاقتصادية أو الاجتماعية أو القضائية أو التعلمية، وفي عهد الأغالبة كانت هناك حالة من الانسجام والتلاحم الاجتماعي بين الفئات المختلفة، وهنا ظهرت قدرة الأغالبة على توحيد الناس تحت راية واحدة، مما ساهم في استقرار المجتمع ونموه.

١٠. أظهر البحث التنوع في إفريقية خلال التنوع في الديانات والمذاهب، حيث سمح للناس في تلك الحقبة بممارسة معتقداتهم الدينية والعلمية، فضلاً عن تبادل الافكار والنقاشات العلمية، ولم يتدخل امراء الأغالبة في شؤون الديانات والمذاهب، ولم يمنعوا انتشار أفكارهم، بل العكس، فقد شجعت الدولة على التعدد الديني ودعم التنوع الفكري، ويظهر هذا دليل على الاعتدال الذي اتسمت به الدولة تجاه التنوع الديني والفكري.

١١. اضطلع الفقهاء والقضاة، بدور بارز في توجيه حكام الأغالبة نحو أهمية الاهتمام بشؤون المجتمع، وتحقيق العدالة من خلال تعزيز الوعي بأهمية مساعدة المحتاجين وتقديم الصدقات لأهالي الكور والمناطق الفقيرة، كما سعى الفقهاء والقضاة إلى المطالبة باسترجاع حقوق الأفراد التي تم انتزاعها قسراً، ومحاسبة أولئك الذين يرتكبون جرائم القتل بغير حق، سواء كانوا من الولاة أو الحكام أو من عامة الناس، الامر الذي أسهم في الاستقرار في المجتمع.

١٢. أظهرت الدراسة أن السياسة التي اتبعها الأغالبة ساهمت بشكل كبير في بناء مجتمع متجانس ومتعدد، مما جعل الحياة الاقتصادية مكانًا مزدهرًا وعادلًا لجميع الأفراد، حيث كان الجميع يتمتع بفرص متساوية في العمل بغض النظر عن العرق أو الجنس، ناهيك عن الفوائد عامة للسكان، والتي ضمنت من خلالها تخفيض الضرائب على الحوانيت، كما اهتمت بتقليل الزخم والازدحام الذي كان يعيق حركة التجارة، مما ساعد هذا الامر تحسين الأداء الاقتصادي ورضا المواطنين، حيث اعتبرت هذه السياسات دليلاً على فهم الأغالبة لأهمية الأسواق كمحرك للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا الامر أظهر توجهاً معتدلاً يسعى لخدمة المجتمع بشكل عام.

الملاحـــــق

الملحق رقم (١)

جدول أمراء الأغالبة وفترة حكمهم[١]

١ . إبراهيم بن الأغلب بن سالم	١٨٤ ـ ١٩٦هـ / ٨٠٠ ـ ٨١٢م
٢ . أبو العباس عبدالله الأول بن إبراهيم	١٩٦ ـ ٢٠١هـ / ٨١٢ ـ ٨١٧م
٣ . أبو محمد زيادة الله الأول بن إبراهيم	٢٠١ ـ ٢٢٣هـ / ٨١٧ ـ ٨٣٨م
٤ . أبو عقال الأغلب بن إبراهيم	٢٢٣ ـ ٢٢٦هـ / ٨٣٨ ـ ٨٤١م
٥ . أبو العباس محمد الأول بن الاغلب بن إبراهيم	٢٢٦ ـ ٢٤٢هـ / ٨٤١ ـ ٨٥٦م
٦ . أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب	٢٤٢ ـ ٢٤٩هـ / ٨٥٦ ـ ٨٦٣م
٧ . زيادة الله الثاني بن أحمد بن محمد بن الأغلب	٢٤٩ ـ ٢٥٠هـ / ٨٦٣ ـ ٨٦٤م
٨ . أبو الغرانيق محمد الثاني بن أحمد بن محمد بن الأغلب	٢٥٠ ـ ٢٦١هـ / ٨٦٤ ـ ٨٧٥م
٩ . إبراهيم الثاني بن محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب	٢٦١ ـ ٢٨٩هـ / ٨٧٥ ـ ٩٠٢م
١٠ . أبو العباس عبد الله الثاني بن إبراهيم الثاني بن محمد بن أحمد	٢٨٩ ـ ٢٩٠هـ / ٩٠٢ ـ ٩٠٣م
١١ . أبو مضر زيادة الله الثالث بن عبد الله الثاني بن إبراهيم الثاني	٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ / ٩٠٣ ـ ٩٠٩م

(١) ينظر: كلثوم، الحياة الثقافية بالقيروان عهد الأغالبة، ص١٠٥.

الملحق رقم (٢)

خريطة دولة الأغالبة[١]

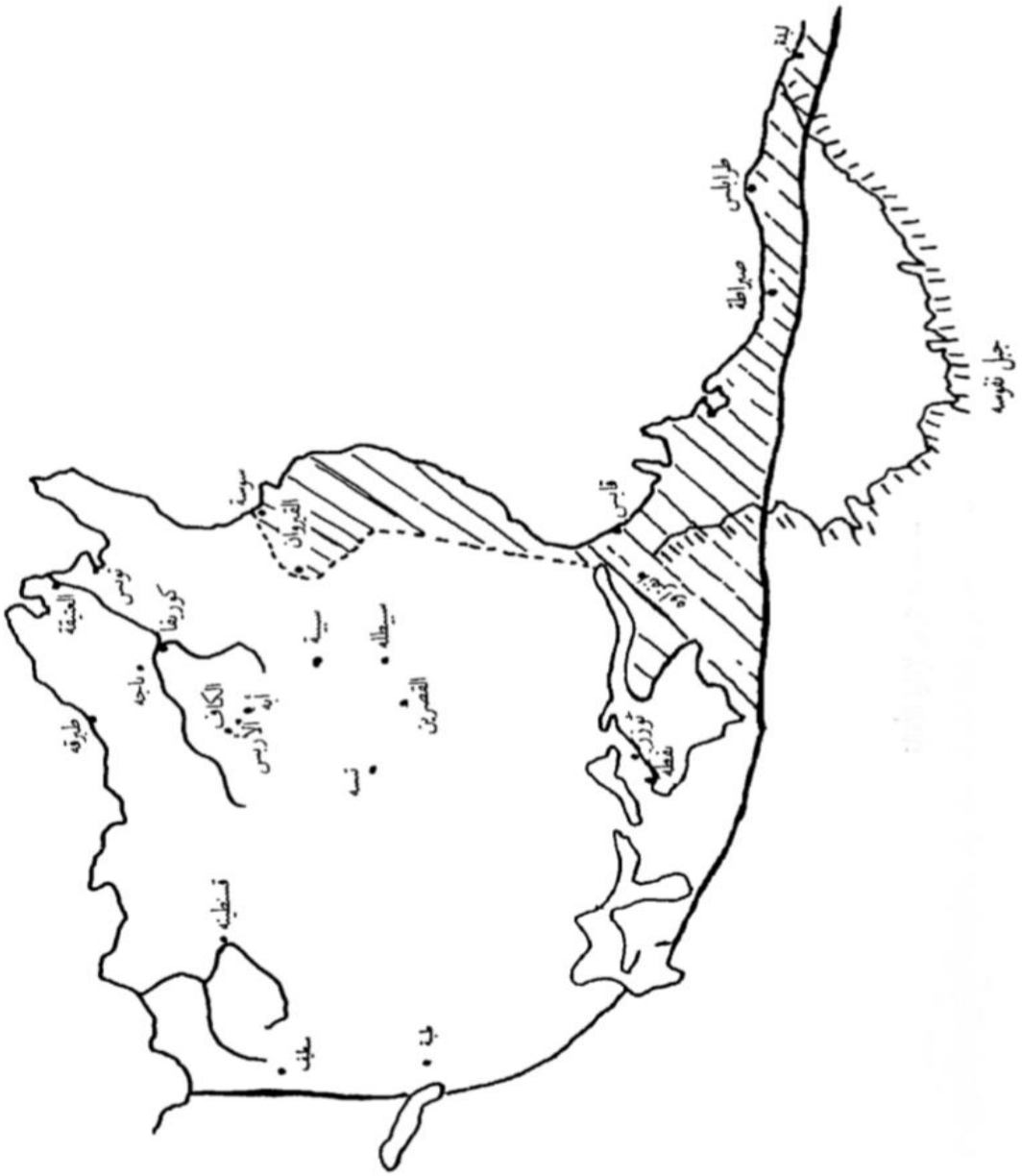

الحد التقريبي لحدود دولة الأغالبة

(١) ينظر: الطالبي، الدولة الأغلبية – التاريخ السياسي، ص٢٢٠.

قائمة المصادر والمراجع الحديثة

قائمة المصادر والمراجع الحديثة

*** القرآن الكريم.**

اولاً- المصادر:

*** ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨-١٢٦٠هـ):**

١. التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت. (د. ط)، ١٩٩٥م.

٢. الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

*** ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠-١٢٣٣هـ):**

٣. الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

*** الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م):**

٤. أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عيلان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

*** ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م):**

٥. معالم القربة في طلب الحسبة، تح: محمد محمود شعبان وصديق أحمد مطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، ١٩٧٦م.

*** الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م):**

٦. صفة العرب، مطبعة بريل، ليدن، (د. ط)، ١٩٦٤م.

٧. نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٢م.

*** ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأندلسي (ت٨٩٦هـ/١٤٩١م):**

٨ . بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، وزارة الاعلام، العراق، ط١، (د. ت).

*** الأصبهاني، عبد الله بن أفندي بن عيسى (ت١١٣٠هـ/١٧١٨م):**

٩ . رياض العلماء وحياض الفضلاء، تح: أحمد الحسيني، مطبعة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، (د. ط)، ١٩٨٣م.

*** الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):**

١٠ . المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال، دار القلم، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.

*** الأندلسي، أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني (ت٢٨٩هـ/٩٠١م):**

١١. أحكام السوق، تح: محمود علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٤م.

*** البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م):**

١٢ . شرح نهج البلاغة، الحوزة العلمية، قم، إيران، ط١، (د. ت).

*** البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م):**

١٣ . صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

*** البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م):**

١٤ . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، ١٩٥٤م.

*** البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م):**

١٥ . الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

*** البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت٥١٦هـ/١١٢٣م):**

١٦ . شرح السنة، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

*** البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):**

١٧ . المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٨. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ط)، ١٩٦٨م.

*** البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):**

١٩ . أنساب الأشراف: تح: سهيل زكار وآخرون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٠ . فتوح البلدان، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ط، ١٩٨٨م)

*** البلوي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير المديني (ت٣٣٠هـ/٩٤١م):**

٢١ . سيرة أحمد بن طولون، تح: محمد كرد علي، (المكتبة العربية، دمشق، د ط، ١٩٣٩م)

*** البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م):**

٢٢ . إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تح: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

*** البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م):**

٢٣ . دلائل النبوة، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.

٢٤ . السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.

٢٥ . شعب الايمان، تح: عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.

*** التجاني، عبد الله بن محمد بن أحمد (ت١٢٣٠هـ/١٨١٥م):**

٢٦ . رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د. ط)، ١٩٨٠م.

*** الترمذي، أبو موسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):**

٢٧ . سنن الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥م.

*** ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):**

٢٨ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د. ط)، (د. ت).

*** التنوخي، أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م):**

٢٩ . الفرج بعد الشدة، تح: عبو الشالجي، دار صادر، بيروت، (د. ط)، ١٩٧٨م.

*** الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م):**

٣٠ . تهذيب الأخلاق، تح: إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٩٨٩م.

*** الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت٨١٦هـ/١٤١٣م):**

٣١ . التعريفات، تح: إبراهيم الايباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

*** ابن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م):**

٣٢ . مسند ابن الجعد، تح: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

*** ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م):**

٣٣ . سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٣٤ . صفة الصفوة، تح: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٠م.

٣٥ . المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

*** ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م):**

٣٦ . صحيح ابن حبان، تح: شعيب الارناؤوط، دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

*** ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م):**

٣٧ . تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٨م.

*** الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي بن محمد (ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م):**

٣٨ . وسائل الشيعة، تح: الشيخ محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

*** ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م):**

٣٩ . جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

*** الحكري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري (ت٧٦٢هـ/١٣٦١م):**

٤٠ . إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

*** الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م):**

٤١ . جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح: بشار عواد وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

*** الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م):**

٤٢ . الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

*** ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م):**

٤٣ . صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، (د. ط)، ١٩٩٢م.

*** ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م):**

٤٤ . المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، (د. ط)، ١٨٨٩م.

*** ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح (ت٣٣١هـ/٩٢٣م):**

٤٥. صـــحيح ابن خزيمة، تح: محمد مصـــطفى الأعظمي، المكتب الإســـلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.

*** الخشني، محمد بن حارث بن أسد (٣٦١هـ/٩٧١م):**

٤٦ . طبقات علماء إفريقية، تح: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

*** الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٢م):**

٤٧ . المتفق والمفترق، تحقيق، محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.

*** ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):**

٤٨ . العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٤٩ . المقدمة، دار القلم، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

*** ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد الإربلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):**

٥٠ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، د ط، ١٩٠٠ م)

*** أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني (ت٢٧٥هـ/٨٨٩ م):**

٥١ . سنن أبي دواد، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

*** الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م):**

٥٢ . معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج١، تح: إبراهيم شبوح، مكتبة خانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.

٥٣ . معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج٢، تح: محمد الاحمدي أبو النور وآخرون، مكتبة خانجي، القاهرة، مكتبة العتيقة، تونس، (د. ط)، (د. ت).

٥٤ . معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج٣، تح: محمد ماضور، مكتبة العتيق، تونس، (د. ط)، (د. ت).

*** الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):**

٥٥ . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٥٦ . سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

*** ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٣م):**

٥٧ . جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ٢٠٠١م.

*** الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م):**

٥٨ . مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.

*** الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الاصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م):**

٥٩ . تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٣م.

*** الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م):**

٦٠ . تاريخ إفريقية والمغرب، تح: المنجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.

*** الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):**

٦١ . تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي وآخرون، دار الهداية، مصر، (د. ط)، (د. ت).

*** ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م):**

٦٢ . الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، (د. ط)، ١٩٧٢م.

*** أبي زكريا، يحيى بن أبي بكر بن سعيد الوارجلاني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م):**

٦٣ . كتاب سير الائمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ط)، ١٩٨٤م.

*** الزهري، أبي عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت٥٤٨هـ/١١٥٤م):**

٦٤ . كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

*** سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزاوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م):**

٦٥ . مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح: محمد بركات، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ٢٠١٣م.

*** ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (٢٣٠هـ/٧٨٥م):**

٦٦ . الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

*** السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):**

٦٧ . تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٤م.

*** الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م):**

٦٨ . الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

*** الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القريشي (ت٢٠٤هـ/٨٢٠م):**

٦٩ . مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، ٢٠٠٠م.

*** الشافعي، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي (ت١١٢٧هـ/١٧١٥م):**

٧٠ . كوكب الوهاج في شرح صحيح مسلم، مر: هاشم محمد علي مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

*** الشافعي، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م):**

٧١ . قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تح: بو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٨م.

*** الشماخي، أحمد بن ابي عثمان بن سعيد بن عبد الواحد (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م):**

٧٢ . السير، تح: احمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، (د. ط)، ١٩٨٧م.

*** الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م):**

٧٣ . مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

*** ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (ت٢٣٥هـ/٨٥٠م):**

٧٤ . مسند بن أبي شيبة، تح: عادل بن يوسف العزازي وآخرون، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

*** الصابي، هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الحراني (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م):**

٧٥ . رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

*** الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩١م):**

٧٦ . الخصال، تح: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، (د. ط)، ١٩٦٩م.

*** الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م):**

٧٧ . الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (د. ط)، ٢٠٠٠م.

*** الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي (ت٣٦٠هـ/٩٧١م):**

٧٨ . المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، (د. ت).

*** الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م):**

٧٩ . مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

*** الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠ هـ/٩٢٣م):**

٨٠ . تاريخ الرسل والملوك: دار التراث، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

٨١ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

*** الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م):**

٨٢ . الأمالي، دار الثقافة، قم، ط١، ١٩٩٣م.

٨٣ . التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٧٩٤م.

*** ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م):**

٨٤ . اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

*** ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م):**

٨٥ . الاستذكار، تح: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

*** ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/٨٧١م):**

٨٦ . فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦١م.

*** ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م):**

٨٧ . العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

*** ابن عبد الرؤوف، احمد بن محمد (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م):**

٨٨ . ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، (د. ط)، ١٩٥٥م.

*** ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م):**

٨٩ . زبدة الحلب في تاريخ حلب، ض: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

*** ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م):**

٩٠ . البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

*** أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي الإفريقي (ت٣٣٣هـ/٩٤٥م):**

٩١ . طبقات علماء إفريقية وتونس، تح: علي الشابي وآخرون، الدار التونسية، تونس، (د. ط)، ١٩٦٨م.

*** ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٦م):**

٩٢ . تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، (د. ط)، ١٩٩٥م.

٩٣ . ترجمة الامام الحسن – جزء من تاريخ دمشق، تح: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

*** العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي الصديقي (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م):**

٩٤ . عون المعبود شرح سنن أبي دواد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

*** عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م):**

٩٥ . تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، (د. ط)، ١٩٦٨م.

٩٦ . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٩٧ . مشارق الأنوار على صحاح الأثار، دار التراث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

*** ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م):**

٩٨ . معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٩٧٩م.

*** الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت١٧٠هـ/٧٨٦م):**

٩٩ . العين، تح: مهدي المخزومي وآخرون، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

*** أبو الفرج الاصبهاني، علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م):**

١٠٠ . مقاتل الطالبيين، تح: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

*** ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت٧٩٩هـ/١٣٩٧م):**

١٠١ . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د. ط)، ١٩٧٢م.

*** ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م):**

١٠٢ . تاريخ علماء الاندلس، تح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

*** الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م):**

١٠٣ . المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

*** ابن الفقيه، أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م):**

١٠٤ . مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، (د. ط)، ١٨٨٥م.

*** الفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م):**

١٠٥ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

*** القاري، أبو الحسن علي بن سلطان محمد الملا الهروي (ت١٠١٤هـ/١٦٠٦م):**

١٠٦ . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

*** القرماني، احمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م):**

١٠٧ . أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: فهمي سعد، أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

*** القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م):**

١٠٨ . آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

*** القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م):**

١٠٩. مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

*** القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):**

١١٠ . صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الاميرية، القاهرة، (د. ط)، ١٩١٥م.

١١١ . مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٥م.

*** القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م):**

١١٢ . الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تح: محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

*** ابن القيسراني، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي (ت٥٠٧هـ/١١١٣م):**

١١٣ . الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، تح: دي يونج، مطبعة ليدن، بريل، (د. ط)، ١٨٦٥م.

*** ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م):**

١١٤ . زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٩٩٤م.

١١٥ . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

*** ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م):**

١١٦ . البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

١١٧ . تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

*** الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م):**

١١٨ . الولاة والقضاة، تح: محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

*** ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ/٨٨٧م):**

١١٩. ســـنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م.

*** مالك بن أنس، أبو عبد الله بن مالك بن أبي عامر الأصبحي (ت١٧٩هـ/٧٩٥م):**

١٢٠ . الموطأ، تع: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٥م.

*** الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م):**

١٢١ . الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

*** المالكي، أبو البقاء بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر (ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م):**

١٢٢ . الشامل في فروع المالكية، تح: حامد عبد الله المحلاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

*** المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م):**

١٢٣ . رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح: بشير بكوش، مر: محمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

*** المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين القادري (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م):**

١٢٤ . كنز العمال، تح: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

*** المجلسي، أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود (ت١١١١هـ/١٦٩٩م):**

١٢٥ . بحار الأنوار، تح: محمد الباقر البهبودي وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

*** مجهول:**

١٢٦ . الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، الدار المغربية، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.

*** مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م):**

١٢٧ . تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم امامي، مكتبة سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م.

*** المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن الحنفي الشيرازي (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م):**

١٢٨ . المفاتيح في شرح المصابيح، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.

*** المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):**

١٢٩ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م.

*** المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):**

١٣٠ . إمتاع الأسماع، تح: محمد بن عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

*** المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م):**

١٣١ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

*** المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت١٠٣١هـ/١٦٢٢م):**

١٣٢ . التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

١٣٣ . فيض القدير الشرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٩٣٧م.

*** ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الافريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م):**

١٣٤ . لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

*** النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م):**

١٣٥ . صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

*** النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م):**

١٣٦ . غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

*** النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٨م):**

١٣٧ . المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

*** النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م):**

١٣٨ . نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

*** ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م):**

١٣٩ . السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط٢، ١٩٥٥م.

*** الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م):**

١٤٠ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (د. ط)، ١٩٩٤م.

*** الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت٤٦٨/١٠٧٦م):**

١٤١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

*** الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م):**

١٤٢ . الرّدة، تح: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

*** ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):**

١٤٣ . تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

*** الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد (ت٩١٤هـ/١٥٠٩م):**

١٤٤ . المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب، تح: زكريا عميرات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، (د. ط)، ١٩٨١م.

*** ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

١٤٥ . معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٤٦ . معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

*** اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م):**

١٤٧ . البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٤٨ . تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د. ط)، ١٩٦٠م.

*** أبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت١٨٢هـ/٧٩٨م):**

١٤٩ . الخراج، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، ١٩٧٩م.

ثانياً- المراجع الحديثة :

*** إسماعيل، محمود:**

١٥٠ . الاغالبة – سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.

١٥١ . الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٨٥م.

* **الأشقر، عمر سلمان:**

١٥٢ . بصائر تربوية، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٩٩٢م.

* **أبو الأرقم: محمد بن رزق:**

١٥٣ . التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ٢٠٠٥م.

* **الباروني، سليمان باشا:**

١٥٤ . الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، مر: محمد علي الصليبي، دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٥م.

* **باشا، حسن:**

١٥٥ . مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.

* **بدوي، عبد الرحمن:**

١٥٦ . مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

* **البكر، خالد عبد الكريم:**

١٥٧ . النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة (١٣٨-٣١٦هـ)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط١، ١٩٩٣م.

* **التميمي، محمود الجودي:**

١٥٨ . تاريخ قضاة القيروان، تح: أسعد جمعة، دار كيراس، تونس، ط١، ٢٠٠٩م.

* **الثعالبي، عبد العزيز:**

١٥٩ . تاريخ شمال أفريقيا، تحقيق: أحمد بن ميلاد، النشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

* **الجنحاني، حبيب:**

١٦٠ . القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة العربية، الدار التونسية، تونس، (د. ط)، ١٩٦٨م.

١٦١ . المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، ٢٠٠٥م.

* **الحريري، محمد عيسى:**

١٦٢ . الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس، دار القلم، الكويت، ط٣، ١٩٨٧م.

* **حسين، محمد كامل:**

١٦٣ . آدب مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

* **حطاب، محمود شيت:**

١٦٤ . قادة فتح المغرب العربي، دار الفتح، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.

* **الحفني، محمود أحمد:**

١٦٥ . زرياب، مكتبة مصر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

* **حمودة، عبد الحميد حسين:**

١٦٦ . تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

* **الخادمي، نور الدين بن مختار:**

١٦٧ . علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

* **الخزاعلة، ياسر طالب راجي:**

١٦٨ . دولة الاغالبة في إفريقية، مكتبة زمزم، الأردن، ط١، ٢٠١٥م.

* **الخربوطلي، علي حسني:**

١٦٩ . ثالث خلفاء العباسيين، الدار المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.

* **خليل، عماد الدين:**

١٧٠ . ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٧٨م.

* **دبوز، محمد علي:**

١٧١ . تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

* **الريشهري، محمد:**

١٧٢ . موسوعة الامام علي بن أبي طالب (ع)، دار الحديث، قم، ط٢، ٢٠٠٠م.

* **الزاوي، الطاهر أحمد:**

١٧٣ . تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار التراث العربي، ليبيا، ط٣، ١٩٧٢م.

* **الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي:**

١٧٤ . الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

* **أبو زهرة، محمد:**

١٧٥ . أبو حنيفة حياته وعصره، آراءه وفقهه، دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، ١٩٤٧م.

١٧٦ . خاتم النبيين، المكتبة العصرية، بيروت، ط٤، (د. ت).

* **زيتون، محمد محسن:**

١٧٧ . القيروان في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

* **سالم، السيد عبد العزيز:**

١٧٨ . تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٨٢م.

١٧٩ . المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

* **السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري:**

١٨٠ . الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د. ط)، (د. ت).

* **الشرقاوي، عوض:**

١٨١. التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، (د. ط)، ٢٠١١م.

* **الشرقي، منيرة بنت عبد الرحمن:**

١٨٢ . الحياة الاقتصادية في عهد الأغالبة، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ٢٠٢٢م.

* **شريط، عبد الله:**

١٨٣. تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٣، ١٩٨٣م.

* **شواط، الحسين بن محمد:**

١٨٤ . مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، السعودية، ط١، ١٩٩٠م.

* **الصلابي، علي محمد:**

١٨٥ . الخليفة الراشد والمصلح الكبير، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٨٦ . سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

* **ضيف، شوقي:**

١٨٧ . عصر الدول والامارات، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٩٢م.

* **الطالبي، محمد:**

١٨٨ . الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، تحقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

* **الطباطبائي، السيد محمد بن حسين:**

١٨٩ . الميزان في تفسير القرآن، ض: الشيخ محمد الأعلمي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

* **العاملي، السيد جعفر مرتضى:**

١٩٠ . الحياة السياسية للأمام الحسن في عهد الرسول (ص) والخلفاء الثلاثة بعده، دار السيرة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٩١ . الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، دار الهادي، بيروت، ط٤، ١٩٩٥م.

* **عباس، احسان:**

١٩٢ . العرب في صقلية، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

* **عبد الله، عبد العزيز:**

١٩٣ . تاريخ المغرب، دار السلام، دار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط، (د. ط)، (د. ت).

* **عبد الجبار، صهيب:**

١٩٤ . المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، ٢٠١٣م.

* **عبد الحميد، سعد زغلول:**

١٩٥ . تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٩م.

* **عبد الوهاب، حسن حسني:**

١٩٦ . خلاصة تاريخ تونس، مطبعة دار الكتب الشرقية، تونس، ط٣، ١٩٥٣م.

١٩٧ . شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية، تونس، ط١، ١٩٣٤م.

١٩٨ . ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية (التونسية)، مكتبة المنار، تونس، ط١، ١٩٦٥م.

* **العمري، أكرم ضياء:**

١٩٩ . السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٩٩٤م.

* **عميرة، بشاري لطيفة:**

٢٠٠ . الرق عند الشعوب القديمة، مختبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، ط١، ٢٠١١م.

* **عويس، عبد الحميد:**

٢٠١ . الحضارة الإسلامية، دار الصحوة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م.

* **غانم، حامد زيان:**

٢٠٢ . تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوربا، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

* **الغنيمي، عبد الفتاح:**

٢٠٣ . موسوعة المغرب العربي، مكتبة مَدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

* **فرغلي، إبراهيم:**

٢٠٤ . تونس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة الأغالبة، دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، دار العربي، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٥م.

* **فوزي، عيسى:**

٢٠٥ . الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس هجري، دار الوفاء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

* **قاسم، محمود عبد الرؤوف:**

٢٠٦ . الكشف عن حقبة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

* **القرضاوي، يوسف:**

٢٠٧ . الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ٢٠٠١م.

* **القزويني، السيد محمد كاظم:**

٢٠٨ . الامام علي من المهد إلى اللحد، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

* **القمي، الشيخ عباس:**

٢٠٩ . منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، دار المصطفى العالمية، بيروت، ط٣، ٢٠١١م.

* **كرد، محمد علي:**

٢١٠ . الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.

* **الكعاك، عثمان:**

٢١١ . المجتمع التونسي على عهد الاغالبة، مطبعة العرب، تونس، ط١، ١٩٧٦م.

* **لقبال، موسى:**

٢١٢ . الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية، الجزائر، ط١، ١٩٧١م.

* **المباركفوري، صفي الرحمن:**

٢١٣ . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

* **المجدوب، عبد العزيز:**

٢١٤ . الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تعليق: علي الشابي، الدار التونسية، تونس، ط٢، ١٩٨٥م.

* **محفوظ، محمد:**

٢١٥ . تراجم المؤلفيين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

* **محمود، احمد حسن:**

٢١٦ . الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

* **مصطفى، إبراهيم و(أخرون):**

٢١٧ . معجم الوسيط، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م.

*** مصطفى، شاكر:**

٢١٨ . دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٣م.

*** المصطفوي، حسن:**

٢١٩ . التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٩٩٥م.

*** مؤنس، حسين:**

٢٢٠ . معالم تاريخ المغرب والاندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٤م.

*** النوري، الميرزا حسين بن محمد تقي بن علي الطبرسي:**

٢٢١ . مستدرك الوسائل، ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث، قم، ط٣، ١٩٩١م.

*** نويهض، عادل:**

٢٢٢ . معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

*** يوسف، جودت عبد الكريم:**

٢٢٣. العلاقات الخارجية للدولة الرســتمية، المؤســســة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ط)، ١٩٨٤م.

ثالثاً _ المراجع المعربة :

*** آماري، ميكيلي:**

٢٢٤ . تاريخ مسلمي صقلية، تر: محب سعد إبراهيم وآخرون، لومنييه، فلورنسا، ط١، ٢٠٠٣م.

*** جواتياين، س. د:**

٢٢٥ . دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تع: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٠م.

*** كونستبل، أوليفيا ريمي:**

٢٢٦. التجارة والتجار في الاندلس، تع: فيصـــل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م.

* **لوبون، غوستاف:**

٢٢٧ . حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

* **لويس، أرشيبالد:**

٢٢٨ . القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، تر: احمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

* **ليفي، بروفنسال:**

٢٢٩ . تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، مر: صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.

* **ميتنز، آدم:**

٢٣٠ . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، مر: محمد عبد الهادي أبو ريد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٩٦٧م.

رابعاً- الأطاريح والرسائل:

* **البرعصي، منصف جودة عمران:**

٢٣١ . القضاة في إفريقية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الأغالبة (٢١-٢٩٦هـ)، رسالة ماجستير، جامعة بنغازي، ليبيا، ٢٠١٢م.

* **برناوي، وفاء يعقوب:**

٢٣٢ . دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي (١٤٠-٣٤٧هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠٠٣م.

* **بوعلام، صاحي:**

٢٣٣ . الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية (١٨٤-٢٩٦هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

* **حميداتو، ميلود:**

٢٣٤ . أثر الحضارة العربية الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط النورماند، رسالة ماجستير، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ٢٠١٣م.

* **رضوان، فاطمة عبد القادر:**

٢٣٥ . مدينة القيروان في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى، السعودية، ١٩٩١م.

* **الزهراني، علي بن محمد:**

٢٣٦ . الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (٢١٢-٤٨٤هـ)، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٦م.

* **الزيدان، عبد الله:**

٢٣٧ . مجتمع القيروان، رسالة دكتوراه، جامعة ليدز، لندن، ١٩٧٨م.

* **سامعي، إسماعيل:**

٢٣٨ . دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية بالمغرب الإسلامي (ق٢-٥هـ)، رسالة ماجستير، النشر: جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٩٥م.

* **شهرة، روابح:**

٢٣٩ . الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة ٠٨ ماي ١٩٤٥، ٢٠١٨م.

* **العيفة، شنايت:**

٢٤٠ . دولة بني مدرار بسجلماسة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٩١م.

* **كلثوم، عبور:**

٢٤١ . الحياة الثقافية بالقيروان في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، رسالة ماجستير، جامعة ٠٨ ماي ١٩٤٥، الجزائر، ٢٠١٤م.

* **مبارك، حسني إسماعيل:**

٢٤٢ . التطور الاقتصادي لولاية إفريقية في عهد الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م.

* **محب، محمود قاسم:**

٢٤٣ . الحياة الفكرية في عهد الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٩م.

*** مندورة، ابتسام أكرم:**

٢٤٤ . أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ)، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩١م.

خامساً – الدوريات:

*** التركي، عبد الله عبد المحسن:**

٢٤٥ . الامة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، المجلة العربية، العدد الثاني عشر، ١٩٩٧م.

*** الجنحاني، حبيب:**

٢٤٦ . تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، النشر: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، عدد (٤٠-٤٣)، تونس، ١٩٧٥م.

*** مؤنس، حسين:**

٢٤٧ . فزان ودورها في انتشار الإسلام في إفريقية، مجلة كلية الآداب، العدد ٣، ليبيا، ١٩٦٩م.

*** ناهدة، محمد عبد الكريم:**

٢٤٨ . مفهوم الاعتدال في الفكر السياسي الإسلامي، مجلة العلوم السياسية، العدد ٣٠، المجلد ٣٠.

Abstract

The researcher studied an era in the history of Islamic Morocco, and the title was (The Policy of Moderation in the History of the Aghlabid State)

The policy of moderation in its general perspective is a policy that is far-reaching in its decisions and moderate in its historical content, far from disputes and conflicts. Rather, it is a policy of leniency, tolerance, cooperation and compassion. The concept of moderation has historical roots extending back to the era of the Messenger (may God bless him and his family and grant them peace), who strove hard to achieve coexistence and brotherhood between Muslims and others. The goal was to strengthen the social and economic ties between Muslims and cohesion among them. As for his dealings with non-Muslims, he concluded treaties and documents with Jews and Christians, which guaranteed them security, religious freedom and protection of their money. He engaged in dialogue with the People of the Book in the best manner and discussed beliefs with them in a calm manner without coercion or compulsion. After the death of the Messenger (may God bless him and his family and grant them peace), a new phase began known as the Rightly-Guided Caliphate. Most of the decisions and measures taken during the first phase were not moderate decisions, but rather force and cruelty were used in them without resorting to peaceful solutions. However, in the late stages of this phase, specifically during the eras of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) and Imam Hassan bin Ali (peace be upon him), This stage became more moderate and fair, unlike the first periods of the Caliphate. As for the Islamic Caliphate during the Umayyad era, most of the policies and decisions taken by the Umayyads were outside the Islamic principles and values recommended by God and His Messenger. Their era witnessed many practices characterized by tyranny, oppression and brutality, whether towards enemies or opponents of their policies. However, there are some positions and policies that can be considered relatively "moderate" compared to other practices prevalent at that time. As for the Islamic Caliphate during the Abbasid era, it was no less important than what the Umayyads did before them. Their Caliphate is considered a caliphate of tyranny and injustice, which departed far from most of its principles and foundations in the policy of moderation. However, this does not prevent the absence of some moderate positions witnessed by that state, especially during the era of some Abbasid caliphs, who sought to establish moderate standards and foundations.

Abstract……..

Before going into the details of the establishment of the Aghlabid state, it is necessary to mention the political events that were not moderate, which preceded the establishment of the Aghlabid state. The African region witnessed a period of chaos and political unrest during the rule of the first Abbasid caliphs, and this was due to the Abbasid state being preoccupied with the matters and problems it was suffering from in the Arab East. Therefore, the Abbasid Caliphate used to send rulers (governors) to those regions in an attempt to subdue those unrest, but most of the governors that the Caliphate sent were not up to the required responsibility, and they treated the people badly, far from the policy of leniency and tolerance. This prompted the local tribes to stand up to these governors and demand their exit from their lands. These unstable political conditions in the region paved the way for the emergence of a seasoned political figure represented by Ibrahim bin al-Aghlab as a local force capable of restoring stability and security in the region. A new phase began in Africa, which is the establishment of the Aghlabid state, and its true founder is Ibrahim bin al-Aghlab. It is an independent hereditary state that gained its legitimacy from the Abbasid Caliphate. Ibrahim bin al-Aghlab worked from the beginning. To establish principles and foundations that guarantee a decent life for the African individual, in all aspects, whether political, social, economic or religious, and he moved far away from the footsteps of the governors who preceded him in his rule, and Africa, during the Aghlabid era, came to enjoy a high status in all its Aspects.

As for the internal policy during the Aghlabid era: The internal policy of the Aghlabid state was directed towards two main paths. The first path: The Aghlabids tried to deal with matters with balance and moderation, and sought to avoid fighting and conflict with some of the revolutionaries who aimed to destabilize the security and stability of the state. The second path: Despite the desire of the Aghlabid princes to find peaceful solutions with the revolutionaries without using force, the revolutionaries were determined to fight against the state, which forced the state to confront them and try to deter them to remove their danger.

As for foreign policy during the Aghlabid era: Despite the existence of some ideological and doctrinal differences between the countries of Morocco and Andalusia and the Aghlabid state in Africa, these differences did not lead to the outbreak of clear armed political conflicts between them, as both parties were preoccupied with the internal challenges they faced at that time.

Abstract……..

In the economic (commercial) field, the policy of the Aghlabid state was characterized by moderation. This state witnessed clear land and sea trade relations with the countries of Morocco and Andalusia, as it paved trade routes between them and exported its products to several regions, such as Egypt, Andalusia, Sijilmasa, Tahert, Fez and Baghdad. The Aghlabid state also received the products of these countries.

On the cultural level, close relations emerged between the Aghlabid state and the countries of Morocco and Andalusia. During the Aghlabid era, scholars from Africa would travel to seek knowledge and learning in Morocco and Andalusia, and vice versa. There were many trips from the countries of Morocco and Andalusia to Kairouan for the purpose of learning at the hands of jurists and scholars there.

Social diversity during the Aghlabid era: Tunisian society witnessed remarkable social diversity, unlike previous political systems, and there was no clear discrimination between social classes, but rather everyone was treated equally, which reflects the moderate policy followed by the Aghlabid rulers, and members of society enjoyed the freedom to participate in various economic and social fields, as the state allowed them to work in various sectors such as agriculture and industry, in addition to government positions, as a result, many members of Tunisian society gained wide influence and reached prestigious positions within the social structure of the state.

As for religious diversity in the Aghlabid era: During the Aghlabid rule in Africa, the region witnessed wide religious diversity. This period is considered one of the important periods in the history of religious coexistence between the various sects and religions in the region. The Aghlabid government in Africa adopted a moderate policy towards the various sects and religions in the region. It allowed many Islamic sects to freely practice their religious rituals and beliefs, without any encroachment or interference by the authorities. Rather, the state supervised and protected the holding of festivals and sectarian scientific debates. As for non-Islamic religions, such as Judaism and Christianity, their followers were also allowed to practice their religious rituals and rites without government interference. This is an indication of the policy of tolerance and coexistence adopted by the Aghlabid state towards religious diversity in the region.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Maysan
College of Education
History Department

Moderation policy in the history of the Aghlabid state (184-296 AH / 800-909 AD)

A Thesis submitted by the student

Akram Abdel Zahra Hanash Rasn

To the Council of the College of Education - University of Maysan
It is part of the requirements for obtaining a master's degree in Islamic history

Under the supervision of Professor Dr:

Ghofran Mohammed Aziz

1446 AH **2025 AD**